مجلة المعجمية - تونس

ع 20

2004

إبراهيم بن مراد
و حسن حمزة

تـقـديـم

تشتمل الصفحات التالية على وقائع الندوة العلمية التي نظمها المشروع التونسي الفرنسي المشترك «حركة المصطلحات العلمية والفنية في المصادر العربية القديمة» يومي 16 و17 أكتوبر 2003 في كلية اللغات بجامعة ليون2 حول «تكوّن المصطلحات العلمية والفنية في المصادر العربية القديمة»؛ وقد أسهم في تنظيمه مركز البحث في المصطلحية والترجمة (**CRTT**) ومركز ابيستمولوجيا العربية ولسانياتها وسيميائيّتها (**ELISA**) ومدرسة دكتوراه الإنسانيات (**Ecole Doctorale des Humanités**) من كلية اللغات بجامعة ليون2، ووحدة البحث مفردات العربية بين المعجم والقاموس من كلية الآداب بمنوبة.

وقد تناولت الندوة بالدرس قضايا تكوّن المصطلح العلمي والفني في المصادر المكونة لمدونة البحث في المشروع المشترك وهي «كتاب العين» للخليل بن أحمد (ت 175هـ / 791 م) و«الكتاب» لسيبويه (ت 180هـ/ 796 م) و«كتاب في تقويم الخطإ والمشكلات التي لأوقليدس في كتابه الموسوم بالمناظر»لأبي يوسف يعقوب الكندي (ت حوالي 256هـ/ 870 م) و«العشر مقالات في العين» لحنين بن إسحاق (ت 260هـ/873 م) و«الكتاب المنصوري» لأبي بكر الرازي (ت 313هـ/925 م) في مقالته الثالثة في الأدوية والأغذية. ويلاحظ من العناوين الخمسة أن مصادر البحث تغطي خمسة علوم هى المعجمية والنحو والطب والصيدلة والفيزياء، وأنها مؤلفة في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري(الثامن الميلادي) وفي القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي)، أي أثناء حركة الإنشاء

العلمي العربي. وإذن فإن ا بحث في حركة المصطلحات العلمية والفنية في المصادر المعتمدة هو بحث في نشأة المصطلحية العلمية والفنية العربية وفي أنظمة المفاهيم المتعلقة بها. وقد رأى فريقا البحث في المشروع أن يخصّا هذا المبحث بالدرس في هذه الندوة.

قُـدمَ في الندوة أحد عشر بحثا: خمسة بالعربية وستة بالفرنسية؛ وهي صنفان: صنف قد أعْطِيَ فيه «التّكَوّن»(**formation**) مفهوما عامّا وجّه البحث نحو الأصل والنشأة التاريخية والتطور والبنية؛ وصنفَ قد أعطي فيه التكون مفهوما خاصّا هو «التولّد» بحسب ما عرف في الدرس اللساني من قواعد التوليد المعجمي. وتنتمي إلى الصنف الأول سبعة بحوث هي التي قدمها عبد الرزاق بنور وحسن حمزة وسلام بزي حمزة وتوفيق قريرة وأمجد طلافحة وعبد الحميد التاغوتي ومحمد بدوي.

فقد اهتمّ عبد الرزاق بنور بالحقول الدلالية التي يتنزّل فيها المصطلح النحوي العربي، راجعا به إلى أصول نشأته. وقد اقترح ثلاثة حقول أساسية: الأول – وهو المغلّب – هو «الفضاء الديناميكي» (**l'espace dynamique**) الذي تتنزّل فيه مصطلحات مثل «الحَرْف» ومعناه العامّ الطرَف والجانب، و«النفْي» ومعناه الإبعاد، و«الحركة» ومعناها العام انتقال الجسم من مكان إلى مكان آخر، ويقابلها «السكون»؛ والحقل الثاني هو «التقويم الاجتماعي» (**valorisation sociale**)وتمثله مصطلحات مثل «التصغير» و«التفضيل» و«التعريف» و«التنكير»؛ والحقل الثالث هو «أعضاء الجسم» (**les parties du corps**) ، وتنتمي إليه مصطلحات مثل «المصدر – من الصدْر – و«الوجْه» من وجوه القول أو الاستعمال.

واهتمّ حسن حمزة تطور المصطلح النحوي العربي بعد «الكتاب» لسيبويه. وقد بيّن انطلاقا من أمثلة محدّدة أن البحث في تطوّر المصطلح النحوي العربي ينبغي أن يُـعْـتَـمَـدَ فيه على «الكتاب» مُـنطلَـقا، وأن كلّ إنتاج لمصطلح جديد عملية ديناميكية تؤثّر في البناء كله، وأنها ليست عملية تتوقّف عند حدود المصطلح الواحد بل تتعدّاه

لتنظر في التغيير الذي يصيب البناء حين يولد مصطلح جديد وحين يموت أو حين يتطور مصطلح قديم.

أما البحوث الخمسة الأخرى من هذا الصنف الأول فقد خُـصّ بها المصطلح النحوي في كتاب سيبويه. فقد درست سلام بزي حمزة تَشَـكّـل المصطلح البسيط في الكتاب مركزة على الانتقال من اللفظ اللغوي العام إلى المصطلح، والمجالات التي اعتمد عليها سيبويه في اختيار مصطلحاته، وعملية الانتقال من المصطلح المركب إلى المصطلح البسيط، وتأرجح اللفظ الواحد بين العموم والخصوص للدلالة على مصطلحين مختلفين.

وعَـنَـتْ بنية المصطلح النحوي عند سيبويه توفيق قريرة أيضا فتحدّث عن الوحدات المصطلحية المركبة تركيبا معقدا في الكتاب، لكنه ربط الحديث في تعقيد المصطلح في الكتاب بوظيفة المصطلح إذا كان معقدا، فميز بين وظيفتين له في الكتاب أولاهما هي تعيين المفاهيم النحوية - وهي وظيفة مُـغَـلّـبَة - والثانية هي التعبير عن تلك المفاهيم باعتبارها قضايا.

وقد تناول أمجد طلافحة مظهرا آخر من مظاهر المصطلح النحوي في الكتاب هو «المشترَك»؛ وقد نظر إليه من جهتين: من حيث دلالته على «الترادف» (synonymie) لما رآه صاحب البحث في الكتاب من مصطلحات كثيرة تربط بينها علاقة ترادف، ثم «الاشتراك الدلالي» (polysémie) لما لاحظه من مصطلحات دالة على مفهومين أو أكثر.

وقد نظر عبد الحميد التاغوتي في «الكتاب» أيضا لكنه تحدث في المصطلح النحوي فيه انطلاقا من عناوينه، و تطرق إلى ثلاث من المسائل المتصلة به، هي الوصف و الانتقال إلى الكتب النحوية اللاحقة و التنميط، وقارن بينه وبين المصطلح النحوي عند المتأخرين.

وقد عَـنَـتْ مسألة تطور المصطلح النحوي محمد بدوي أيضا فقارن بين المصطلحات النحوية التي استعملها سيبويه - وهو بصري - في الكتاب و المصطلحات التي استعملها الفراء (ت 207 هـ/822م) - وهو كوفي - في كتابه معاني القرآن.

وقد بينت المقارنة الاختلاف بين مصطلحات الرجلين، لكن ذلك الاختلاف لا يمنع أن تكون مصطلحاتهما مستمدة من رصيد مصطلحي نحوي واحد سابق لهما تظهر معالمه في كتاب العين للخليل بن أحمد.

قد شغل «المصطلح الفني» (terme technique) إذن - ممثــلا في المصطلح النحوي وخاصة عند سيبويه في «الكتاب» - القسم الأول من البحوث المقدمة في الندوة، وقد تنوعت وجهات التناول للقضايا المتعلقة بتَكَــوّنِــه. وأمّا بحوث القسم الآخر فقد أُعْــطِــيَ فيها «التكوّن» - كما ذكرنا سابقا - مفهوما آخر هو «التولّد» بحسب ما عرف في الدرس اللساني من قواعد التوليد المعجمي (néologie lexicale). وعدد هذه البحوث أربعة هي التي قدمها إبراهيم بن مراد وإزكاويه لولوبر (Xavier Lelubre) و زكية السائح دحماني والحبيب النصراوي.

وقد اهتم إبراهيم بن مراد بـ«دور الاقتراض الدلالي في تكون المصطلحات والمفاهيم الجديدة»، والاقتراض الدلالي - وهو قاعدة في التوليد دلالية لكنه منتم إلى«الاقتراض المعجمي» - قائم على «النّــسْــخ»(calque) أو«الترجمة الحرفية». وقد انطلق الباحث في تحليل الظاهرة من نماذج من المصطلح الطبي مأخوذة من كتاب «العشر مقالات في العين» لحنين بن إسحاق، وبيّن أن تكوّن المصطلح الجديد بالترجمة الحرفية ناتج عن عدم وجود العالم - عندما يصف الظواهر الجديدة في الثقافة العربية - المقابل العربي للمصطلح الأعجمي اليوناني، إما لأنه يجهله إذا كان موجودا وإما لخلو المعجم العربي منه، فيلجأ إلى نقل المفهوم المرتبط بالمصطلح الأعجمي نقلا حرفيا كثيرا ما يكون بعبارة. ويرتبط بتكون المصطلح تكوُّن مفهومه في العربية لأن «المصطلح العِــبَــارِيّ»(terme périphrastique) يفقد خاصية التعقيد بالتدريج حتى يستقر مصطلحا بسيطا أو مركبا حاملا لمفهومه الدقيق.

وقد عُــنِــيَ بتكوّن المصطلح العلمي وتكون مفهومه أيضا إزكاويه لولوبر

ودرسها من خلال نماذج من مصطلحات علم الضوء مستمدة من نصوص أبي يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي - وخاصة من كتابه في تقويم الخطإ والمشكلات التي لأوقليدس في كتاب المناظر - وقسطا بن لوقا وحنين بن إسحاق. وقد أخذ الباحث في الاعتبار - وهو يدرس أنماط تكوّن المصطلح- نوعين من السمات: سمات مرجعية (نمط المفهوم والمجال الفرعي الذي ينتمي إليه) وسمات صرفية اشتقاقية (جذر المصطلح وصيغته أو وزنه). وقد مكن هذا الربط بين الصنفين من السمات من ملاحظة تلاؤم بين طريقة تشكّل المصطلح ونمط المفهوم الذي يسميه.

وقد تناولت زكية السائح دحماني بالدرس تولد المصطلح العلمي، الطبي والصيدلي، بالتركيب (**composition**)، وهو قاعدة من قواعد التوليد الصرفي. وقد انطلقت في دراستها من مدونة مصطلحية مستخرجة من المقالتين الأولى (في طبيعة العين وتركيبها) والثامنة (في أدوية العين وأجناسها وفنون استعمالها) من كتاب العشر مقالات في العين لحنين بن إسحاق. وقد اشتملت المدونة على المصطلحات المركبة، أي المتكونة من عنصرين معجميين، والمصطلحات المعقدة، وهي المتكونة من ثلاثة عناصر معجمية فأكثر. و نظرت الباحثة في أنواع البنية في المصطلحات المركبة والمصطلحات المعقدة، وأسباب التركيب والتعقيد في تكون المصطلح - وأهمها راجع إلى الاقتراض الدلالي - وإنتاجية «التركيب» في التوليد المصطلحي.

أما الحبيب النصراوي فقد بحث في تولد المصطلح الطبي بالاقتراض، منطلقا من المصطلحات الأعجمية المقترَضة في المقالة الثالثة من الكتاب المنصوري لأبي بكر الرازي، وهي في الأدوية والأغذية. ولم يُعْنَ الباحث بكل المقترضات الواردة في المقالة المدروسة بل عني بما اقْتُرِضَ من اللغتين الفارسية واليونانية باعتبار الأولى «لغة إسلامية» كانت تُوَظّفُ مع العربية لـ«تعريب» المصطلحات الأعجمية الأخرى، واعتبار اليونانية اللغة العلمية المرجعية. وقد اهتم صاحب البحث في دراسة

المقترضات بدرجة عجمتها ووسائل إدماجها قي المعجم العربي المختصّ.

ويمكن بعد هذا أن نخرج من البحوث المقدمة بالنتائج التالية:

(1) أن المصطلح الفني في العربية - وقد درس منه المصطلح اللغوي، وخاصة النحوي - مصطلح عربي خاص سواء من حيث النشأة التأصيلية (étymologique) أو من حيث النشأة التاريخية. وهذا طبيعي لأن علوم اللغة - مثلها مثل الفقه وعلم الكلام - تنتمي إلى «العلوم الإسلامية» لأن ظهورها كان وثيق الصلة بالكتاب والسنة، ثم لأنها منتمية إلى «الثقافة» العربية التي تمتد جذورها في «الواقع» الحضاري العربي؛ ولذلك فإن اللغة المستعملة في وصف هذا الواقع الحضاري والتعبير عن خصائص تلك الثقافة لم تعجز عن تسمية ما ظهر في الواقع الذي تصفه والثقافة التي تعبر عنها من المفاهيم الجديدة.

(2) أن الاختلاف بين مصطلحات النحاة القدامى مثل سيبويه البصري و الفراء الكوفي ليس بذي أهمية لأنه معبر في الغالب عن وجوه من الاستعمال مختلفة لرصيد مصطلحي و حد سابق لهما. وذلك الاختلاف لا يدل إذن على وجود مدرستين نحويتين مختلفتين.

(3) أن المصطلح النحوي العربي، رغم ما غلب على التفكير النحوي من استقرار، قد تطور. لكن ينبغي ألاّ تنحصر دراسة تطوره في تتبع المصطلحات التي ولّدت أو المصطلحات التي سقطت من الاستعمال. بل ينبغي أن يراعى فيها تطور المفاهيم رغم ما تتسم به المصطلحات من استقرار.

(4) أن نشأة المصطلح العلمي في العربية تختلف عن نشأة المصطلح الفني. فالمصطلح العلمي - وقد درس منه المصطلح الطبي والصيدلي والفيزيائي - قد دخل العربية أثناء حركة الإنشاء بواسطة الاقتراض الثقافي. فهو إذن منتم إلى علوم كانت تسمى «علوم العجم» لأنها ظهرت وتطورت حتى اكتملت خارج «الواقع الحضاري» العربي، ممثلة لثقافة أجنبية هي الثقافة اليونانية خاصة. وقد طلب العرب تلك العلوم فنقلت إليهم بالترجمة؛ وكان جل الذين ترجموها من العجم، تستوي العربية واليونانية عندهم في العجمة.

(5) على أن المصطلح العلمي صنفان: صنف له ما يقابله في العربية - وهذا يسير نقله والاصطلاح عليه بالعربية إذا كان المترجم يعرف المقابل – وصنف ليس له مقابل لأنه بتجربة الجماعة اللغوية الأعجمية ألصق وبواقعها الحضاري أعلق. وهذا الصنف نفسه نوعان: نوع تحمله مسميات مجردة ذات مفاهيم قابلة للترجمة الحرفية، فيُـسْـتَـعاض في نقلها بالاقتراض الدلالي عن الاقتراض المعجمي التام، وهذا النوع كثير في علوم كثيرة مثل الطب والفيزياء والرياضيات؛ ونوع تحمله مسمّيات هي أشياء تنتمي إلى المواليد (**les règnes de la nature**) خاصة - وهي النبات والحيوان والمعادن، وهي المكونات الأساسية لعلم العقاقير، وهو من أسس علم الصيدلة – ويصعب تجريد مفاهيمها ما لم يكن المصطلح مركبا أو معقدا. فإذا كان بسيطا – مثل جل أسماء النبات والحيوان – اضْـطُـرّ المترجم إن لم يجد له مقابلا في اللغة العربية إلى اقتراضه. وهذا كله دالّ على أن المصطلح العلمي قد ظهر في العربية مرتبطا بمرجعيّاته الأعجمية فكان الاقتراض الدلالي أو المعجمي التام غالبا على نشأته وتكونه.

(6) أن تكون المصطلح الفني من حيث بنيته كان شبيها بتكون المصطلح العلمي. فلقد غلبت في الصنفين البنية المركبة والبنية المعقدة، وقد كان لخاصيتي التركيب والتعقيد في المصطلحين صلة بجدة المفاهيم وعدم تدقيقها.

(7) أن المصطلح الفني – ممثلا في المصطلح النحوي – قد تطور بعد مرحلة الإنشاء ومرّ بمراحل في التطور انتهت به إلى التوحّد وإلى الاستقرار بنية ومفهوما، وقد تطور المصطلح العلمي أيضا فتوحّد واستقر مفهومه في المؤلفات العلمية المبتكرة بداية من القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) في مختلف العلوم التي أصبحت «علوما عربية» بعد أن كانت تُـنْـسَـبُ إلى العجم.

إبراهيم بن مراد و حسن حمزة

سلام بزي حمزة
جامعة ليون 2
مركز البحث في اللسانيات العربية
مركز البحث في المصطلح والترجمة

تشكل المصطلح البسيط في كتاب سيبويه بين المعنى المعجمي والمعنى الاصطلاحي

أ– مقدمة :

المصطلح نوعان: بسيط ومركب. أما البسيط فألفاظ مفردة يبتدعها نظام التسمية الخاص بكل لغة من اللغات، وقد بنت العربية أكثر وحدات التسمية فيها على جذور ثلاثية صامتة؛ ذلك أن النظام المقطعي فيها فرض فصلا بين صوائتها وصوامتها، فجعل لكل صنف من هذين الصنفين وظائف ليست للصنف الآخر. وقد جعل هذا النظامُ التسميةَ للحروف الصوامت، لأنها أكثر عددا، فهي وحدها القادرة على إنتاج عدد كبير من وحدات التسمية يلبي حاجة الجماعة اللغوية[1]، وجعل للحروف الصوائت وظائف أخرى، فهي في داخل الجذر تحدد المعنى العام الذي تؤديه الحروف الصوامت، وهي في خارج الجذر حركات الإعراب التي تحدد العلاقات بين وحدات التسمية في الجملة. أما ما كان على أقل من ثلاثة أحرف أو على أكثر من ذلك فإنه يُرد غالبا إلى الثلاثي بزيادة حرف أو بحذف حرف، وما كان على أكثر من أربعة أحرف فخارج على النظام اللغوي العام للعربية.

أما المصطلح المركب فيعتمد على نظام الخطاب، وغالبا ما يكون اللجوء إليه حين يعجز نظام التسمية عن إيجاد ألفاظ مفردة بسيطة للتعبير عن المفاهيم الجديدة، فيُؤتى بعبارة مركبة من الألفاظ المفردة البسيطة لتقوم مقامها، أو حين يراد شرح المفهوم وتقريبه إلى الأذهان، وأكثر ما يكون ذلك في مرحلة التأسيس المصطلحي. وقد تطول هذه التراكيب أو تقصر حسب الحاجة، غير أنه لا بد فيها من لفظين مفردين على الأقل تجمع بينهما علاقة من العلاقات التي يفرضها نظام الخطاب في ربط المفردات بعضها ببعض، كعلاقة المضاف بالمضاف إليه، وعلاقة النعت بالمنعوت. أما علاقة الاسنادفلا تكون في المصطلحات لأنها تُنشيء جملا، فإن قامت مقام المصطلح المفرد فإنما يكون ذلك على سبيل الحكاية.

وسأحاول في ما يلي من هذا العرض أن أتتبع المصطلح البسيط في كتاب سيبويه للنظر في تشكّله، وفي العلاقة التي تربطه بألفاظ اللغة العامة.

ب - الموروث والجديد في مصطلحات الكتاب :

في كتاب سيبويه مئات من المصطلحات البسيطة يمكن استخراجها من الثبت الذي أعده جيرار تروبو لمفردات الكتاب، أو من الثبت الذي أنجزه أمجد طلافحة لمصطلحات سيبويه، ما كان منها بسيط، وما كان مركبا، وما كان أقرب إلى الشرح والتفسير منه إلى المصطلح[2].

لا ريب في أن سيبويه لم يبتدع هذا العدد الكبير من المصطلحات، فلقد شهد القرن الثاني للهجرة قبل سيبويه نشاطا نحويا كبيرا لا تشهد له كتب التراجم والأخبار فحسب، بل يشهد له الكتاب نفسه في نقله عن شيوخه وعن شيوخ شيوخه، وفي تحليله الذي وصل إلى مستوى من النضج لا يمكن أن يكون في أول العلم، فلا بد من أن يكون هذا العلم قد قطع شوطا بعيدا قبل سيبويه، ولا بد من أن يكون هذا العلم قد بدأ بتأسيس مصطلحه.

أما ما ورثه عن سابقيه فيمكن العودة فيه إلى ما في كتاب العين المنسوب للخليل بن أحمد من مصطلحات نحوية مبعثرة في ثناياه، وإلى تمحيص ما نسبه علماء العربية إلى النحويين قبل سيبويه. ولا ريب في أن الباحث لا يمكن أن يطمئن إلى إعداد ثبت كامل ونهائي بهذه المصطلحات الموروثة، فدون هذا الثبت مصاعب لا يمكن تخطيها، غير أنه يمكن الاطمئنان إلى أن عددا كبيرا من مصطلحات الكتاب البسيطة كمصطلحات (النحو) و(الصرف) و(الاسم) و(الفعل) و(الحرف) وغيرها موروث لا شك فيه، لوجوده في كتاب العين، أو لتواتر الروايات في نقله عن السابقين. إلا أن البحث في كتاب العين لا ينبغي له أن يكتفي بالنظر في المداخل، فقد يرد اللفظ بمعناه المعجمي في مدخله، وبمعناه الاصطلاحي في مدخل آخر، ولذلك فلا بد من تتبع المصطلح النحوي عنده في المداخل وفي ما تحويه المداخل.

ويبدو من المنطقي أن نفترض إلى جانب هذا الموروث عددا من المصطلحات البسيطة التي ابتدعها سيبويه[3]، وهي مصطلحات يمكن تصنيفها في بابين اثنين:

- **أولهما**: مصطلحات ربما يكون ابتدعها أو ابتدع بعضا منها لأنها لم ترد في النقول عن السابقين، ويمكن أن تُنسب إليه لأنها وردت أول ما وردت في كتابه، إلا إذا قام الدليل على أنها كانت قديمة متوارثة.

- **وثانيهما**: مصطلحات قديمة وردت في النقول عن السابقين، وأخذها سيبويه عنهم، ولكنه أعطاها مفهوما جديدا لم يكن عندهم؛ فاللفظ فيها قديم موروث، والمفهوم فيها جديد مبتدَع كمصطلحات (الفتح) و(النصب) و(الضم) و(الرفع) و(الكسر) و(الجر)، وغيرها، فلقد كانت هذه المصطلحات معروفة كثيرة التواتر في كتاب العين، على سبيل المثال، غير أنها لم تكن، فيما يبدو، تحمل نفس المفاهيم التي ظهرت في الكتاب لأنها لم تكن تميِّز ألقاب الإعراب من ألقاب البناء، فجعل سيبويه قسما منها للبناء لا يتعداه، وهي (الفتح) و(الضم) و(الكسر)،

وجعل قسما منها للإعراب لا يحيد عنه، وهي (النصب) و(الرفع) و(الجر). ولا يكون هذا القسم الثاني إلا بتأثير عامل من العوامل. ويمكن أن تُعد هذه المصطلحات جديدة إذن، لا لأن لفظها جديد، بل لأن المرجع الذي تحيل إليه قد تغير[4].

ج - الانتقال إلى المصطلح :

1 - المعنى المعجمي ووهم المصطلح :

في المقابل، قد يجد الباحث في كتاب سيبويه مصطلحات مستقرة في التراث ترد في الكتاب بالمعنى المعجمي العام، لا بالمعنى الاصطلاحي المتعارَف عليه، وسوف أمثّل لهذه المسألة بمصطلح (الخبر) الذي يُطلق في التراث النحوي عموما على الوظيفة النحوية التي يشغلها الجزء الثاني من الجملة الاسمية المكونة من مبتدأ وخبر. وقد حد النحويون (الخبر) بأنه «ما تحصل به الفائدة مع مبتدأ» (ابن هشام: شرح شذور الذهب، 183). وغالبا ما يرد هذا المصطلح في عناوين أبواب كتب النحو، كباب (المبتدأ والخبر)، أو «باب الحروف التي ترفع الأسماء وتنصب الأخبار» الذي يراد به باب «كان وأخواتها»، و«باب الحروف التي تنصب الاسم وترفع الخبر»، يراد به باب «إنَّ وأخواتها» (الزجاجي : الجمل، 41، 51). وقد سمِّيت هذه الوظيفة النحوية (خبرا) لأن الخبر الحقيقي الذي يحمل الفائدة غالبا ما يكون في موقع المبني على المبتدأ، وذلك من باب تسمية المجموعة بأكثر العناصر تمثيلا لها.

حين يرد (الخبر) في كتاب سيبويه، قد يلتبس الأمر على القارئ الذي تعوّد على قراءة أبواب (خبر المبتدأ)، و(خبر إنّ)، و(خبر كان)، وغير ذلك، فيأخذ المعنى الاصطلاحي لهذا اللفظ، فيحمله على الوظيفة النحوية. وقد يدفعه إلى هذا اللبس أنَّ مصطلح (الخبر) قد يَرِدُ في كتاب سيبويه في سياق يُشتمُّ منه أنَّ المقصود به وظيفته النحوية، كالموضع الذي يشرح فيه سيبويه جملة (إنَّه هو المسكينُ أحمقُ)، فيجعل عبارةَ (هو المسكينُ) «فصْلا بين الاسم والخبر» (2/ 76)، يريد بالاسم الضميرَ الغائبَ : (الهاء) وبالخبر : لفظَ (الأحمق) المرفوعَ الذي يُعربُه المُعربون خبرا، فيقولون عن جملة (إنه أحمقُ) إنها جملة اسمية يكون ضمير الغيبة فيها في محل نصب اسم (إنّ) ويكون (الأحمقُ) خبرا لها. لكن سيبويه حين يقول عن (الأحمق) إنه (خبر) فإنه لا يعني بالضرورة الوظيفة النحوية، لأنه يسمي هذه الوظيفة باسم آخر هو (المبني على المبتدأ) أو (المسند إليه)، أي المسند إلى المسند الذي هو (المبتدأ). أما (الخبر) فيظل في الكتاب مشدودا إلى المعنى المعجمي للفظ حتى حين يكون هذا اللفظ مبنيا على المبتدأ، كما هو الحال في الجملة التي رأيناها. ويأتي اللبس هنا من كون لفظ (الأحمق) هنا يجمع معنيين في وقت واحد، فهو خبر حقيقي لأنه يحمل الفائدة،

وهو (خبر) نحوي في الوقت نفسه، لأنه مبني على الضمير. فإذا ما انفصل المعنيان أمكن تمييز المفهوم الذي يعبر عنه لفظ (الخبر) في الكتاب. ويبدو هذا الأمر واضحا حين يستخدم سيبويه لفظ (الخبر) دون أن يكون للفظ دالا على الوظيفة النحوية التي سماها النحويون (خبرا). مثال هذا لفظُ : (المنطلق) في جملة : (هذا عبد الله منطلقا). يقول سيبويه إن (عبد الله) مبني على الاسم المبهم (هذا)، فالاسم المبهم (هذا) مبتدأ، والاسم المعروف (عبد الله) مبني عليه، فهما مسند ومسند إليه (2/ 73). أما الخبر الحقيقي فليس (عبد الله) «لأنك لا تريد أن تعرِّفه عبد الله»، وإنما هو (المنطلق). غير أنه انتصب كما ينتصب (الراكب) في قولك : (جاء عبد الله راكبا). ويعلل سيبويه انتصاب (المنطلق) في مثل هذه الجمل بأنه «خبرٌ للمعروف المبني على ما [هو] قبله من الأسماء المُبهَمة» (2/ 77).

هذا المثال وغيره مما يدعو إلى ضرورة الاحتراز في الحكم على مصطلحات سيبويه اعتمادا على ما استقر في التراث النحوي المتأخر، لأن كثيرا منها يظل متأرجحا بين المعنى المعجمي الأول للفظ، والمدلول الاصطلاحي المكتسب.

2 – طرق الانتقال إلى المصطلح :

يجري الانتقال من المعنى المعجمي للّفظ إلى المعنى الاصطلاحي في الكتاب عبر طريقين أساسيين:

الطريق الأول : تخصيص اللفظ وتضييقُ مجاله بالانتقال به من معنى لغوي عام إلى معنى اصطلاحي خاص في مجال النحو، وهذا طريق معروف مألوف في التراث، فقد تحدَّث علماء العربية قديما عما سمَّوه بـ«الالفاظ الاسلامية»[5] مثل الكافر والدين والصوم وغير ذلك من الألفاظ التي كانت معروفة في الجاهلية، فأعاد الاسلام استخدامها بتخصيص مجالها، كالصوم الذي كان يعني، كما يقول الزجاجي، الامساك عن فعلٍ ما، فخصصه الاسلام بالامساك عن الطعام والشراب نهارا (الزجاجي: اشتقاق أسماء الله، 283). ويمكن أن يمثَّل لهذا التخصيص بمصطلح (الجزم) الذي يعني في اللغة : القطع، ويعني في الكتاب : قطع آخر الفعل المضارع بتأثير عامل من عوامل الجزم، وبمصطلح (الفاعل) الذي يعني في اللغة القائم بالفعل، ويعني غالبا في الكتاب : الاسمَ المرفوع الذي يأتي بعد فعل، ويُسنَد ذلك الفعل إليه، لأن هذا الاسم غالبا ما يكون قائما بالفعل. وهذا من باب تسمية المقولة بالعنصر النموذجي الأكثر تمثيلا لها.

أما الطريق الثاني فهو طريق المجاز، لعلاقة مشتركة بين المفهوم النحوي الجديد والمعنى اللغوي للفظ، وأكثر ما تكون هذه العلاقة علاقةَ مشابَهة يستعار فيها اللفظ العام للتعبير عن مفهوم خاص، كاستخدام (المجاري) في حديث سيبويه عن مجاري أواخر الكلِم (الكتاب، 1/ 13)، وكاستعمال (الأبنية) في حديثه عن الأفعال التي تبنى لما مضى، ولما يكون ولم يقع وما هو كائن

لم ينقطع (الكتاب، 1/ 12)، وكاستعمال (التكسير) في حديثه عن تكسير الاسم الواحد للجمع بسبب تغيير بنيته، كما يكسّر الإناء، فتؤخذ أجزاؤه ثم تُعجن ليُصنع منها إناء جديد.

اللافت في مصطلحات الكتاب، ما ورثه سيبويه منها وما ابتدعه، أن حضور مصطلحات العلوم الأخرى، غير علم النحو، ليس حضورا قويا مميزا، فلا يكاد الباحث يلمح إلا عددا قليلا من المصطلحات التي تبدو قريبة من مصطلحات علم الفقه كالحسن والقبيح والمستقيم والجزاء والجواز. وقد ألح ميخائيل كارتر على العلاقة الوثيقة في كتاب سيبويه بين النحو والفقه في طريقة التحليل وفي المصطلح[6]. أما المصطلحات المجردة كمصطلحَي (الجوهر) و(العرَض) اللذين يُذكَران بمصطلحات الفلاسفة، فقليلة في الكتاب، ولا يرد هذان المصطلحان إلا مرة واحدة فيه.

يقول سيبويه عن (الطين) إنه «اسمٌ وليس مما يوصف به، ولكنه **جوهر** يضاف إليه ما كان منه» (الكتاب، 2/ 117). أما مصطلح (العرَض) فيرد في عنوان أحد الأبواب: «هذا باب ما يكون في اللفظ من الأعراض» (الكتاب، 1/ 24)، فيشرح السيرافي هذا الباب قائلا: «(من الأعراض) يعني ما يعرض في الكلام فيجيء على غير ما ينبغي أن يكون عليه قياسه» (شرح الكتاب، 2/ 75)، فيبدو المصطلح أقرب إلى الشرح منه إلى الاصطلاح. وكذلك حال مصطلحات (الجنس) و(الصنف) التي لا تتواتر كثيرا في الكتاب لأن سيبويه يفضل عليها مصطلحات منتزعة من العلاقات الاجتماعية ولا سيما تلك المتعلقة بالأسرة كـ(الأمّة) و(القبيل) و(الأم) و(الأخت) و(البنت)[7]. أما السواد الأعظم من مصطلحات الكتاب فمُنتزَع من ألفاظ ما يسمونه باللغة العامة المشتركة، كمصطلحات (الجوف) و(الحلق) و(الخيشوم) و(الثنيّة) وغيرها من مصطلحات الأصوات. وربما تعزز هذه الملاحظات المتعلقة بتكوُّن المصطلح في كتاب سيبويه رأيَ القائلين بأن النحو عربيُّ النشأة، مرتبط بالعلوم العربية الأصيلة، فلا تظهر مصطلحات العلوم الدخيلة فيه.

يلاحظ جيرار تروبو في مقدمة الفهرس الذي صنعه لمفردات كتاب سيبويه، غياب المصدر الصناعي فيها، وغياب أسماء النسبة المبنية على أسم الجنس؛ ليس في الكتاب من هذا القبيل إلا مصطلح واحد هو مصطلح (نحوي). أما مصطلحات (الثلاثي) و(الرباعي) و(الخماسي) فيعبر عنها سيبويه ب(بنات الثلاثة) و(بنات الأربعة) و(بنات الخمسة)، ويجعل تروبو هذا الأمر دليلا على قِدم المصطلح عنده (15-14)[8].

يكشف اختيار مفردات الأسرة مصطلحاتٍ نحويةً عن علاقات النسب التي تشبه علاقات النسب في الأسرة. ويبدو لافتا أن يغيب مصطلح (الأب) في نظام أبوي، فلا يرد لفظ (الأب) إلا بمعناه اللغوي العام، ولا يرد لفظ (الابن) على الإطلاق، فيما يرد مصطلح (الأخ) ثلاث مرات بمعنى (النظير). أما مصطلحات (الأم) و(الأخت) و(البنت) فكثيرة الدوران في الكتاب، وربما

كان ذلك لأن سيبويه يتحدث عن غير العاقل الذي كثيرا ما تستخدم العربية صيغة التأنيث للتعبير عنه؛ فهناك (بنات الحرفين)، و(بنات الثلاثة)، و(بنات الأربعة)، و(بنات الخمسة)، إلى جانب (بنات الواو) و(بنات الياء) و(بنات الهاء) و(بنات العين) و(بنات المضموم). غير أنه لم يكتب العيش طويلا لمصطلح البنات، خلافا لمصطلح (الأخوات) الذي استقر في التراث النحوي العربي للتعبير عن العناصر التي تشترك في مجموعة واحدة، وتربطها علاقة المشابهة بواحد من عناصر المجموعة يكون أكثرَها تصرفا، فهو العنصر النموذجي الأبرز الذي يمثل خصائص المجموعة خير تمثيل، فيكون (أمَّ الباب). وقد ورد مصطلح (الأم) سبع مرات في الكتاب بهذا المعنى، وظل النحويون يتداولون هذا المصطلح بعد سيبويه، فيقولون عن (إنْ مثلا إنها (أم حروف الجزاء). أما مصطلح الأخوات فقد ورد أربعا وتسعين مرة في الكتاب[9]، ولا يزال حيا يرزق حتى في الكتاب المدرسي، فيقال : (كان وأخواتها) و(إنَّ وأخواتها) ربما لأنه لم يُبتدع للتعبير عن الباب مصطلحٌ بسيط، فليس باب (الأحرف المشبهة بالأفعال) أكثر بساطة واختصارا من باب (إنَّ وأخواتها).

ثمة ميدان آخر بالغ الأهمية لجأ إليه سيبويه لوصف العلاقات النحوية، وهو ميدان البناء؛ فقد استخدم البناء ومشتقاته في مصطلحات الصرف ومصطلحات النحو للتعبير عن صيغة الكلمة وشكلها، أو للتعبير عن علاقتها بغيرها من الكلمات في داخل الجملة، فيبنى الفعل على الاسم، ويبنى الاسم على الفعل ، كما يبنى الاسم على الاسم[10] فيما يعرف بالجملة الاسمية، ليكون كلاما. يقول سيبويه عن (هذا) في قولهم : «هذا عبدُ اللهِ منطلقا» : «(هذا) اسم مبتدأ يُبنى عليه ما بعده، وهو (عبد الله). ولم يكن ليكون (هذا) كلاما حتى يُبنى عليه، أو يبنى[11] على ما قبلَه؛ فالمبتدأ مسند، والمبني عليه مسند إليه» (الكتاب، 2/ 78).

إن لجوء سيبويه إلى ميدان البناء لاستعارة مفرداته، وحديثَه عن المبتدأ والمبني عليه، وإسناد كلٍّ واحد منهما إلى الآخر، يجعل الجملة هيكلا وبناء، فيُذكِّر بالقول المنسوب إلى الخليل الذي جعل اللغة بناءً حين سُئل عن العلل التي يَعْتلُّ بها في النحو فقال إنَّ مثلَه في ذلك مثَل رجل حكيم «دخل دارا محكمة البناء، عجيبة النظم والأقسام، وقد صحَّت عنده حكمة بانيها»، فجعل يعتل لكل شيء فيها، «فجائز أن يكون الحكيم الباني للدار فَعل ذلك للعلة التي ذكرها هذا الذي دخل الدار، وجائز أن يكون فَعله لغير تلك العلة» (الزجاجي : الإيضاح، 65-66). وليست هذه الصورة ببعيدة عن صورة اللغة في اللسانيات الحديثة.

د- من العبارة المركبّة إلى المصطلح البسيط:

في الثقافة العربية وفي غيرها أنّ البسيط قبل المركب، لانّ المركب يتشكل من عناصره البسيطة، ويكون بتركيب لفظين أو أكثر في علاقة من العلاقات التي تفرضها أنظمة اللغة، كعلاقة الإضافة أو علاقة النعت بالمنعوت، أو غيرها حسب قوانين التركيب في نظام الخطاب

الخاص بكل لغة من اللغات. وفي كتاب سيبويه فيض من هذه المصطلحات التي لم تحظَ بالعناية اللازمة. وقد استقر كثير من هذه التراكيب مصطلحاً ثابتا منذ زمن طويل، وتوارثه النحويون خلَفاً عن سلَف كمصطلحات (المفعول به)، و(المفعول فيه) و(المضاف إليه)، وبقي غيرها أقرب إلى الشرح منه إلى المصطلح، كـ«الفاعل الذي يتعداه فعله إلى مفعولين، وليس لك أن تقتصر على أحد المفعولين دون الآخَر» (الكتاب، 1/ 39) –وهو ما سُمِّي فيها بعد بأفعال الظن– أو كـ«الفاعلَين والمفعولين اللذين كلُ واحد منهما يفعل بفاعله مثل الذي يَفعلُ به» (الكتاب، 1/ 73) –وهو ما سُمِّي فيها بعد بباب التنازع.

قد يخطر بالبال اعتمادا على ما سبق، أن المصطلح البسيط دائما أولُ، وأن المركَّب تالٍ له، لأن الأول يعتمد على نظام التسمية، والآخَرَ على نظام الخطاب الذي يسمح بجمع العناصر البسيطة وتركيبها حسب قوانينه. غير أن المسألة لا تجري دائما على هذه الصورة، فقد يسبق المركّبُ المصطلحَ البسيطَ فيكونُ أصلا له، وذلك بأن يتشكل المركب من وحدات التسمية البسيطة في مرحلة أولى فيها يشبه شرحَ المفهوم أو حدَّه، ثم يُختَزلُ هذا المركب حين يكثُرُ استخدامه، لأن طولَه يجعله عسير المتناوَل، فيتحول إلى مصطلح بسيط. وبهذا تجري عملية تشكل المصطلح في اتجاهين متعاكسين : من اللفظ البسيط إلى اللفظ المركب في مرحلة أولى، ومن المركب إلى البسيط في مرحلة ثانية.

ثمة ملاحظة مهمة ثانية لا بد منها تتعلق بمعاني الألفاظ في وصف هاتين العمليتين؛ فالمعنى الاصطلاحي للفظ لا يكون واضحا وحاسما إلا في آخر المرحلة الثانية حين يُختصر المركّب فيصبح مصطلحا بسيطا يتداوله أصحاب الاختصاص، أما في ما عدا ذلك فهو أقرب إلى المعنى المعجمي منه إلى المعنى الاصطلاحي، لأن المركّب غالبا ما يكون شرحا للمفهوم، يتوسل بألفاظ اللغة العامة، ثم يُختصر فيصبح مصطلحا دالا على المفهوم الذي كان يدل عليه المركّب.

يمكن أن يمثَّلَ لهذا الاتجاه المزدوِج في كتاب سيبويه بمصطلح (المضارع) الذي يظهر في الكتاب أولَ ما يظهر، عبارةً مركّبة حين يتحدث سيبويه عن «الأفعال المضارعة لأسماء الفاعلِين التي في أوائلها الزوائدُ الأربعُ : الهمزة والتاء والياء والنون» (1/ 13)، ثم تُختصر هذه العبارة بعد ذلك فتصبح «الأفعالَ المضارعة» (1/ 14) بعد سقوط العناصر التي تُجعَل هذه الأفعالُ مضارعةً لها. ومثال ذلك أيضا مصطلح (الحروف) الذي يراد به حروف المعاني دون غيرها، فقد ورد أول ما ورد في الكتاب عبارةً مركبة هي «حرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل» (1/ 12) –ربما لتمييزه من حروف المعجم– ثم أعيدَ توزيعُ العناصر المكونة لهذا المصطلح، فعُبِّرَ عنه بعبارات أخرى مشابهة

له مثل «الحروف التي ليست بأسماء ولا أفعال ولم تجيء إلا لمعنى» (1/ 15)، و«الحروف التي ليست إلا لمعنى وليست بأسماء ولا أفعال» (1/ 17)، ثم بدأت بعض العناصر بالسقوط فقيل : «ما جاء لمعنى وليس باسم ولا فعل» (1/ 12)، أو «ما ليس باسم ولا فعل مما جاء لمعنى» (1/ 15) قبل أن يصبح مصطلحا بسيطا هو (الحرف).

هـ- تأرجح المعنى الاصطلاحي بين العموم والخصوص:

في الثبت الذي أعده جيرار تروبو لمفردات الكتاب تصنيفٌ لهذه المفردات حين تُستخدم بمعناها المعجمي أو بمعناها الاصطلاحي في مجال النحو عموما وفي قضايا المنهج أو في مجالات الأصوات والصرف والتركيب بشكل خاص. ويُعتبَر هذا الثبت أداة عملية جيدة في التمييز بين مصطلحات علم النحو ومفردات اللغة العامة، وتسمح طريقته في التصنيف بملاحظة عدد كبير من المفردات التي تَرِدُ مرة بمعناها المعجمي، ومرة بمعنى اصطلاحي، وهو أمر بالغ الأهمية في دراسة المصطلح.

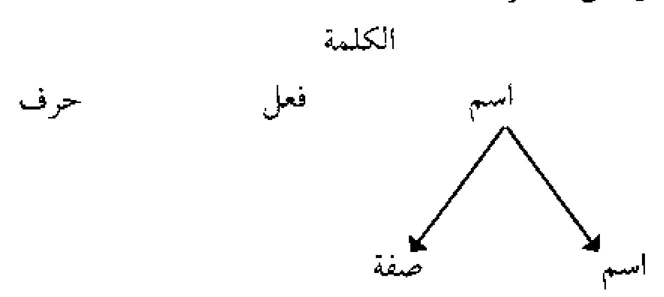
غير أن في المسألة ما هو أخفى مما لا يقدم الثبت له ما يسمح بمحاصرة المعنى فيه ولا سيما حين يتراوح المعنى الاصطلاحي بين العموم والخصوص، وسأمثل لهذه القضية بمصطلح واحد هو مصطلح الاسم :

يرد هذا المصطلح في أول باب من أبواب الكتاب في القسمة المشهورة لأقسام الكلام إلى «اسم وفعل وحرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل» (الكتاب، 1/ 12)، فـ(الاسم) هنا، كما هو واضح، يقع في مقابلة (الفعل) و(الحرف). وهذا يعني أن (الصفة) و(المصدر) و(اسم الفاعل) و(اسم المفعول) وغيرها داخلة في باب الاسم، فكل صفة اسم، وكل مصدر اسم، إلخ، وليس العكس صحيحا.

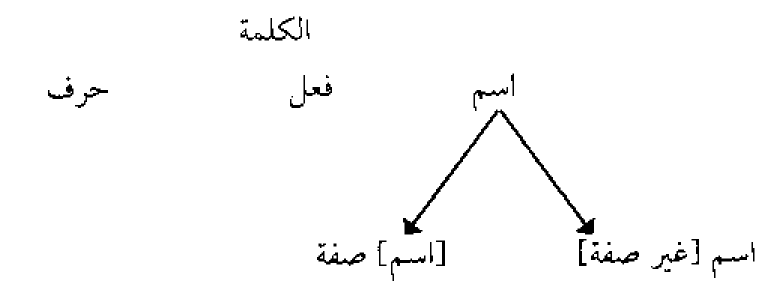
غير أن في الكتاب ما قد يغري بغير هذا، فيُخيَّل لغير المتمرّس أن صاحب الكتاب يتناقض في تقسيمه، فهو يعقد بابا لما «بنَتْه العرب من الأسماء والصفات والأفعال» (4/ 242) يأتي فيه (الاسم) في مقابل (الصفة)، فما كان على ثلاثة أحرف من غير الأفعال فإنه قد يأتي على وزن (فَعْل) ويكون -والقول لسيبويه- «في الأسماء والصفات»، و«يكون (فِعْلا) في الاسم والصفة». و«يكون (فُعْلا) في الأسماء والصفة»، و«يكون (فَعَلا) في الاسم والصفة» (الكتاب، 4/ 243-242)، إلخ. يريد بالاسم هنا الأسماءَ الجامدة، أي الأسماء الأُول التي تعرف في التراث بأسماء الأعيان. مثال هذه المقابلة بين الأسماء والصفات (كلب) و(صعب)، فكلاهما على (فعْل)، غير أن الأول اسم، أي أنه اسم عين، والثاني صفة، وكلاهما داخل في باب الاسم اعتمادا على تقسيم الكلمة إلى ثلاثة أقسام فقط: (الاسم) و(الفعل) و(الحرف). ويقول سيبويه في (مُفاعِل) إنه يكون في الصفة نحو

(مقاتِل ومسافر ومجاهد)، «ولا نَعلمُه جاء اسما»، وقد يختصون الصفة بالبناء دون الاسم، والاسمَ دون الصفة» (الكتاب، 4/ 250) أي أنه لا يعلم اسما من أسماء الأعيان جاء على وزن (مُفاعِل).

هذه الأقوال لسيبويه تجعل (الصفة) في مقابل (الاسم). أما في القسمة الثلاثية للكلام، فالصفة اسم، لأن الكلمة إن لم تكن فعلا ولا حرفا فهي اسم. هذا يعني أن الاسم يأتي مرة بالمعنى الواسع فيعني كلَّ ما ليس بفعل ولا حرف، أي قسما من أقسام الكلام الثلاثة، ويأتي مرة بالمعنى الخاص فيعني قسما من أقسام الاسم نفسه، فهو ليس بفعلٍ ولا حرف، وهو أيضا ليس بصفة. وعليه ينقسم الكلام إلى اسم وفعل وحرف، ثم ينقسم الاسم نفسه إلى اسم وصفة، ولا يمكن بداهة أن يكون مدلول الاسم في الحالتين واحدا لأن الاسم في الحالة الأولى جزء من الاسم في الحالة الثانية، فهما واقعان إذن على مستويين متدرجين من مستويات التصنيف أحدهما جزء من الآخر :



يبدو واضحا من خلال هذا الرسم أن مصطلح (الاسم) لا يمكن أن يغطي المفهوم نفسه في المستويين، وما قد يبدو تناقضا في تصنيف سيبويه ليس في حقيقة الأمر إلا نتيجة لغياب مصطلح خاص بالاسم في المستوى الأدنى للتصنيف، فكأن الاسم ينقسم في الحقيقة إلى قسمين اثنين : اسم هو صفة، واسم هو غير صفة، ثم تُختصَر التسمية فيصبح (الاسمُ الصفةُ) (صفةً)، ويصبح (الاسمُ غيرُ الصفةِ) (اسما)، فيختلط بالاسم الذي في المستوى الأعلى، والذي هو قسيم الفعل والحرف:



سلام بزي حمزة

التعاليق :

[1] أنظر في هذه المسألة: André Roman : *Grammaire de l'arabe*, pp. 6-7. وانظر حديث ابن جني عن خفة الثلاثي واعتدا ،، وثقل الرباعي والخماسي (الخصائص، 1/ 61-59).

[2] G.Troupeau : *Lexique-index du Kitâb de Sîbawayhi* ; Amjad Ταlafheh : *La terminologie grammaticale comp:exe dans le Kitâb de Sîbawayhi*.

[3] انظر في هذه المسألة: عبد ا قادر المهيري: «على هامش المصطلح النحوي في كتاب العين»؛ وانظر كذلك: حسن حمزة: «في تطور المصطلح النحوي».

[4] حسن حمزة: «في تطور المص طلح النحوي العربي».

[5] انظر ابن فارس: الصاحبي في فقه اللغة، 78-81

[6] انظر ؛ M.Carter : « Sîbawayhi », EI, IX, 546-550 REI, XLIV, 86-91 نقدا له في Jonathan Owens : « The comparative study of m :dieval arabic grammatical theory », 425-440

[7] أنظر «M.Carter : «Sîbawayhi

[8] المصطلحات التي تستخد، اسم النسبة كالثلاثي والرباعي والخماسي موجودة في كتاب العين، وفي معاني القرآن للفرا،. أما الأخفش فيستخدم بنات الأربعة، مثله في هذا مثل سيبويه (انظر Hassan Hamzé : Le naÒdar Òinâ'î, p.6 -).

[9] أنظر الثبتين اللذين أعدهما جيرار تروبو وأمجد طلافحة لكتاب سيبويه.

[10] حسن حمزة : «عودة إلى الم سند والمسند إليه في كتاب سيبويه»، 37-38

[11] أي : أو يُبنى (هذا) على م! قبله، فيكون خبرا له.

المصادر والمراجع:

ابن جني : الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت، 1371هج/ 1952م.

ابن فارس : الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، تحقيق مصطفى الشويمي، مؤسسة بدران، بيروت، 1383 هج / 1964م.

ابن هشام : شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ط 10، 1385هج/ 1965م.

حسن حمزة : «في تطور المصطلح النحوي العربي»، دورية علوم اللغة، القاهرة، عدد خاص عن المصطلح النحوي العربي، تحت الطبع.

الزجاجي : الجمل في النحو، تحقيق علي الحمد، مؤسسة الرسالة ودار الأمل، بيروت- إربد، ط1، 1404هج/ 1984م.

الزجاجي : اشتقاق أسماء الله تعالى وصفاته، تحقيق عبد الحسين المبارك، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1406هج/ 1986م.

الزجاجي : الإيضاح في علل النحو، تحقيق مازن المبارك، دار النفائس، بيروت، ط3، 1399هج/ 1979م.

سيبويه : الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، الهيأة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1971- 1979 /.

السيرافي : شرح كتاب سيبويه، تحقيق رمضان عبد التواب، الهيأة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1990

عبد القادر المهيري : «على هامش المصطلح النحوي في كتاب العين»، حوليات الجامعة التونسية، عدد 27، 1988، ص ص 24-30.

Carter, Mickael: "Sibawayhi", *E.I.*, 2ème éd., vol IX, pp. 546-551

Carter, Mickael: REI, XLIV, pp. 86-91

Hamzé, Hassan : « Le masdar sinā'ī en arabe, approche diachronique », *Revue de la Lexicologie*, Mélanges offerts au professeur Ahmed El Ayed, nos 16-17, 1420 /2000-1421 /2001, pp. 5-28.

Owens, Jonathan : «The comparative study of medieval arabic grammatical theory», *Historiographia Linguistica*, offprint, John Benjamins Publishing Company, XXII, n° 3, 1995, pp. 425-440.

Talafheh, Amjad: *La terminologie grammaticale complexe dans le Kitâb de Sîbawayhi*, Thèse de doctorat, Université Lyon 2, France, 2003.

Troupeau, Gérard : *Lexique-index du Kitâb de Sîbawayhi*, Klincksieck, Paris, 1976.

توفيق قريرة
كليّة الآداب والفنون والانسانيّات منوبة، تونس.

الوحدات الاصطلاحيّة المركّبة تركيبا معقدا في كتاب سيبويه

مـقدّمـة:

كتاب سيبويه (ت 180هـ) هو الكتاب النحويّ الذي وصلنا كاملا ،وبدا فيه التفكير النّحويّ على صورة متطوّرة لن تخالفها الآثار اللاّحقة كثيرا. إلاّ أنّ أهمّ ما يميّز هذا الكتاب عن لاحقيه ليس المحتوى النّظريّ بل اللّغة التي عُرض بها وبالأخصّ الجهاز الاصطلاحيّ الذي بدا في مواضع كثيرة منه على درجة ظاهرة من البدائيّة. فالعبارات الاصطلاحيّة قد تجاوزت في كثير من الأحيان الدرجة المقبولة من التركيب إلى درجة منه معقّدة.ولم يكن التعقيد بالضرورة مرتبطا بحرص على الإبانة عن المفاهيم من عناوينها بل كان ركاما من العبارات قد يستحيل فهم محموها فهما يسيرا.

غير أنّ ما نحمله اليوم على الغموض أو العسر في الأداء الاصطلاحيّ كان في عصر الكتاب- وربّما قبله وبالتّأكيد بعده- اختيارا في الصناعة الاصطلاحيّة لا اضطرارا ورؤية في كيفيّة تعيين النّحويّ لمسمّياته قد يخالفها غيره ولكنّه لابدّ أن يراعيها. لذلك سنهتمّ في هذا البحث بما نسمّيه بالمصطلحات المركّبة تركيبا معقّدا نصنّفها بحسب أنواع تركيبها وننظر في القوّة التعيينيّة التي لها بالمقارنة مع غيرها من المصطلحات المفردة أو المركبة تركيبا غير معقّد ، عسانا نقف على رؤية في الصناعة الاصطلاحيّة ليست خاصّة بالكتاب بل بمصنّفات تالية سارت سيرته في طريقة التلقيب منها «المقتضب» للمبرّد (ت285 هـ) و« الأصول لابن السّراج (ت316 هـ).

1 – الوحدات الاصطلاحيّة المركّبة في الكتاب : تصنيف عامّ:

حين استخرج تروبو G.Troupeau[1] جرده من كتاب سيبويه صرف نظره عن المركّبات الاصطلاحيّة، وكان ذلك منه اختيارا يعبّر عن رؤية ترى المصطلح من منظار معجميّ من ناحية وترى أصله الإفراديّ من أخرى. والمنظار الأوّل كما لا يخفى يقود إلى الثاني.

ونحن لن نعود في هذا البحث إلى مناقشة هذه الرؤية إلى صناعة الاصطلاح فلقد فصلنا فيها القول في أطروحتنا حول المصطلح النّحوي[2] ، ولكنّنا نكتفي بأن ننبّه ههنا إلى أنّ التعامل مع المصطلح في خطابه - وهو مهده الشرعيّ- يحتّم على الدّارس الإقلاع عن التصنيفات الجاهزة والتّأصيل الذي لا يفيد دارس الخطاب كثيرا: هل الأصل في الاصطلاح المفردات أم المركّبات؟ وهل الاصل فيها الاسم أم الفعل؟ وغير ذلك من القضايا التي شغلت علماء الاصطلاح زمنا من غير أن تقود في رأينا إلى نتائج عمليّة في غير التصنيف المعجميّ للمادّة الاصطلاحيّة.

إنّ المركّبات الاصطلاحيّة هي من الجهة النّحويّة ألفاظ متكوّنة بواسطة «العقد والتركيب» من أكثر من عبارة تشدّها علاقة إعرابيّة معيّنة(إسناديّة أو إضافيّة أو نعتيّة ..) لا تكون بالضّرورة اعتباطيّة في علاقة الاسم الاصطلاحيّ بمتصوّره لأنّ المصطلِحَ يختار العلاقة النّحويّة الأكثر تلاؤما مع جوهر التسمية. ومن هذا المنطلق فإنّه يجد في الفعل الاصطلاحيّ ما يجده في الأسماء الاصطلاحيّة من فائدة في بناء خطابه الاصطلاحيّ.

وبذا فإنّ المركّبات الاصطلاحيّة ضربان من جهة الدّور الموكول لها في الخطاب أحدهما ذو وظيفة تعيينيّة Désignative بأن يقع على المتصوّر العلميّ يسمّيه ويلقّبه، وقد يسمّيه كما هو الحال في كثير من عبارات الكتاب. أمّا الضرب الثاني فدوره تعبيريّ Expressif من دونه لا يمكن لأيّ محتوى علميّ أن يبلغ ولأيّ خطاب علميّ أن ينشأ.

وفي ضوء هذا التقسيم الثنائيّ يلعب الفعل دورا أساسيّا في الخطاب لأنّ دوره تعبيريّ ، بينما يلعب الاسم دورا أساسيّا في التسمية والتلقيب لأنّ دوره تعيينيّ.ولا يعني ذلك أنّ الاسم محرّم عليه أن يقوم بدور تعبيريّ ولا أنّ الفعل مقصى من دائرة التعيين بل التوزيع هنا بحسب أصليّة الدّور الذي يحمّله الخطاب الاصطلاحيّ لهذا المكوّن اللغوي أو ذاك. إنّ من شأن القسمة المذكورة أن تفرز، لو نظرنا منها إلى كتاب سيبويه، النمطين التاليين من المركّبات المعقّدة:

- النمط الأوّل: هو المركّبات الاسميّة المعقّدة وهي وحدة التعيين والتسمية في الخطاب.

- والنمط الثاني: هو ما يُصطلح عليه بالجملة الورَلسانيّة Métalinguistique[3] وهو الجملة التي موضوعها اللّغة أو التي تصف اللّغة باللّغة. والجملة الورلسانيّة هي وحدة الخطاب الاصطلاحي اللّغوي سواء أكان نحويّا أم غيره.

ولتوضيح النّمطين نقدّم المثالين التّاليين من الكتاب:

(أ)- مصادر بنات الأربعة[4].

(ب)- «وأمّا ما لحقته الزّيادة من بنات الأربعة وجاء على مثال(اسْتَفْعَلْتُ) وما لحق من بنات

الأربعة فإنّ مصدره يجيء على مثال(اسْتَفْعَلْتُ) وذلك (احْرَنْجَمْتُ ، احْرِنْجَامًا)..»(السّابق).

المثالان (أ) و(ب) كلاهما من المركّبات الاصطلاحيّة غير أنّ الفرق بينهما في درجة التّعقيد من ناحية وفي الوظيفة الموكولة لكلّ واحد منهما. فالمركّب الاصطلاحيّ (أ) وظيفته تعيين متصوّر المصدر حسب سمة مميّزة هي عدد الحروف الأصول ولا يقدّم للمتصوّر النّحويّ إلاّ ما به يوسم. بخلاف المركّب (ب) - الذي يتحدّد نحويّا بوحدة الجملة وهي وحدة الخطاب- فإنّه يقدّم عن المتصوّر نفسه تدقيقا وتفصيلا يدخل في جوهر التحديد العلمي للمتصوّر.

غير أنّ الفصل بين النّمطين في الكتاب تعترضه صعوبات منها:

-- أوّلا: أنّ الترابط بين النمطين يكون وثيقا كما في المصطلحات المذكورة في عناوين الأبواب ،فهي عادة ما ترتبط بالمتون ربطا يعسر معه رسم حدود فاصلة بين الدور التعييني للمصطلح والدّور التعبيريّ له من هذا الضرب نذكر على سبيل المثال:

(ج)-: «هذا باب **الوقف في آخر الكلم المتحرّكة في الوصل التي لا تلحقها زيادة في الوقف** فأمّا المرفوع والمضموم فإنّه يوقف عنده على أربعة أوجه: بالإشمام وبغير الإشمام ..وبأن تروم التّحريك وبالتّضعيف»[5].

لقد ميّزنا عمدا بين ما نعتبره مركّبا معقّدا دوره التعيين (بالخطّ العريض) ومركّبا معقّدا هدفه التعبير وهو تمييز يصعب الانتباه إليه لشدّة الارتباط بين العنوان والمتن ولأنّ النحويّ لم يجد في العنوان ما قد يكفيه لإتمام ما يعدّه سمات كفيلة بتعيين الاسم فاسترسل في ذكرها وتفصيلها في المتن.فالاسترسال سببه الشكّ في قدرة الاسم على كشف ما يريد له النّحويّ أن يكشف من سمات مفيدة أو مختصرة.

ثانيا: أنّ المصطلح المركّب قد يطول بشكل مفرط في التعقيد فلا يكون من الخطاب التفسيري الصّرف ولا من الاسم الذي دوره التعيين بل هو مزيج من هذا وذاك وخير دليل على ما نقول باب الفاعل الذي صاغه صاحب الكتاب صياغة معقّدة نكتفي منها بجزء:

(د)-: « هذا باب الفاعل الذي لم يتعدّه فعلُه إلى مفعول، والمفعول الذي لم يتعدّ إليه فعلُ فاعلٍ ولا يتعدّى فعله إلى مفعول آخر ...»[6].

إنّ تنويع النّظر إلى الحقيقة الواحدة من جهات عدّة أو تجميع المتصوّرات المختلفة تحت تسمية واحدة من الأسباب التي جعلت المصطلحات في الكتاب مفرطة التعقيد خارجة من دور تعييني إلى دورتعبيريّ. غير أنّنا ولأسبا ب منهجيّة، سننظر في المركّبات الاصطلاحيّة وفق علاقة تلك المركّبات بالوظيفتين التعيينيّة والتعبيريّة صارفين النّظر عن مثل هذا التّداخل بينهما.

2- المركّبات الاصطلاحيّة والتعيين:

الأسماء الاصطلاحيّة لمركّبة في الكتاب أنواع بحسب درجة تركّبها من البسيط إلى المعقّد وبحسب أنواع العلاقة التركيبيّة الجامعة بين عناصرها. فمن جهة درجة التركّب نجد فئتين من الاصطلاحات فئة درجة تركّبها بسيطة تتكوّن من عنصرين اصطلاحيين متعالقين، وفئة أخرى درجة تركّبها معقّدة يكون أحد طرفي المركّب فيها مركّبا بدوره. ومن جهة نوع التركيب فإنّ الغالب هو المركّبات التالية: المركّب الموصوليّ، النعتي، الإضافيّ وشبه الإسنادي.

1-2 : درجة التركيب الاصطلاحيّ وعلاقتها بالتعيين:

1-1-2 : المركّبات الاصطلاحيّة لبسيطة وأدوارها التعيينيّة:

المركّبات الاصطلاحيّ البسيطة لها في الكتاب كما في غيره من المدوّنات النحويّة الأدوار الأساسيّة التالية:

1)- تعيين الباب الفرعي: وقد يكثر في هذا النمط التركيب الذي يتكوّن طرفاه معا من اصطلاحين، فيكون التركيب الاصطلاحيّ عندئذ من مقتضيات تفريع المتصوّرات.

2)- تعيين الأنواع بقطع النّظر عن أبوابها الكبرى كما في العبارات التالية: (بنات الثلاثة، بنات الأربعة، بنات الخمسة أو بنات الواو وبنات الياء).

3)- تعيين معياري ويكون ذلك بإصدار أحكام يعدّها النّحويّ ضروريّة كما في :(عربيّة جيّدة، قياس مُتْلَئِبٌّ ،وجه الكلام ، حدّ الكلام ..).

4)- تعيين ذو صبغة لسانيّة عامّة أو اجتماعيّة من ذلك أسماء اللّغات العربيّة (لغة الحجاز، لغة تميم ..).

5)- تعيين بعض المتصوّرات بالإحالة على ما تكوّنت منه كعبارتي (الألف واللام ،الصّفة والموصوف).

2-1-2 : مصطلحات العناوين المركّبة تركيبا معقّدا ودورها التعييني

المركّبات الاصطلاحيّة في الكتاب قابلة لأن تتّسع داخليّا بحسب ما تتيحه لها امكانات التّوسّع. وسنميّز ونحن نتحدّث عن دور هذه المصطلحات التعييني بين المركّبات المعتمدة في العناوين وبين غيرها الواسم لمتصوّرات.وما يدعونا إلى هذا التمييز تصوّر للعنونة رأينا لمحة منه في الفقرة الأولى من هذا البحث.

لنأخذ على سبيل المثال العنوان (هـ) التالي:

(هـ)- : هذا باب الترخيم في الأسماء التي كلّ اسم منها من شيئين كانا فضمّ أحدهما إلى صاحبه فجعلا اسما واحدا.[7]

تضمّن العنوان مصطلحا مركزيّا هو الترخيم ركّبت معه عبارات تدلّ على سمات اصطلاحيّة تخصّصه ، لنحصل على متصوّر اختزله النّحاة اللاّحقون في عبارة مختصرة هي: **ترخيم المركّب** أو **الاسم المركّب**.

وإذا كانت عبارة **مركّب** بهذا المتصوّر تغيب في اصطلاحات الكتاب ،فإنّها هي التي لعبت دورا في اختزال عبارة سيبويه المطوّلة. ولكنّ هذا السبب ليس الوحيد في جعل عبارة الكتاب تطول ، فالسبب الحقيقي يتمثّل في رأينا في أنّ صاحب الكتاب أراد من عناوينه أن تحمل خلاصة شافية لمحتوى الفصل ومن هنا جاء الحرص على ذكر مثل تلك السّمات المعيّنة تعيينا فيه تخصيص لنوع الاسم المرخّم.

إنّ لغالب العناوين في الكتاب دورين أحدهما تعيين المتصوّر والثاني اختزال فيه إلماع لمحتوى الفصل ،وقد تختلط في أحيان كثيرة الوظيفتان وتمتزجان حتّى يتعذّر الفصل بينهما؛ وفي أحيان أخرى قد تغلب وظيفة منهما على أخرى.

لقد سمح التركيب المعقّد الذي في مصطلح العنوان كما في (د) أو (هـ) بأن يقدّم النحويّ ما يعدّه سمة فارقة للمصطلح ،ولسنا نعتقد أنّ صاحب الكتاب يقصد بالتعيين في تلك العناوين المعقّدة التسمية Dénomination أي إسناد مصطلح ثابت ومخصوص وإنّما غرضه من عمليّة التعيين الوصفيّة بمعنى ذكر الفصول المعرّفة بالشيء باعتبار دورها المعيّن لا المحدّد (ذاك الذي يذكر في الحدود).

ولإبراز الوصفيّة نقدّم النماذج التالية من العناوين:

(و)- هذا باب ما جرى من الأسماء التي من الأفعال وما أشبهها من الصّفات التي ليست بعمل نحو(الحَسَنُ) و(الكَريمُ) وما أشبه ذلك مُجْرَى الفعل إذا أظهرت بعده الأسماء أو أضمرتها[8]

(ز)- هذا باب ما يُكَسَّرُ ممّا كُسِّرَ للجَمْع وما لا يُكَسَّرُ من أبنية الجمع إذا جعلته اسما لرجُل أو امرأة [9](م: أَعْدَالٌ وأَنْهَارٌ) تكسّر على (أعاديلَ و أَنَاميرَ) و (مَسَاجِدُ و مَفَاتِيحُ) لا تُكَسّر).

تبرز الوصفيّة في العنوان (و) الذي يعيّن الصّفات العاملة عمل الفعل (بقطع النّظر عن كونها أعمالا أو غيرها). والوصف في (و) موجّه إلى تجزيء المتصوّر الأكبر وهو الاسم إلى اسم صفة واسم غير صفة، ثمّ إلى قسمة جزئيه إلى أسماء أعمال وأسماء غير أعمال.وغير الأعمال إلى صفات وما شابهها. وهذا التّفريع تسمح به طريقة التعيين الوصفيّ، ولا تسمح به طريقة التعيين بالتسمية، فبنية الأوّل مفتوحة وبنية الثاني مغلقة؛ والتعيين الأوّل طبيعته

الاختزاليّة انتقائيّة لما يعدّ سمة السمات، والتعيين الثاني طبيعته توسيعيّة فيها تفصيل للسّمات الفارقة. وأهمّ ما يدلّ على المنزع التّفصيلي في (و) الخروج من سرد السّمات إلى التّمثيل عليها من الكلام. وهو تمثيل غرضه بيداغوجيّ التبين بالمثال وغرضه التعييني وسم المتصوّر بمثال طرازيّ كما يقول العرفانيّون اليوم.

أمّا في المثال (ز) فإنّ المصطلح المركزيّ المعيّن هو «ما كُسِّرَ للجَمْع» أو «جمعُ المُكَسَّرِ» في اصطلاح لسيبويه آخر ، و «جمع التّكسير» في الاصطلاح المتواتر. وبقيّة السّمات المرتبطة بالمصطلح المركزيّ ممّا يفصّل هي تعيين لحالة من حالات المتصوّر تقابليّة بحسب حدوث الظّاهرة (تكسير الجمع المسمّى به) أو عدمه. بيد أنّ هذه الحالة لم تحتج في كتب النّحاة اللاّحقين إلى تسمية خاصّة؛ وذلك يعني أنّ من الوصف ما يتولّد منه الاصطلاح ومنه ما لا يتولّد منه؛ وأنّ التعيين بالوصفيّة يمكن أن يحدث في جميع الأبواب المتصوّريّة التي تكوّن النّظريّة ،لكنّ التعيين بالتسمية لا يكون إلاّ في الأبواب المتواضع على تعيينها بالاسم وإن كان هذا التواضع مفتوحا في بعض الأحيان – على النقيض ممّا يحدث في اللّغة- على اختيار المفرد لا الجماعة .

لقد كانت المصطلحات المعقّدة في عناوين الكتاب محليّة لا عامّة ، يصعب أن تفهم من غير رجوع إلى متونها ،فكأنّها هي اصطلاحات سياقيّة ؛ والأصل في المصطلح أن يكون إذا ما استعمل اسما غير مقيّد إلاّ بسياقه الأكبر، سياق العلم الذي يبوّب فيه؛ فالأصل في المصطلحات أن تكون مفردة الدّلالة Monosémique لا متعدّدتها. وقد يتصوّر النّحوي وهو يثقل عباراته في العنوان أنّه يخفّف من الجهد الإدراكيّ بذكر أغلب سمات المعيَّن ، ولكنّ هذا التصوّر قد يَقلِبُ عليه نواياه فيضحي الجهد جهدين :جهد اللفظ وجهد الذهن وعندئذ يصبح المبدأ : التطويل للتّبيير لاغيا ،لأنّ أوضاع الكلام الاصطلاحيّ ليست كأوضاع الكلام العاديّ.

2-2 : نوع المركّب الاصطلاحيّ وعلاقته بالتعيين:

المركّبات المعقّدة الأكثر تواترا في الكتاب هي : الموصولي والنعتي وشبه الإسنادي والإضافي.نقدّم في القسم الموالي من البحث عرضا لها وللدور الوكول إليها في التعيين.

1-2-2 : المركّب الموصولي:

غالبا ما يحضر هذا المركّب في عناوين الأبواب على أنّه من العبارات المُعَيِّنة ، وعادة ما يكون مركّبا من اسم الموصول المشترك (ما) ومنه:

(ح)- ما يعمل عمل الفعل [10]
(ط)- ما ينتصب على إضمار الفعل المتروك إظهاره[11].

ويبدو هذا الضرب من المركّبات المعقّدة الأكثر تواترا في الكتاب ، خصوصا إذا ما نظرنا إلى حضوره باعتباره مكوّنا فرعيّا في بقيّة المركّبات ولا سيّما المركّب النّعتيّ كما في المثال (ي) التالي:

(ي)- الحروف التي تتنزّل بمنزلة الأمر والنّهي.[12]

وبنية هذا المركّب تبدو أقرب إلى الوصفيّة منها إلى القدرة على تعيين المتصوّرات تعيينا دقيقا. و خصوصيّة الوصفيّة في هذا المركّب أنّ المتصوّر الأساسيّ وهو المكوّن الموصوف فيه بالصّلة ، يقدّم بلفظ مفرط في التعميم ومبهم هو الموصول رغم أنّه من الممكن ترجمته باسم من أسماء الأبواب أو المقولات أو غيرها، بل إنّ مقتضيات الصناعة الاصطلاحيّة تحتّم البعد عن الإبهام والإتيان بالأسماء صريحة خصوصا وأنّها في الغالب موجودة. ولنا أن نتساءل والحالة هذه عن الأسباب الدّاعية إلى هذه التّعمية الاصطلاحيّة باستعمال الموصول رأسا للمركّب؟

لقد أراد صاحب الكتاب من خلال هذه البنية التركيبيّة أن يقدّم المصطلح بشكل تكون فيه السّمات الاصطلاحيّة المذكورة في الصلة هي المعرّف الأساسيّ بالمتصوّر قبل أن يوكل الأمر إلى الخطاب. كما أنّ الرّبط بين عبارة مبهمة غير اصطلاحيّة وصلتها يخدم تصوّرا في التعيين لا يرى من الوجيه الرّبط بين المصطلح العامّ وسماته الخصوصيّة بل يجعل السّمات كالكاشف عن الاسم الموسوم بها. وحرص سيبويه على هذا الشكل من التعيين باستخدام الاسم يكون كذلك في بعض العبارات التي يكون فيه المبهم معلوما كما في العبارة التالية:

(ك)- ما يَثْبُتُ فيه التنوينُ من **الأسماء المنفيّة**.[13]

فعبارة الأسماء المنفيّة في (ك) هي المصطلح المركزيّ الذي يمكن تعويض المبهم به كالتالي: الأسماء المنفيّة التي يثبت فيها التنوين. بيد أنّ تحويرا كهذا لا يؤدّي الغرض التعيينيّ المقصود من العبارة الأولى ،إذ إنّ تأخير المصطلح الموضّح على الشكل الذي في (ك) قد جعل الوضوح في الصّلة أي في الموضع المخصّص لتعريف المبهم بالسّمات المفهوميّة وليست نيّته تعيين المتصوّر بتركيب تحدث فيه نسبة بين المصطلح الأساسي والفرعيّ بما هو سمة مقتطعة من المفهوم الخاصّ.

على أنّه من الجدير الملاحظة أنّ موضع المركّب الموصوليّ ليس في خانة التسميات والألقاب الاصطلاحيّة بل في دائرة المفاهيم والحدود . فبالتركيب بين مصطلح سيبويه المعقّد (المشار إليه في اللاّحق بخطّ عريض) وبعض مصطلحات خلفه (المذكورة أوّلا) المعوّضة لها يمكن أن نرى كيف أنّ عبارات الكتاب أولى لها أن تكون معرّفات لا معيّنات كالتالي:

(ل)- :اسم الجمع أو اسم الجنس الجمعيّ: هو ما كان واحدا يقع على الجميع.
(م)- :النعت السببيّ: هو ما يجري عليه صفة ما كان من سببه.

بذا نرى كيف أنّ المركّب الموصوليّ في الاصطلاح النّحويّ يمثّل مرحلة يمكن عدّها بدائيّة في عمر الاصطلاح النّحويّ العربيّ؛ لأنّ البنية الاسميّة (تلك التي تستعمل للتسمية الاصطلاحيّة) تتداخل مع البنية المفهوميّة (التي تستعمل في الحدّ) تداخلا يدلّ على أنّ ما يعيّن الواحدة يمكن أن يعيّن الثانية. ومثل هذا التقاطع لا يستغرب إذا عرفنا أنّ المصطلحات أسماء تُقطع من المفاهيم. ومهما يكن من أمر هذا التّداخل بين البنيتين ،فإنّ سيبويه قد أتاح له استخدام هذا المركّب أن يعيّن كثيرا من المتصوّرات النّحويّة التي ظلّت بعده تفتقر إلى اصطلاحات تلقّبها ؛ لأنّ إعادة هيكلة طائفة كبيرة منها كما في (ل) و (م) قد مكّن بعضها من تسميات جديدة أو مهذّبة من القديمة وحرم البعض الآخر من تعيين كان له في الكتاب فاندمج في تسميات أخرى شملته كما في المثال (ن) التالي:
(ن)- : ما ينتصب من المصادر لأنّه حال وقع فيه الأمر.[14]

تعيّن العبارة (ن) نوعا من المصادر المنصوبة كـ (صَبْرًا) في قولك (قَتَلْتُهُ صَبْرًا) ، وتعيين هذه المصادر المنصوبة كان بمراعاة الدّلالة التركيبيّة الفارقة. غير أنّ هذا الوسم التّمييزي لن يُحتفظ به في كتب اللاّحقين ، وإنّما سيدمج هذا الضرب من المصادر في باب المفعول المطلق.

ومثل هذا الإجراء لم يكن من غير تأثير في كيفيّة معاملة المتصوّرات؛لأنّ التّعامل مع المتصوّرات على أنّها أبواب مخصوصة تعيّنها أسماء مخصوصة - حتّى وإن كانت صفات بدائيّة - يجعلها تحظى بالعناية تحليلا وتعليلا أكثر من دمجها في باب اصطلاحيّ كبير تُختصر فيه إلى عيّنة أو حالة .

2-2-2 : المركّب النعتيّ:

إنّ تعقّد المركّب الاصطلاحيّ كان في الكتاب بأشكال متعدّدة أهمّها أن يكون المنعوت مركّبا بالموصول كما في :
(س)- : المفعول الذي تعدّاه فعله إلى مفعول[15].
(ع)- الفعل الذي يتعدّى اسم الفاعل إلى اسم المفعول واسم الفاعل والمفعول فيه لشيء واحد[16] (كان وأخواته).

وقد يتعقّد التركيب داخليّا بواسطة المركّب شبه الإسناديّ كما في (ص):
(ص)- الأفعال المضارعة للأسماء.[17]

وبقطع النّظر عن الطّرق التي يتركّب بها المصطلح المركّب النعتي ، فإنّ هذا المركّب لا يختلف عن السّابق في المنحى الوصفيّ الذي يصطبغ به الطّابع التعييني. لكنّ الوصفيّة في المركّب

النعتي تختلف عن الموصوليّ في مسألتين على الأقلّ:
- أولاهما: أنّ الوصفيّة لا ترتبط بمبهم أو بعامّ عموميّته شديدة الشّياع ،بل إنّ المنعوت يشترط فيه من جهة التحديد المرجعيّ Détermination لا الإبهام كما هو حال الموصول. لذلك نجد المنعوت وهورأس المركّب عبارة معلومة تنتمي إلى دائرة متصوّريّة دقيقة وهي مثلا المفعول في (س) والفعل في (ع) و (ص).

وما دام الأمر مرتبطا في الاصطلاح بأوضاع النّظريّة لا بأوضاع اللّغة ،فإنّ التحديد المرجعيّ ليس مفيدا إلاّ من داخل الدّائرة المتصوّريّة التي ينتمي إليها المنعوت (المفعول ، الفعل ،،).
- ثانيتهما: أنّ التعيين بالمركّب النعتي يسر سيرا نظاميّا بأن يعيّن المنعوت الرّأس الاصطلاحيّ ويعيّن النعت الدّائرة المتصوّريّة المتفرعة عنه، أوقل إنّ الأوّل يعيّن الباب النحويّ أو المقولة النّحويّة بينما يعيّن الثاني شكلا مخصوصا من تمظهرها: فالتعيين ههنا تعيين سلّميّ بمعنى أنّه يتّجه اتّجاها انحداريّا من الأصل أو ما حمل عليه باتّجاه الفرع أو ما حُمل عليه.

وهكذا فإنّ تعيينيّة المركّب النعتي المعقّد للمصطلح النّحويّ في الكتاب تكتسب ميزتها من وجه الحاجة إليها ،وهي حاجة تنبع من الرّغبة في وسم متصوّرات نحويّة بألقاب متعالقة بواسطة هذا التركيب تعالقا ينسب المتصوّر النّحويّ الأكبر نسبة وصفيّة إلى مقولة تتحقّق فيه أو فرع ينحدر منه . وسار على هذا النهج أصحاب سيبويه فيما ابتدعوه من عبارات.

ويبدو أنّ هذا المركّب كان الأنجع في التسميات الاصطلاحيّة المركّبة بعد الكتاب ونجاعته نابعة من قابليّته أكثر من غيره لأن يُختَزَلَ ومن قدرته على الربط بين متصوّرات متعالقة سلميّا.فهو بهذا الشكل يستجيب للمقتضيات التصنيفيّة Taxinomique للنظريّة النّحويّة ،وهو في هذا تشترك مع المركب الإضافيّ.

3-2-2 : المركّب الإضافيّ:

يدخل التعقيد المركّب الإضافيّ من جهة المضاف إليه بان يكون مركّبا بالعطف كما في (ن):
(ن): بنات الياء والواو.
أو مركّبا إضافيّا كما في (ق):
(ق): تحقير أقلّ العدد[18] (تحقير :قَدَمٌ بقولنا : قُدَيْمٌ).
أو مركّبا شبه إسناديّ كما في (ر) و(ش):
(ر): إضمار الفعل المستعمل إظهاره.[19]
(ش): إضمار الفعل المتروك إظهاره.[20]

وإذا كان أغلب استعمال المركّب الإضافيّ في الكتاب أن يكون بسيطا، فإنّ الحاجة إلى تعقيده تعود في العادة إلى رغبة في زيادة سمات إلى المركّب الإضافيّ لا يمكن أن يفي بها الشكل المبسّط من التركيب.

دور المركّب الاصطلاحيّ الإضافيّ تخصيص الفرع المتصوّريّ .وهذا وإن كان شأن المركّبين السابقين كذلك فإنّ ما يميّز الإضافيّ ينحصر في تأكيد معنى النّسبة وهو معنى الإضافة المركزيّ. وهو في المركّب الاصطلاحيّ يتحقق بأن يتعيّن متصوّر نحويّ ما بانتسابه إلى دائرة متصوّريّة مرتبطة به.

إلاّ أنّ هذا المعنى قد يؤدّى في الظّاهر بمركّبات أخرى كالمركّب النعتي ولكننا سنقارن بين متصوّرين أحدهما يؤدّى بالإضافي والثاني بالنعتي: العبارة الأولى هي المذكورة في (ق): تحقير أقلّ العدد، أمّا العبارة الثّانية فمصطلح نفترضه تقليبا لـ(ق) كالتالي:
(ق'): التّحقير الذي يكون في أقلّ العدد.

العلاقة النسبيّة التي في (ق) تفضي إلى تخصيص التّحقير (التصغير) بما هو مقولة تصريفيّة وذلك بنسبته إلى بعض وجوه تحقّق تلك المقولة في الاسم. وداخل هذه العلاقة النسبيّة العامّة علاقة أخرى نسبيّة تخصّص الاسم المصرّف بمقولة العدد بإضافته إلى لفظ دالّ على تسوير وتكميم هو «أقلّ».

لكنّ العلاقة النعتيّة في (ق') وإن ظهر فيها معنى التّخصيص الوصفيّ ،فإنّ معنى نسبة المتصوّر إلى ما يتحقّق فيه والتي استفيدت من العلاقة الإضافيّة، بدت ههنا كثيرة التستّر وعلى العكس من ذلك بدا التركيز على وسم يراعي فصل نوع من التّحقير عن أنواع أخرى مندرجة في بابه.

4-2-2 : المركّب شبه الإسنادي:

إذا نظرنا إلى حضور هذا المركّب في بقيّة المركّبات عددناه الأكثر تواترا في اصطلاحات الكتاب المركّبة تركيبا معقّدا وهذا المركّب ضربان أحدهما يكون رأسه مصطلحا والثاني يكون عبارة عاديّة غير اصطلاحيّة.

فمن الأمثلة التي يكون فيها رأس المركّب مصطلحا:

(ت): بدل النّكرة من المعرفة.[21]

(ث): الوقف في أواخر الكلم المتحرّكة في الوصل.[22]

عبارتا بدل و وقف اصطلاحان يعيّنان متصوّرين مبوّبين في الإعراب وفي الصوتيّات، وتطلّب تعيين متصورين يتفرّعان عنهما هذا الضرب من المركّب الذي يشبه في تعلّق رأسه ببقيّة العناصر تعلّق الفعل ببقيّة العناصر التي يقتضيها من فاعل ومفعول.

كان من الممكن أن يكون المركّب (ت) إضافيّا (بدل النّكرة)، لكنّ تطلُّبَ تخصيص متصوّر البدل لم يكن ليكتفي بعنصر وحيد بل بعنصرين متعاملين، لذلك جاء هذا المركّب ليصف هذا التعالق الثالوثي بين عبارة مركزيّة هي البدل وعبارتين كانتا موضوع ذلك البدل.
وفي المصطلح (ث) لم يكن ممكنا التعبير الدّقيق عن موضعة الوقف وخصوصيّاته من غير هذا المركّب أو المركّب النعتي الأطول:
(ث'): الوقف الذي يكون في أواخر الكلم المتحرّكة في الوصل.

لكنّ معاملة رأس المركّب على أنّه قابل لإقامة علاقة شبه إسناديّة من غير الإتيان بفعل إضافي كالذي في الصلة (يكون) هو الذي جعل النّحويّ يختزل (ث') في (ث) دون أن يمسّ من تدقيق المتصوّر المخصوص. فالبنية في التركيب شبه الإسنادي تستفيد من التعالق الذي بين رأس المركّب المشتقّ وبقيّة المكوّنات في إقامة مركّب تفصيلي يسم بعض المتصوّرات التي تتطلّب تدقيقات أكثر من غيرها.

ومن التراكيب شبه الإسناديّة التي لا يكون فيها رأس المركّب مصطلحا:
(خ): عذر لوقوع الأمر.[23]
(ذ): استعمال الفعل في اللّفظ.[24]

العبارة(خ) عيّن بها صاحب الكتاب ما بات يعرف بالمفعول له (لأجله) وهي عبارة ذكرها صاحب الكتاب في الباب نفسه الذي وردت فيه (خ)، إذ قال : «فهذا كلّه ينتصب لأنّه مفعول له.»[25]

العبارات التي تكوّن منها (خ) تبدو في ظاهرها عبارات عاديّة غير اصطلاحيّة ،إلاّ أنّ صاحب الكتاب استخدم عبارة «وقوع» على أنّها اصطلاح.ففضلا عن ارتباطها اشتقاقيّا مع عبارة «واقع» التي نعت بها الفعل المتعدّي ، فإنّ المصطلح نفسه قد استخدم في اشتقاق عبارة المفعول له . يقول سيبويه في مطلع الباب الذي ورد فيه المصطلح السّابق متحدّثا عن انتصاب المصادر الواقعة مفعولا له: «..فانتصب لأنّه موقوع له ، ولأنّه تفسير لما قبله لِمَ كان؟»[26] .

وإذا نظرنا إلى المصطلحات الثلاثة بتعالق فهمنا كيف انتقلنا من المركّب المعقّد(خ) إلى المفعول له كالتالي:
- عذر لوقوع الأمر ←——— موقوع له ←——— مفعول له.

فحدث اختصار للمركّب شبه الإسنادي دون أن يستبدل منه مركّب آخر، لأنّ مركّب الجرّ الذي يتعلّق بالمشتقّ ضروريّ في الفصل بين مختلف المفاعيل.

ومن جهة أخرى يختلف المركّب شبه الإسنادي عن بقيّة المركّبات بسمة بارزة وهي أنّ الوصفيّة فيه تقترب من وصفيّة الجمل ، ومادام الأمر كذلك فإنّ هذا المركّب يقع في مرحلة

وسطى بين التعيينيّة والتعبيريّة التي يأخذ سماتها من شبهه بالفعل الاصطلاحيّ الذي منه يبنى الخطاب. ونحن نفصّل البعد التعبيريّ في القسم اللاّحق من هذا المبحث.

3- التركيب الاصطلاحيّ والتعبير:

1-3 : مشكلات نظريّة:

إنّ النظرة المعجميّ للمصطلح ، وهي نظرة سائدة في الدّراسات الاصطلاحيّة الحديثة، قد كان لها دور في بلورة نظريّة لعلم المصطلح Terminologie وفي جعل القواعد التي يمكن أن يستند إليها أيّ تطبيق اصطلاحيّ Terminographie صريحة بعد أن كانت حدسيّة شأنها في ذلك شأن أيّة ممارسة لغويّة قبل التنظير.

لكنّ أعظم تأثير معاكس كان لهذه النّظريّة تمثّل حسب رأينا في النّظر إلى الجهاز الاصطلاحيّ من جهة كونه قائمة اصطلاحيّة Nomenclature خاصّة بفنّ أو بعلم معيّنين. وقلّما ننظر إلى المصطلح في سياق الخطاب الذي نبت فيه أو نظر إليه على أنّه وحدة خطاب مختصّ لا وحدة معجميّة مختصّة ،على الرغم من أنّ العادة القديمة كان فيها الاتّجاهان: اتّجاه يضع جردا لعبارات فنّ معيّن وآخر يدرسها في سياقها الخطابيّ دون أن تحدث قطيعة تذكر بين الاتّجاهين.

على أنّ من يختار - كما اخترنا- بسط القضيّة الاصطلاحيّة على صعيد الخطاب، ينبغي له أن يفكّر في الطريقة التي سيتعامل بها مع الخطاب المخصوص :أينظر إليه من جهة التقنيات والصناعة الاصطلاحيّة أم من جهة المضامين. وسنكون في هذه الحالة أمام مزلقين : فإمّا أن نشكلن الخطاب الاصطلاحيّ ونختزله في مقولات تقنيّة تعزله عن روحه العلميّة، وإمّا أن نميل إلى المضامين المعرفيّة نحاورها فلا يكتسب بحثنا بعده الاصطلاحيّ المنظور.

إنّ القول بأنّ النّظريّة الاصطلاحيّة نظريّة تتقاطع مع معارف واختصاصات متفرّقة (انظر مثلا: M .T .Cabre : 1998) قول لا يفضي إلى حلّ فيما يتعلّق بالتعامل الخطابيّ مع المصطلح، لأنّه يقتضي معاملة هذا الخطاب في ضوء ما تسمح به التّوجّهات العلميّة للعلوم التي يوجد الاصطلاح في تقاطع عبورها نعني بها اللسانيّات والمنطق (من خلال مفهوم المتصوّر المستلهم من هذا الفنّ: Cabre : 1998, 4) والعلم الذي يستخدم تلك الاصطلاحات.

ومن الناحية الإجرائيّة يصعب أن نجد إطارا دراسيّا يمكن التوفيق فيه بين المقتضيات المتدافعة لهذه الفنون المتقاطعة والمجتمعة في بوتقة الخطاب المختصّ الذي عُمْلته المصطلح، لأنّه لابدّ أن يغلب عليه توجّه معيّن؛ بل إنّه داخل التّوجّه الواحد توجد فروع ومسارات متعدّدة ومتشابكة: ففي التوجّه اللساني الطّاغي على دراسة المصطلح نجد المنحى المعجمي

والمنحى اللساني الاجتماعيّ فيما يعرف بعلم الاصطلاح الاجتماعيّ[27] Socioterminologie والمنحى العرفانيّ وغيرها.

إنّ مثل هذه الإشكالات لا تثار في دراسة الخطاب الاصطلاحيّ اللّغويّ لأنّ اللغة فيه رحم مشترك بين القواعد التي تسيّر المصطلح والاجراءات التي تسيّر الخطاب العلميّ. فالنّحويّ مثلا يصطفي عباراته من اللغة ليصفها بها، وما دام الأمر كذلك فإنّ في اللغة ما به تفسّر النّظريّة والاصطلاح معا. ودليلنا على ذلك أنّ الجملة مفهوم نظريّ أساسيّ في الخطاب النّحويّ وهي بدورها مفهوم أساسيّ في الخطاب الاصطلاحيّ النّحويّ، إلى الضرب الأوّل من الجمل نسند تسمية الجملة الورلسانيّة ونسند اسم الجملة الاصطلاحيّة إلى الضرب الثاني.

2-3 : الجملة الورَلسانيّة والجملة الاصطلاحيّة:

ميّزت اللّسانيّة الفرنسيّة «ج. راي ديبوف» Josette Rey– Debove بين الجملة المنعكسة Phrase autonyme والجملة الورلسانيّة Phrase métalinguistique : الجملة الأولى وحدة خطاب عادي تصف وحدة لغويّة. هذه الجملة هي التي نجدها في شرح وحدة معجميّة أو التمثيل لها من الكلام العاديّ[28]. والجملة الثانية هي وحدة خطاب تصف العناصر اللّغويّة أو هي على حدّ عبارة «دي بوف» «جملة في اللغة»[29]. وجمعت تحت تسمية الجملة الورلسانيّة ضروبا ثلاثة توجد على أشكالها الجملة نفسها هي:

- سلسلة من العلامات اللّسانيّة والمحايدة مثل قولنا في المبنيّ :/ **المبنيّ لا يتغيّر**/ .
- سلسلة من العبارات الورَلسانيّة وذات الدلالة المنعكسة والمحايدة كما في :/ **الله هو اسم**/ .
- سلسلة من العلامات الورلسانيّة التي تتكوّن منها جملة جعلت دلالتها منعكسة Autonomysé كما في قولك:/ **أنا غريبٌ (جملة)**/ .

الجملة الورلسانيّة هي في الخطاب النّحويّ الجملة الاصطلاحيّة يلتبس فيها الحديث النظريّ بمختلف تصنيفاته بالكلام العاديّ الذي يؤتى به للتمثيل أو للتّعليل. فالجملة الاصطلاحيّة إن كان قدرها أن تكون في الخطاب اللساني واصفة لنفسها فإنّها في خطابات اصطلاحيّة أخرى تكون من جهة المضمون منفصلة عن اللغة. فالجملة الاصطلاحيّة في الخطاب النّحويّ هي نفسها الجملة الورلسانيّة في تمظهراتها الثلاثة السابقة.

واعتمادا على الأمثلة التالية التي نستقيها من الكتاب نميّز بين الورلسانيّ و الاصطلاحيّ:

(ض): فإن لم تجزم الآخر نصبت[30].

(ظ): وتقول: سِيرَ عليْهِ ليلٌ طويلٌ وسير عليه نهار طويل . وإن لم تذكر الصّفة وأوردت هذا المعنى رفعت.[31]

(غ): هذا باب تحقير ما حذف منه ولا يردّ في التّحقير من قبل أنّ ما بقي إذأ حُقِّرَ يكون على مثال المُحَقَّرِ ولا يخرجُ من أمثلة التّحقيرِ[32].

في النّموذج (ض) جملة اصطلاحيّة تصف حالة من أحوال الجملة الشرطيّة (مثل: أَزَيْدًا إنْ رَأَيْتَ تَضْرِبْ) تألّفت من عبارات اصطلاحيّة كلّ مصطلح يدلّ مفردا على معنى اصطلاحيّ لا تدلّ عليه المجموعة الاصطلاحيّة نفسها إن لم تجتمع بهذا الشكل التركيبي الإسناديّ. وبهذه الجملة انتقلنا من طور التعيين والتسمية التي يؤدّيها المصطلح بما هو وحدة اصطلاحيّة بسيطة أو مركّبة إلى طور التعبير عن المتصوّرات النّحويّة وقد صارت قضايا كما يقول المناطقة. ذلك أنّ التصوّر إذا كان «عنصرا فكريّا وبناء ذهنيّا يمثّل شيئا فرديّا .. ويتكوّن من سلسلة من الخصائص التي يشترك فيها قسم من تلك الأشياء المفردة»[33] فإنّ تلك المتصوّرات مفردة ومركّبة ، المفردة تعيّنها الاصطلاحات بالتركيز على جملة الخصائص» وهي بدورها متصوّرات تستخدم في بناء الفكر والتعبير عنه»[34] ومن هذه الخصائص ينتخب النحويّ خصيصة يستمدّ منها التسمية. أمّا المتصوّرات المركّبة فتعبّر عن القضايا بما سمّيناه جملا اصطلاحيّة.

والجملة الاصطلاحيّ كما في (ض) استفادت بالأساس من الفعل الاصطلاحيّ (تجزم، تنصب) وهذا الفعل المتولّد في رأينا من الأسماء الاصطلاحيّة (لا المنتقل بواسطة التوسيع المجازي إلى الاصطلاح مثلما هو شأن الأسماء) قد حتّمته ضرورة خطابيّة تعبيريّة كما حتّمت الضرورة التعيينيّة وجود الأسماء الاصطلاحيّة.

النّموذج (ظ) كان الخطاب فيه مزدوجا ،فالجزء الأوّل منه وهو المثال ينتمي إلى الخطاب غير الاصطلاحي لكنّه بدخوله لغرض يخدم الخطاب الاصطلاحيّ يصبح جزءا منه. فالجزء الثاني الذي هو هو جوهر الخطاب الاصطلاحيّ قد نزع حياديّة الخطاب العادي وأقحمه في نظامه النظريّ لذلك صار ينظر إلى الكلام العاديّ الذي في المثال من منظار مخصوص هو ما يميّز الخطاب النّحويّ عن غيره من الخطابات التي تدور رحاها حول الكلام.

وأخيرا فإنّ النّموذج (غ) وهو من عناوين الكتاب ورغم موقعه فإنّ التركيب فيه قد طال وجنح للإسناد كي تتولّد به تراكيب لا تمثّل» جملا ورَلسانيّة « كالتي في النمطين السابقين لأنّ الإسناد – وبقطع النّظر عن تمحّضه للاصطلاح أو عدمه- ظلّ مندرجا في مركّب اسميّ أوسع منه وظيفته التعيين لا لتعبير.

3.3 الجملة الاصطلاحيّة والتعبيريّة داخل الخطاب النحويّ:

إنّ تنميط الجمل الورلسانيّة وإن كان مفيدا في دراسة وحدات الخطاب الاصطلاحيّ التعبيريّة وكيفيّات تشكلّها ، فإنّه يظلّ غير كاف إن هو لم يشفع بملاحظة الوحدات نفسها أثناء عملها في الخطاب. وهذا ما نراه اعتمادا على تحليل النصّ التالي من الكتاب تحليلا يقتصر نظره على عمل الجملة الورلسانيّة فيه:

قال سيبويه: «**واعلم أنّ الترخيم لا يكون في مضاف إليه ولا في وصف، لأنّهما غير مُنَادَيَيْن؛ ولا يَرخّم مضاف ولا اسم منوّن في النداء، منْ قِبَلِ أنّه جرى على الأصل وسلم من الحذف، حيث أُجْرِيَ مُجْراه في غير النّداء إذا حملته على ما ينصبُ**»[35].

من الممكن أن نتعامل مع هذا المقطع الخطابيّ تعاملا نفعيّا بأن نستخرج منه المتصوّر المركزيّ وننسب إليه جملة القواعد أو المبادئ المتحكّمة فيه كالتالي:

- المتصوّر الأكبر: **الترخيم** ؛
- المبادئ النظريّة:

أ- لايكون الترخيم في مضاف إليه.

ب- لايكون الترخيم في وصف.

ج- لايكون الترخيم في مضاف منادى.

د- لايكون الترخيم في منادى منوّن.

إلاّ أنّ مثل هذا الاختصار الذي كثيرا ما يلجأ إليه الباحثون في كلّ خطاب اصطلاحي عن الأحكام المتّصلة باصطلاح وعن الحدود و القواعد يلغي شيئين أساسيّن عل الأقلّ هما خصوصيّة الخطابات الاصطلاحيّة من ناحية والسياقات الشارحة أو المعللّة للظواهر النظريّة المرتبطة بالاصطلاح من ناحية أخرى. وبهذا الإلغاء يذهب كثير من الخصائص التعبيريّة للخطاب الاصطلاحيّ.

فبالرّجوع إلى نصّ سيبويه يمكن أن نسوق الملاحظات التّالية حول الخصائص التعبيريّة للخطاب:

* أوّلا:أنّ الجمل الورَلسانيّة قد أدمجت في قالب تعليميّ وجّه الخطاب الاصطلاحيّ وجهة محددة تتطلّب من المتلقّي موقفا لا أكثر وهو أخذ الأحكام على أنّها قواعد لا تتطلّب جدلا بل تبنّيا. وهذا السياق يختلف عن قوالب خطابيّة أخرى تنشأ فيها النظريّات لتكون موضوعا للمجدل والتباري الفكريّ. وقيمة هذا القالب التعليميّ بالنسبة إلى المصطلح أنّه يوجّهه إلى البعد التقعيدي لا إلى البعد الخلافي الجدليّ.

* ثانيا:كانت البنية الدلالية في الجمل الورلسانيّة في هذا الخطاب ثنائيّة تجمع بين المنع وتعليله كالتالي:

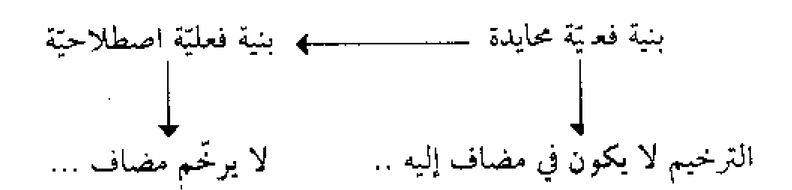
- الترخيم **لايكون**....... **لأنـهما**....

-**لا** يرخّم.................. **من قبل** ......

فمصطلح الترخيم عالق في هذا الخطاب بين بنية تنفي عنه حكما أو إجراء وأخرى تعلّل ذلك النّفي. وإذا كانت البنية الأولى ممّا يدخل في الخطاب تحت آليّة القواعد التي لا جدل فيها فإنّ البنية الثانية قابلة لأن تنفتح على الاختلاف والاجتهاد في وضع علل أخرى لم يذكرها النّحويّ.

وهذه الملاحظة من شأنها أن تبيّن المنافذ التي منها كان الخطاب الاصطلاحيّ مفتوحا على التطوّر والاختلاف.

* ثالثا: سمح الخطاب باستبدال بنية فعليّة محايدة ببنية فعليّة اصطلاحيّة كالتالي:



البنية الفعليّة المحايدة هي الفعل (يكون) الذي استعمل في الجملة الورلسانيّة الأولى استعمالا مساعدا Auxiliaire في بنية اسميّة كان فيها المصطلح الاسميّ «الترخيم» أساسيّا. لكنّ هذه البنية الاسميّة صارت في الجملة الورَلسانيّة الثانية فعليّة، وعوض أن يوجد فعل محايد أو مساعد استعمل النّحويّ فعلا شقيقا في دلالته وحرفه للاسم، وبذا تولّد الفعل الاصطلاحيّ ليعبّر عن مقتضيات خطابيّة تقعيديّة وليختصر بنية أطول كان فيها الاسم الاصطلاحيّ المكوّن الأساسيّ. بهذا نرى كيف تحوّل الاسم في الخطاب إلى فعل دون أن يفقد محتواه التعييني ولكنّه اكتسب طاقة تعبيريّة يحتاجها الخطاب.

خـــــــــاتمة:

قادنا البحث في الوحدات الاصطلاحيّة المركّبة تركيبا معقّدا في كتاب سيبويه إلى التمييز بين وظيفتين أساسيّتين من أهمّ وظائف استخدام المصطلح هما التعيين والتعبير. فلاحظنا أنّ الوظيفتين قد تتقاطعان كما هو الحال في عناوين الكتاب المطوّلة المرتبطة

ارتباطا لفظيّا ومضمونيّا بالمتون. ولكنّ الوظيفة التعيينيّة تظلّ هي المهيمنة على المركّبات الاصطلاحيّة المعقّدة (الموصولة ،والنعتيّة والإضافيّة وشبه الإسناديّة) . وبيّنّا ونحن نحلل لكلّ مركّب اصطلاحيّ خصوصيّته في تعيين المتصوّر وتلقيبه دون أن نلغي ما يربط بينها جميعا من وصفيّة زادتها عمقا التفصيليّة التي في هذه المركّبات وميلها إلى التحليليّة. ولعلّ رأس الفكرة التي يمكن أن يمسك بها قارئ هذا المقال أنّ المنحى التّحليلي في الاصطلاحات يكبر كلّما كبر التركيب وتعقّدت عناصره، لذلك نعتبر الفعل الاصطلاحيّ في سياق الجملة الورلسانية(التي هي وحدة الخطاب الاصطلاحيّ النّحويّ) قمّة التحليليّة: بينما تكون المفردات من الاسماء الاصطلاحيّة فالمركبات البسيطة أقلّ حظّا فيها لأنّها بالاختصار الذي فيها تميل إلى تجريد المتصوّرات المجرّدة أصلا في وحدة طلاليّة دنيا هي جامعة لأهمّ سماتها.

توفيق قريرة

التعاليق:

1- Gerard Troupeau (1976) :Lexique-Index du Kitab de Sibawayhi

2- توفيق قريرة (2003) : المصطلح النّحويّ وتفكير النّحاة العرب ، نشر كليّة الآداب منوبة – دار محمّد علي الحامي ،تونس

3- Josette Rey- Debove (1978 ;1997): Le Méta angage; La Phrase Métalinguistique : Chap .5 pp :165-291.

4- الكتاب:4/ 85

5- الكتاب:4/ 168.

6- الكتاب:1/ 33

7- مثال ذلك:(حضْرَمَوْت) و (مَعديّ كَرِب) : الكتاب :2/ 267.

8- الكتاب: 2/ 36

9- الكتاب : 3/ 407.

10- الكتاب: 1/ 72.

11- المصدر السابق: 1/ 290.

12- الكتاب: 3/ 100.

13- مثاله: (لا خيْرا منهُ لَكَ) و (لاَ حَسَنًا منه لك). – المصدر السّابق: 2/ 287 .

14- الكتاب: 1/ 370 .

15- المصدر السابق: 1/ 41.

16- نفسه:1/ 45.

17- الكتاب: 3/ 5.

18- الكتاب: 3/ 221 .

19- المصدرالسابق:1/ 253

20- نفسه 2/ 182.

21- الكتاب:1/ 441.

22- المصدر السّابق: 4/ 66.

23- الكتاب: 1/ 367.

24- المصدر السّابق:1/ 211

25- الكتاب:1/ 369.

26- المصدرالسابق:1/ 367.

27- F .Gaudin (2003) : Socioterminologie

28- Josette Rey- Debove ; Le Métalangage ;pp :57-162.

29- المصدر السابق: 163.

30- الكتاب: 1/ 133.

31- المصدر السابق: 1/ 220.

32- السابق: 3/ 456.

34- Maria Teresa Cabre(1998) ;La terminologie :théorie, méthode et application, p84

35- المصدر السابق، ص 84.

36- الكتاب: 2/ 240.

المصادر والمراجع:

***- العربيّة:**

سيبويه: الكتاب، تح. عبد السلام محمد هارون ،دار الجيل ،بيروت، 1991 .5ج.

قريرة توفيق: المصطلح النّحويّ وتفكير النّحاة العرب ، نشر كليّة الآداب منّوبة و دارمحمّد علي الحامّي، تونس 2003.

***- الأجنبيّة:**

Maria Teresa Cabre(1998) ; La *terminologie :théorie, méthode et application* ; trad . du Catalan MC Cormier J .Humbley.Presses Universitaires d'Ottawa .Canada.

F .Gaudin (2003) : *Socioterminologie*; Collection Champs linguistique ; éd.de boeck.Duculot

Josette Rey-Debove (1997,1ère éd .1978); *Le Métalangage*, éd.Armand Colin; Paris.

Gerard Troupeau (1976) : *Lexique-Index du Kitab de Sibawayhi* ;Klincksieck, Paris.

أمجد طلافحة
جامعة لوميير ليون2

ظاهرة المشترك في مصطلحات الكتاب

1 - تمهيد

كتاب سيبويه(ت 180هـ) هو أول كتاب في النحو العربي يصل إلينا والرجوع إليه يعني الرجوع إلى ما حفظه لنا هذا الكتاب من جهود اللغويين العرب قبل سيبويه.

والحديث عن مصطلحات الكتاب يعني الحديث عمّا نقله سيبويه من مصطلحات سابقيه وعمّا أضافه هو إلى هذه المصطلحات، وإن كان من الصعب، بل من المستحيل، الجزم بمساهمة سيبويه في هذه المصطلحات أو نسبتها إلى واضعيها من المؤسسين والباحثين الأوائل في علوم العربية.

ستتناول هذه المقالة بالتحليل والنقد ظاهرة المشترك في هذه المصطلحات التي وردت في كتاب سيبويه بصرف النظر عن واضعيها؛ إذ ليس الهدف هنا نسبتها إلى مبتكريها فهذا أمر - كما قلنا - صعب ويحتاج إلى دراسة مستقلة قد لا تفضي إلى نتيجة جديّة؛ بسبب ضياع التراث النحوي منذ عهد أبي الأسود[1] إلى عهد سيبويه. فليس أمامنا، والحالة هذه، إلا نسبة كل ما ورد في الكتاب من مصطلحات إلى سيبويه، فهي إما أن تكون من ابتكاره هو نفسه، وهي في رأينا العدد الأكبر منها، أو أنها من ابتكار غيره ولكنه ارتضاها واستخدمها في كتابه.

ونقصد بالمشترك في مصطلحات سيبويه ما ورد منها من قبيل المشترك المعنوي أو الترادف، وهو «الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد». (السيوطي، المزهر، ج1، ص402)، أو من قبيل المشترك اللفظي. وهو « اللفظ الواحد الدال على معنيين فأكثر» (السيوطي، المزهر، ج1، 369)

لعل أولى الإشارات إلى ظاهرة المشترك في اللغة ما نجده في كتاب سيبويه نفسه، حين حدد العلاقة بين اللفظ والمعنى بقوله: « اعلم أن من كلامهم اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين، واختلاف اللفظين والمعنى واحد، واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين [......] فاختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين هو نحو (جلَسَ وذهبَ). واختلاف اللفظين والمعنى واحد نحو:

(ذهبَ وانطلقَ). واتفاق اللفظين والمعنى مختلف قولك: (وجدت عليه من الموجِدة، ووجدت إذا أردت وِجدان الضالّة). وأشباه هذا كثير» (سيبويه ج1، ص24).

ولسنا هنا بصدد سرد ما قيل عن هاتين الظاهرتين في اللغة بمستواها العام، ولا بصدد ذكر المؤيدين أو المعارضين لهما، ولكن يكفينا من ذلك كله أن نقول بأن كلا الطرفين، من قال بوجود هاتين الظاهرتين ومن عارض وجودهما[2] قد اتفقوا على أمر ـ وهو أن وجودهما على خلاف الأصل، فضلا عن أن المشترك اللفظي يؤدي إلى اللبس. فنجد ابن سيده يقول في المخصص:

«اعلم أن اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين هو وجه القياس الذي يجب أن يكون عليه الألفاظ لأن كل معنى يختص فيه بلفظ لا يشركه فيه لفظ آخر؛ فتنفصل المعاني بألفاظها ولا تلتبس» (ابن سيده، المخصص، ج13، ص258).

وفي هذا المعنى أيضا نجد في المزهر «ولا خلاف أن المشترك على خلاف الأصل.» (السيوطي، المزهر، ج1، ص 370).

كما لا يعنينا في هذه المقالة المشترك الذي نجده في اللغة بمستواها العام، وإنما المشترك الذي نجده في المستوى التقني، أي الاستعمال الاصطلاحي، وإن كان المبدأ فيهما واحدا، إلا أن خطورة هذه الظاهرة أكبر عندما يتعلق الأمر بالمصطلح.

فإذا كانت المصطلحات النحوية، كغيرها من مصطلحات العلوم الأخرى، أداة لتأدية المفاهيم، فإن من أهم سماتها؛ كي تؤدي هذا الغرض، الوضوح والتعبير التام عن هذه المفاهيم، وهذا لا يتأتى إلا إذا كانت العلاقة بين المصطلح والمرجع كما قال غي روندو[3] علاقة أحادية التسمية *(univocitè)* بمعنى أن يكون لكل مرجع تسمية واحدة فقط أي مصطلح واحد، وهي أيضا علاقة أحادية المرجعية أو أحادية الدلالة *(monoréférentialité)*؛ بمعنى أن كل مصطلح مرتبط بمرجع واحد فقط. بل إن البعض، ومنهم جون دوبوا[4]، قد ذهب ـ في الحديث عن أهمية هذه الخاصية «أحادية الدلالة» ـ إلى جعلها من الأمور التي تفرّق بين الاستعمال الاصطلاحي والاستعمال العام لكلمة ما؛ على أساس أن الاستعمال الاصطلاحي أحادي الدلالة _ وإن كان الواقع خلاف ذلك_، في حين أن الاستعمال العام يكون متعدد الدلالة.

2- الترادف في مصطلحات الكتاب:

قلنا بأن الترادف بحسب اللغويين العرب هو «الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد».(السيوطي، المزهر، ج1، ص402)، وأضاف التهانوي بأن تكون هذه الألفاظ مترادفة

في أصل الوضع، فقال في تعريفه: « توارد لفظين أو ألفاظ مفردات بحسب الوضع على معنى واحد» (التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون، ج2، ص215).

الحديث هنا عن الترادف في اللغة على المستوى العام دون الإشارة إلى الترادف في المستوى التقني أو الاصطلاحي، ويبدو أن اللغويين العرب في تلك الفترة لم يهتموا بالتفريق في وجود هذه الظاهرة بين الاستعمال العام والاستعمال الاصطلاحي؛ ذلك أن المصطلحات كانت تستعار من اللغة بمستواها العام لتعبر عن المفاهيم التي استعيرت للتعبير عنها.

أمّا اللغويون الغربيون، فقد فرقوا بين وجود هذه الظاهرة في المستوى العام للغة وبين وجودها في المستوى الاصطلاحي، فجون ليونز مثلا يعرف الترادف بأنه مجموعة من التعبيرات التي لها نفس المعنى[5].

فهذا التعريف يختلف عن التعريفين الواردين سابقا بأنه يأخذ بعين الاعتبار التعابير المركبة أيضا، إلى جانب الكلمات المفردة، في إمكانية دلالتها على نفس المعنى. ويفرق ليونز لاحقا بين نوعين من الترادف، أولها، ويسميه المترادفات ذات المعاني المتقاربة «*neear synonyms*»؛ وسُمي كذلك لأن معاني تلك الألفاظ متقاربة، ولكنها لا تصل إلى حد التشابه التام. أما النوع الثاني فهو المترادفات ذات المعنى الواحد، وهو ما يمكن أن تطلق عليه الترادف الكامل «*parfaite synonymie*" و هو معيار الترادف عنده[6].

فهذا النوع الثاني من الترادف هو الذي يهمنا في هذه المقالة؛ إذ إن الترادف في المستوى التقني (الاستعمال الفني) ترادف مرجعي «*synonymie référentielle*» بمعنى أن المصطلحات المترادفة تسمي المرجع نفسه، وهذا ما أشار إليه لويس غلبيرت حين قال بأن المصطلح العلمي والتقني لا يقبلان إلا الترادف المرجعي[7].

قلنا بأن العلاقة بين المفهوم والمصطلح الذي يدل عليه علاقة،في الحالة المثالية، أحادية التسمية، فهو- أي المصطلح - «رمز لغوي محدد لمفهوم محدد» (فيلبر، Standardisation of Terminology, p.17)، ومعنى العلاقة الأحادية التسمية، تفرُّدُ الرمزِ اللغوي في الدلالة على المفهوم.

غير أن كثيرا من اللغويين يقولون بإمكانية وجود الترادف في اللغة التقنية أو في الاصطلاح، و هذا الترادف، إن وجد، لا بد من أن يكون ترادفا متعلقا بالمرجع نفسه، أي أن تكون المصطلحات المترادفة كلها مرتبطة بنفس المرجع.

لنر الآن ما عليه واقع الحال في مصطلحات سيبويه.

يشتمل كتاب سيبويه على عدد كبير من المصطلحات المترادفة، فهو لا يكاد يستقر على مصطلح واحد للتعبير عن مفهوم معين حتى يلجأ إلى مصطلح آخر للتعبير عن المفهوم نفسه، والأمثلة على ذلك كثيرة، نختار منها بعض المصطلحات البسيطة قبل الحديث عن المصطلحات المركبة.

فسيبويه يستخدم ثلاثة مصطلحات للدلالة على المفهوم النحوي «**النعت**»، إذ يستخدم **الوصف والصفة** إلى جانب النعت. ففي استخدامه لمصطلح **وصف** يقول: « وتقول: مررت برجلٍ كلُّ ماله درهمان، لا يكون فيه إلا الرفع؛ لأن «كل» مبتدأ والدرهمان مبنيان عليه. فإن أردت بقولك: مررت برجل أبي عشرة أبوه جاز، لأنه قد يوصف به، تقول هذا مال كلُّ مال. وليس استعماله [استعمال كل] **وصفا** بقوة أبي عشرة ولا كثرته ...» (سيبويه، ج2، ص27).

ومن استعماله لمصطلح **النعت** قوله: «اعلم أن كل ما جرى **نعتا** على النكرة فإنه منصوب في المعرفة، لأن ما يكون **نعتا** من اسم النكرة يصير خبرا للمعرفة، ... وذلك قولك: مررت بزيدٍ حسنا أبوه.» (سيبويه، ج2، ص33).

وأما استعماله لمصطلح **الصفة**، فكقوله: ... ومما لا يكون إلا رفعا قولك: أأخواك اللذان رأيتُ لأن رأيت صلة للذَين وبه يتم اسما، فكأنك قلت: أأخواك صاحبانا. ... وإذا كان الفعل في موضع **الصفة** فهو كذلك، وذلك قولك: أزيدٌ أنت رجلٌ تضربه، وأكلَّ يوم ثوبا تلبسُه.

فإذا كان **وصفا** فأحسنه أن يكون فيه الهاء، لأنه ليس بموضع إعمال، ولكنه يجوز فيه كما جاز في الوصل، لأنه في موضع ما يكون من الاسم، ولم تكن لتقول: أزيدا أنت رجل تضربه، وأنت إذا جعلته وصفا للمفعول لم تنصبه، لأنه ليس بمبني على الفعل، ولكن الفعل في موضع **الوصف** كما كان في موضع الخبر». (سيبويه، ج1، ص128ـ129).

صحيح أن استخدامه للمصطلح **صفة** قد فاق ـ من ناحية عدد مرات التواتر ـ المصطلحين الآخرين، إلا أنها مع ذلك مصطلحات مترادفة؛ فليس هناك أي إشارة، في استخدامه لهذه المصطلحات، تدل على وجود فرق بينها. لكننا نجد بعض اللغويين اللاحقين يحاولون تفسير ذلك، فابن فارس مثلا يقول في باب النعت: «**النعت هو الوصف** كقولنا هو عاقل وجاهل، وذكر عن الخليل أن **النعت** لا يكون ألا لمحمود، وأن **الوصف** قد يكون فيه وفي غيره»[9]. (الصاحبي في فقه اللغة، ص 88ـ89).

والذي يبدو لنا أن هذه المصطلحات الثلاث بالنسبة للنحويين عامة، و سيبويه بشكل

خاص قد استخدمت على أنها مترادفة للدلالة على الوظيفة النحوية نفسها وهي النعت الذي يتبع المنعوت.

ومن المصطلحات البسيطة المترادفة مصطلحات **المصدر** و**الحدث** و**اسم الحدثان** و**الفعل**؛ فهي كلها قد وردت في كتاب سيبويه لتدل على المصدر. فقد جاء في الكتاب: «والأفعال تكون من هذا على ثلاثة أبنية: على فَعَل يفعُل، وفعَل يفعِل، وفعِل يفعَل، ويكون **المصدر** فَعْلا» (سيبويه، ج4، ص5).

وأما استخدامه مصطلحي **الحدث** و**اسم الحدثان** للدلالة على المصدر فقوله: «واعلم أن الفعل الذي لا يتعدى الفاعل يتعدى إلى **اسم الحَدَثان** الذي أخذ منه، لأنه إنما يذكر ليدل على **الحدث**[...]وذلك قولك: ذهب عبد الله الذهابَ الشديد[...]" (سيبويه، ج1، ص34).

وأما استخدامه **الفعل** للدلالة على المصدر فقوله: «وهذا شِبَع فاحش، إنما تريد الفعل [...] كما قالوا الحَلَب في الحليب والمصدر. وقد يقولون الحَلَب وهم يعنون اللبن. ويقولون حَلبت حَلَبا، يريدون **الفِعل** الذي هو **مصدر**.» (سيبويه، ج4، ص42).

ويبدو أن شيوع استخدام مصطلح المصدر في مقابل مرادفاته يعود إلى تأثر سيبويه بدلالته اللغوية العامة؛ إذ إن المصدر قد سمي هكذا لصدور الفعل عنه كما قال الزمخشري.(ابن يعيش، شرح المفصل، ج1، ص109).

أما استخدامه لمصطلح «**الفِعل**» مرادفا له فربما جاء، في رأينا، تأثرا بالصيغة التي عليها الفعل، وهي وزن فَعَلَ؛ فلا نجده يسمي **المصدر** من الفعل الرباعي أو من الأفعال المزيدة بالفِعل، بل كانت هذه التسمية خاصة بالمصدر من الفعل الثلاثي.

وعلى الرغم من قلة عدد مرات تواتر المصطلحين **حدث** و**حدثان**، إلا أننا نظن أنهما الأكثر تعبيرا عن هذا المفهوم، (مفهوم المصدر)؛ ذلك أنَّ سيبويه يستخدمه في سياق يتعلق بالمصدر في جميع أحواله، ومهما كانت الصيغة التي عليها الفعل المشتق منه؛ فالفعل الذي لا يتعدى الفاعل، مهما كانت صيغته، يتعدى إلى **اسم الحدثان**، فليس هناك تقييد بصيغة معينة، وليس هناك تركيز على سمة واحدة فقط من سمات المرجع، كما هو الحال في مصطلح المصدر الذي سمي كذلك لصدور الفعل عنه.

وبذلك يكون هذا المصطلح هو الأكثر دقة وتعبيرا عن مفهومه، هذا علاوة على ارتباطه بتعريف سيبويه للفعل بأنه «أمثلة أخذت من لفظ **أحداث** الأسماء، وبنيت لما مضى، ولما يكون ولم يقع، وما هو كائن لم ينقطع». (سيبويه، ج. 1، ص 12).

وإذا ما تركنا المصطلح البسيط إلى المصطلح المركب، وجدنا أن هذه الظاهرة أكثر عموما في مصطلحات الكتاب، فلا نكاد نجد مصطلحا مركبا دون أن يكون له مصطلح آخر مرادف، بل ربما تجاوزت المصطلحات المرادفة عشرة المرادفات. سنتناول بعض هذه المصطلحات بالتحليل:

استخدم سيبويه خمسة مصطلحات للدلالة على الوحدة المرجعية التالية «**حرف الجزاء إن**»، إذ يسميها **إن الجزاء** (سيبويه، ج1،ص266) **وإن المجازاة**،(سيبويه، ج1،ص262) **وأصل الجزاء**،(سيبويه،ج3. ص112) **وأم الجزاء**،(سيبويه، ج1، ص134) **وأم حروف الجزاء** (سيبويه، ج3، ص63).

فأما استخدامه لمصطلح **إن الجزاء**، فإنما أراد بنسبة (إن) إلى الجزاء أن يفرق بين هذه الوظيفة ل «إن» وبين الوظائف الأخرى لها، إذ قد تكون للنفي أيضا وقد تكون «إن» المخففة من «إنَّ». وعلى هذا الأساس أيضا استخدم مصطلح «**إن المجازاة**»؛ وكان اختياره لأن ينسبها مرة إلى الجزاء ومرة إلى المجازاة من قبيل التحرر من الالتزام بلفظ واحد، وللعلاقة الكبيرة بينهما، فكلاهما مصدر يؤدي المعنى المطلوب وهو التعليق، فاختياره في الحالتين كان منسجما مع ما تسمح به العربية.

ولربما كان سيكتفي بهذه التسمية لتلك الوحدة المرجعية، لكنه آثر أن يعبر عنها بطريقة أخرى يذكر بها سمة ثانية من سمات هذه الوحدة المرجعية، ألا وهي كونها أم أدوات الجزاء. فنراه يعبر عن هذه السمة بطريقتين مختلفتين، لكنهما تؤديان الغرض نفسه، فاستخدم مرة كلمة «أصل» ونسبها إلى الجزاء فقال: **أصل الجزاء** ، واستخدم في المرة الثانية كلمة «أم» فقال : **أم حروف الجزاء**. وأما استخدامه لمصطلح **أم الجزاء**، فما ذلك إلا من نوع الاختصار الذي لا تضيف ولا تنقص شيئا من سمات الوحدة المرجعية.

وهذا النوع من المصطلحات المترادفة، التي استخدمت من أجل إعطاء بعض السمات للوحدة المرجعية المسماة، كثير الورود عند سيبويه، فهو يسمي الجمع المذكر السالم بمصطلح،**الجمع بالواو والنون** (سيبويه، ج3، ص391)، وبمصطلح آخر مرادف هو **الجمع الذي على حد التثنية** (سيبويه ،ج1،ص17.) هذا إضافة إلى استخدامه للفعل **جَمَعَ** في مصطلحين آخرين، إذ يعبر عن نفس المفهوم بقوله، **جمعَ بالواو والنون** (سيبويه، ج3، ص641)، **وجمعَ على حدِّ التثنية** (سيبويه، ج1، ص18).

فالتسمية بالمصطلح الأول «**الجمع بالواو والنون**» تعبر عن سمة من سمات الوحدة المرجعية، وهي الواسطة المستخدمة للحصول على هذا النوع من الجمع، ألا وهي إضافة الواو

والنون إلى آخر الاسم المفرد، فهي إذن السمة الأولى، وهو إذ يريد أن يعبر عن سمة ثانية فإنه يستخدم لذلك مصطلحا آخر وهو «**الجمع الذي على حد التثنية**» ليشير بذلك إلى شبه بين طريقة تكوّن هذا النوع من الجمع وبين طريقة تكوّن المثنى، فكل منهما يتكون بإلصاق حركة طويلة ونون إلى آخر الاسم المفرد، وتكون هذه الحركة ألفا في حالة المثنى وواوا في الجمع.

وأما استخدامه للفعل جمع[9]، **فالأرجح أنه سابق لاستخدام المصدر وهو الجمع**، وربما يكون في ذلك دليل على خاصية من خواص المصطلح في كتاب سيبويه، وهو التطور الذي نلحظه في بعض مصطلحاته، وبخاصة تلك المصطلحات المركبة التي يشكل طولها المفرط عائقا وحرجا من استعمالها. وما عزوفه عن استخدام الفعل في تكوين مصطلحاته واستبدال المصدر أو أحد المشتقات به، إلا أحد ملامح هذا التطور.

والحقيقة أن هذا النوع من المترادفات كثير الحدوث في الاستعمال التقني (الفني) في العلوم بشكل عام، وهذا ما أشار إليه جاك لوتيلير حين قال بأن سبب هذا النوع من الترادف الذي سماه «الترادف ذو المضمون[10]» «*la synonymie de fond*»، أن كل واحد من المصطلحات المترادفة يشير إلى خاصية أو سمة من سمات الوحدة المرجعية، وهذه المصطلحات المترادفة تشير بمجموعها إلى أكبر عدد من السمات العامة للوحدة المرجعية[11].

ومن المصطلحات المركبة المترادفة أيضا المصطلحات التي تسمي **جمع التكسير**، فسيبويه يسمي هذه الوحدة المرجعية بالمصطلحات: **جمع كُسّر له الواحد** (سيبويه، ج3، ص379)، و**كسّر للجمع** (سيبويه، ج4، ص230)، و**كسّر للجميع** (سيبويه، ج3، ص399) و**كسّر على بناء الجمع** (سيبويه، ج3، ص582)، و**ما كُسّر واحده** (سيبويه، ج3، ص369)، و**كسّر الواحد** (سيبويه، ج3، ص582)، و**التكسير للجمع** (سيبويه، ج3، ص434)، و**تكسير الواحد للجمع** (سيبويه، ج3، ص587)، و**الكسر للجمع** (سيبويه، ج3، ص429)، و**مكسّر للجمع** (سيبويه، ج3، ص416)، و**تكسير على بناء الجمع** (سيبويه، ج4، ص415).

هذه المصطلحات الاثنا عشر تدل كلها على وحدة مرجعية واحدة وهي كما قلنا جمع التكسير، وإذا تأملنا فيها وجدنا أنها ليست من قبيل المصطلحات المترادفة التي يضيف كل واحد منها معلومات عن سمات الوحدة المرجعية، بل إنها كلها تعبر عن سمة واحدة وهي تكسير بناء الواحد للحصول على بناء الجمع.

لكننا نلاحظ أن الفرق بينها يكمن إما في ترتيب الوحدات المركبة لهذه المصطلحات على «المحور النسقي» (*l'axe syntagmatique*)، أو في استبدال بعض هذه الوحدات بوحدات أخرى

من نفس الجذر. فالفرق بين المصطلحين **جمع كُسِّر له الواحد وتكسير الواحد للجمع** هو إعادة ترتيب الوحدات على «المحور النسقي» (*l'axe syntagmatique*)،وكذلك استبدال المصدر «**تكسير**» بالفعل «كُسِّر». أما كلمة «الواحد» فهي لا تضيف شيئا إلى السمات العامة للوحدة المرجعية؛ إذ إن الجمع، مهما كان نوعه، لا يكون إلا من الواحد.

وإذا ما تأملنا المصطلحات، **كسَّر للجمع، والتكسير للجمع، والكسر للجمع، ومكسّر للجمع**، وجدنا أنها كلها تعبر عن الغرض نفسه، وهو تكسير [بناء الواحد] بهدف الحصول على[بناء الجمع]، وهذا الغرض قد عبّر عنه سيبويه مرة باستخدام الفعل «كسّر» والمرات الثلاث الأخرى باستخدام شكلين من أشكال المصادر التي تبيحها العربية للجذر (ك.س.ر) ومرة باستخدام اسم المفعول، من الفعل «كسَّر» وهو «مكسَّر».

وهذا النوع من الترادف، في المصطلحات المركبة، الذي يقوم على استبدال وحدة مكان أخري تقوم مقامها مما تسمح به العربية، كثير الانتشار في كتاب سيبويه؛ كاستبدال المصدر أو اسم الفاعل بالفعل، كما في المثال المذكور أعلاه، وكذلك في مصطلحات مثل **حروف تعمل في الأفعال فتنصبها** (سيبويه، ج3، ص5)، **ما يعمل في الأفعال فينصبها** (سيبويه، ج3، ص10) **والحروف العوامل في الأفعال الناصبة** (سيبويه، ج3، ص110)، ثم **حروف النصب** (سيبويه، ج3، ص5)، التي تسمي كلها وحدة مرجعية واحدة وهي تلك الحروف المختصة بالفعل المضارع والتي تعمل فيه النصب. وفي مثل **الحرف الذي يجر** (سيبويه، ج2، ص160)، **والحرف الجارّ** (سيبويه، ج1، ص437) ثم **حرف الجر** (سيبويه، ج1، ص94)، وتسمي كلها الحروف التي تختص بالأسماء والتي تعمل فيها الجر. هذا علاوة عن **حروف الإضافة** (سيبويه، ج3، ص496)؛ غير أن هذا المصطلح يعبر عن سمة جوهرية أخرى لهذه الحروف، وهي قيامها بإضافة الأفعال إلى الأسماء.

ومن ملامح هذا النوع أيضا الاختيارات التي يقوم بها سيبويه بين أدوات النفي؛ فيستبدل «لا» بـ«لم»، أو يستبدل «ليس» أو «غير» بـ «لا»، كما في المصطلحات **اسم لا يتمكن**(سيبويه، ج4، ص148)، **والأسماء التي لم تتمكن**، (سيبويه، ج1، ص227) **واسم ليس يتمكن** (سيبويه، ج2، ص402)، **والاسم غير المتمكن** (سيبويه، ج3، ص293)، **واسم ليس متمكنا** (سيبويه، ج3، ص298)،.التي تسمي الأسماء التي لا تتحمل جميع الحركات الإعرابية.

فكل هذه المصطلحات المترادفة ترمي إلى التعبير عمّا تدل عليه، وإن اختلفت طرقها والوحدات المستعملة في تركيبها، وما ذلك الاختلاف إلا لاتساع ظاهرة الاختيار الذي تسمح به العربية، وللعلاقة الكبيرة بينها.

وبذلك فإننا نستطيع أن نلخص العوامل المسببة للترادف في كتاب سيبويه بالنقاط التالية:

1- لعل أهم هذه النقاط هو حداثة هذا العلم «النحو» النسبية، فهو بالرغم من قطعه شوطا كبيرا في زمن سيبويه، وبالرغم من النشاط اللغوي الهائل قبل سيبويه، ما زال في مرحلة التطور والنمو ولم يكتسب بعد، كغيره من العلوم في أطوار بدايتها، جميع أدواته اللازمة للتعبير الدقيق عن مفاهيمه، فما هذا التردد في استعمال المصطلحات إلا دليل على أن هذه المصطلحات ما زالت في مرحلة التطور ولما تتخذ شكلها النهائي بعد، فكانت ذات طابع مؤقت بانتظار الوصول إلى مرحلة الاستقرار.

ولعل هذا يتماشى مع ما قاله لويس غيلبير(L. Guilbert) من أن الترادف في المصطلحات يكون ذا طابع مؤقت متعلق ببدايات البحث ونشأة المفاهيم[12].

2- ومن الأسباب الداعية للترادف، محاولة سيبويه التعبير عن السمات العامة للوحدة المرجعية، إذ يحمل كل مصطلح معلومات إضافية عن هذه الوحدة المرجعية،فنراه يسمي المفهوم بمصطلح جديد يركز فيه على سمة جديدة مما يجعل المفهوم أكثر وضوحا. وقد يعبر أحيانا عن السمة ذاتها بطرق متعددة تزيد من عدد المصطلحات المرادفة، لكنها لا تضيف شيئا جديدا إلى السمة نفسها.

3- ثمّ إن سيبويه يحاول أحيانا تعريف مصطلح بمصطلح آخر لظنه أن المفهوم لم يتضح باستعماله المصطلح الأول، ونمثل على ذلك بتعريفه مصطلح **الحشو** **بالصلة** إذ يقول: «فكما أن الذي لا يكون إلا معرفة، لا يكون «ما» و«من» إذا كان الذي بعدهما **حشوا**، وهو **الصلة**، إلا معرفة.»(سيبويه، ج2، ص 107.)

4- وهناك عامل أخر مهم يفسر هذا الكم من المصطلحات المترادفة في كتاب سيبويه، ألا وهو التطور الداخلي في مصطلحات الكتاب، فهذه المصطلحات لم تبق جامدة في جملتها، بل إننا نرى كثيرا منها قد تطور إلى درجة الاستقرار فاستخدمها النحاة اللاحقون لسيبويه، بل إن بعضها قد وصل إلينا بالصورة التي أقرها سيبويه.

فالذي يبدو أن سيبويه كان واعيا للمشكلة المتسببة عن طول مصطلحاته وما يشكله هذا الطول من عائق في وجه استعمالها وانتشارها، فنراه يقدمها أحيانا بطريقة مختصرة تتمتع بقدرمقبول من النضوج والاستقرار، ولعل في ذلك إشارة إلى أن سيبويه عندما كان يقدم المفاهيم النحوية عن طريق تلك المصطلحات المفرطة في الطول، لم يكن يقصد إنشاء

مصطلحات لتدوم، بل كان هدفه الأول إيصال تلك المفاهيم بطريقة تؤدي إلى فهمها؛ ولذلك نراه دائم البحث عن البديل كلما استطاع إليه سبيلا، ساعيا إلى تهذيبها كلما أسعفته أفكاره.

صحيح أن هذا التطور لم يكن في الأغلب منتظما من حيث وروده في الكتاب، إذ نراه أحيانا يعبر عن المفهوم بالمصطلح الناضج في البداية ثم يعود ويستخدم المصطلحات الأخرى المرادفة والتي هي أكثر تعقيدا وما ذلك إلا سمة من سمات الكتاب بشكل عام سواء أكان ذلك في طريقة تبويبه لموضوعات النحو وطرق عرضه لهذه الأبواب، أو في استخدامه للمصطلحات. ولعلنا نلتمس عذرا لسيبويه، فكتابه كان باكورة الإنتاج في كل جهود البحث في النحو العربي، ولم يؤلفه على منوال كتاب سابق فيتجنب هذه العيوب.

3- المشترك اللفظي في مصطلحات الكتاب:

ظاهرة المشترك اللفظي ـ من ناحية الكم ـ أقل أهمية، في مصطلحات الكتاب، من ظاهرة المشترك المعنوي ولكنها قد تكون الأكثر خطورة؛ وذلك لما تتضمنه من اللبس والفوضى في الدلالة.

وحد المشترك أهل الأصول، كما يخبرنا السيوطي، بأنه « اللفظ الواحد الدال على معنيين فأكثر» (السيوطي، المزهر، ج1، 369). وكما قلنا عند الحديث عن المشترك المعنوي ـ الترادف ـ فليس في هذا التعريف تفريق بين المشترك اللفظي في اللغة بمستواها العام وبينه على المستوى الفني (التقني) في اللغة، وإن كان المبدأ واحدا.

لعل أكثر ما يهمنا في التفريق بين المشترك القفظي في المستوى العام للغة وبين ذلك في المستوى الفني، أننا نتحدث في هذا الأخير عن المرجع وليس عن المعنى. فالمصطلح يعد من قبيل المشترك اللفظي إن دل على اثنتين من الوحدات المرجعية أو أكثر، وفي هذه الحالة نقول بأنه مصطلح متعدد المرجعية (*multiréférentiel*) أو متعدد الدلالة (*polysémique*)، في حين أنه إن دل على مرجع واحد فهو أحادي المرجعية (*monoréférentiel*) أو أحادي الدلالة (*monosémique*).

والحقيقة أن المصطلحات المتعددة الدلالة موجودة في كتاب سيبويه، إلا أن وجودها هذا لا يشكل ظاهرة كما كان الأمر في المصطلحات المترادفة؛ فهي وإن كان عددها مهما في المصطلح البسيط، فإنه لا يتعدى عدد أصابع اليد في المصطلح المركب.

فمن المصطلحات البسيطة المتعددة الدلالة مصطلح الحرف. فقد استعمله سيبويه للدلالة على حرف المعنى (الأداة) فمن ذلك قول سيبويه: «وتقول: إن لك هذا عليّ وأنك لا تؤذى، كأنك قلت: وإن لك أنك لا تؤذى. وإن شئت ابتدأت ولم تحمل الكلام على إن لك. وقد قرئ

هذا **الحرف** على وجهين، قال بعضهم: «وإنك لا تظمأ فيها» وقال بعضهم: «وأنك» (سيبويه، ج3، ص123).

واستخدمه أيضا للدلالة على **الكلمة**، وذلك كقوله: «هذا باب **الحروف** التي تنزل بمنزلة الأمر والنهي لأن فيها معنى الأمر والنهي. فمن تلك **الحروف**: حسبك، وكفيك، وشرعك، وأشباهها». (سيبويه، ج3، ص100).

وللدلالة على **الحروف الهجائية (حروف المعجم)**، ومن ذلك قوله: «اعلم أن التثنية تكون في الرفع بالألف والنون، وفي النصب والجر بالياء والنون، ويكون **الحرف** الذي تليه الياء مفتوحا». (سيبويه، ج3، ص385).

ومنها أيضا مصطلح **الفاعل** الذي يدل عند سيبويه على **فاعل الفعل**، كمثل قوله: «هذا باب **الفاعل** الذي يتعداه فعله إلى مفعول» (سيبويه، ج1، ص34). ويدل أيضا على **اسم الفاعل**، مثل قوله: «وليس بين **الفاعل** والمفعول في جميع الأفعال التي لحقتها الزوائد إلا الكسرة التي قبل آخر حرف والفتحة، وليس اسم منها إلا والميم لاحقته أولا مضمومة: فلما قلت مُقاتِل ومُقاتَل فجرى على مثال يُقاتِل ويُقاتَل». (سيبويه، ج4، ص282).

ومثل فاعل، **مفعول** الذي يدل عند سيبويه على **المفعول به** ((سيبويه، ج1، ص33)، وعلى **اسم المفعول** (سيبويه، ج4، ص282).

ففيما يتعلق بهذه المصطلحات البسيطة فيمكن أن نتفق مع ما قاله الن ري من أنها إنما تعددت مرجعياتها لكونها من المصطلحات التي تقترب من العموم[13]، ولذلك نجد أن سيبويه قد خصص لكل مرجع من المراجع التي تدلل عليه مصطلحا آخر يكون في الغالب أحادي الدلالة.

أما مصطلح **فاعل**، فالذي نظنه أن سيبويه قد أطلقه ليدل على فاعل الفعل، وإنما كان إطلاقه ليدل على اسم الفاعل من قبيل التجاوز والاتساع؛ وذلك نظرا لصياغته على وزن «فاعل» من الفعل الثلاثي. ومثل ذلك أيضا مصطلح **مفعول**.

أما المصطلحات المركبة المتعددة الدلالة فكانت قليلة جدا، فهي للدقة ثلاثة مصطلحات فقط هي:

اسم الفاعل الذي يدل على صيغة فاعل (سيبويه، ج1، 164)وعلى فاعل الفعل الناقص (سيبويه، ج1، ص45).

اسم المفعول الذي يدل على صيغة مفعول من الفعل(سيبويه، ج4، ص282) وعلى خبر كان (سيبويه، ج1، ص45)

المفعول به الذي يدل على الظرف (سيبويه، ج1، ص56) وعلى الحال، والمفعول معه (سيبويه، ج1، ص298)

فكل واحد من هذه المصطلحات يدل على مرجعين أو أكثر. والحقيقة أننا إذا كنا قد استطعنا اقتراح أسباب للترادف في مصطلحات الكتاب، فإننا لا نجد ما يبرر المشترك اللفظي في هذه المصطلحات؛ إذ إن ذلك مدعاة للبس والاضطراب، وهذا على عكس المراد من المصطلح بما أن الهدف منها التعبير الواضح عن المرجع، « وليس إدخال الإلباس من الحكمة والصواب، وواضع اللغة ـ عز وجل ـ حكيم عليم، وإنما اللغة موضوعة للإبانة عن المعاني؛ فلو جاز وضع لفظ واحد للدلالة على معنيين مختلفين، أو أحدهما ضد الآخر لما كان ذلك إبانة، بل تعمية وتغطية. (الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام، ج1، ص22)

ولعلنا لا نتفق ـ على الأقل فيما يخص المصطلح في كتاب سيبويه ـ مع ما قاله هيرمانس[14](HERMANS) في تبريره لوجود بعض المصطلحات المتعددة الدلالة، من أنه نوع من الاقتصاد اللغوي. إذ لو كان الأمر على ما قاله، لكان منهجا مطردا في كل مصطلحات الكتاب، ولما وجدنا ذلك الكم الهائل من المصطلحات المترادفة، فكيف نزعم أن سيبويه كان يقصد، باستخدامه مصطلحات متعددة الدلالة، الاقتصاد في اللغة، في حين نراه يسمي المرجع الواحد بعدد من المصطلحات التي قد يصل عددها إلى عشرة أحيانا.

ومع ذلك، فإن المصطلحات المتعددة الدلالة قليلة في كتاب سيبويه، وبخاصة ما كان منها من قبيل المصطلح المركب.وهذا أمر يمكن تفسيره بأن كثيرا من الوحدات المركّبة لتلك المصطلحات كانت تشير إلى سمة من السمات العامة للمرجع، وبما أن هذه السمات تختلف من مرجع إلى آخر، فإن من الصعب أن يدل المصطلح الواحد على وحدتين مرجعيتين مختلفتين. ولعل هذا من أهم خصائص المصطلح المركب.

والذي نقوله في النهاية، إن سيبويه، كان واعيا لمسألة اختياره لمصطلحاته. إذ يريدها مصطلحات واضحة، معبرة ما أمكن عن مفاهيمه، فكان يدل على بعض تلك المفاهيم، كلمنها، بمصطلحات متعددة، ولا يرى بأسا في ذلك ما دام كل منها يزيد من الفهم. وكان في الوقت نفسه، يريدها مصطلحات بعيدة كل البعد عن الإلباس، فجاء بها، في غالبيتها العظمى، مصطلحات أحادية الدلالة، و لقليل الذي جاء منها متعدد الدلالة، كان السياق الذي وردت فيه كفيلا بأن يزيل عنه كل غموض ولبس.

أمجد طلافحة

التعاليق:

[1] ليس الهدف هنا الخوض في الخلافات حول بداية العمل النحوي العربي، للاطلاع على هذه المسألة انظر عصام نور الدين، تاريخ النحو، النشأة والتأسيس، 1995.

[2] في أصل الوضع، بمعنى أن يكون اللفظان يؤديان المعنى نفسه في أصل الوضع.

[3] « *Le rapport qui s'établit entre une dénomination et une notion est mono-référentielle, c'est-à-dire que, pour un terme donné, à une dénomination, correspond une notion et une seule. [...] Ce rapport est également univoque, c'est à-dire que pour un terme donné, à une notion correspond une dénomination et une seule* », Guy RONDEAU, pp. 21-22.

[4] « *Dans une opposition terme vs mot, le terme désigne ici l'emploi monosémique (possédant une signification unique) qui sera fait d'une unité lexicale dans telle ou telle science, soucieuse d'établir une correspondance univoque entre ses concepts et les termes. [...] mot qui désignera, dans cette opposition, l'unité lexicale du vocabulaire générale, essentiellement polysémique (susceptible de significations variées)* », Jean DUBOIS, p. 327.

[5] «*Expressions with the same meaning are synonyms*», John LYONS, *Language*, p. 50.

[6] « *Many of exprssions listed as synonyms in ordinary dictionaries or specialized dictionaries (included Roget's Thesaurus and other dictionaries of synonyms and antonyms) are what may be called « near synonym » : expressions that are more or less similar, but not identical in meaning. Near synonym [...] is not to be confused with various kinds of partial synonyms meet our criterion of identity of meaning* », John LYONS, *Language*, pp. 50-51.

[7] « *Le terme scientifique et technique n'admet pas des synonymies autres que référentielle* », Louis GUILBERT, « La spécificité du terme scientifique et technique », in *Langue française*, n° 17, 1973, p. 17.

[8] هذه إشارة إلى المعنى اللغوي لكلمتي نعت ووصف.

[9] يرجّح الباحث أن الأصل في تسمية المفاهيم هي الأسماء، إذ نجد أسماء لا مقابل لها في الأفعال مثل حجر وسقف، في حين أن لكل فعل مقابلا اسميا وهو المصدر.

[10] Jacques LETHUILLER, *La synonymie en langue de spécialité*, p. 447.

[11] تضرب وداد مصطفى الهادي مثلا آخر أكثر شيوعا لهذا النوع من الترادف، ولكنه ترادف ناتج عن استخدامين في لغتين مختلفتين هما الإنجليزية والفرنسية، وذلك في تسميتها للحاسب الإلكتروني. فهو في الإنجليزية «*computer*»، وبذلك فإن المصطلح باللغة الإنجليزية قد عبر عن سمة من سمات الوحدة المرجعية وهي وظيفته آلة للعدّ، في حين أن المصطلح باللغة الفرنسية «*ordinateur*» قد عبر عن سمة أخرى وهي وظيفته آلة للتنظيم: Widad Mustafa El HADI, *La terminologie arabe des télécommunications : faits de variation*, Thèse, p. 36.

[12] « *La synonymie a d'ailleurs la plupart du temps un caractère très provisoire, elle correspond à la période de recherche et d'élaboration d'un concept ou d'une invention* », Louis GUILBERT, pp. 11–12.

[13] « *En général, plus un terme a une grande extension (et une faible compréhension: plus il est général) et plus il véhicule de valeurs notionnelles différentes* », Alain REY, *La terminologie : noms et notions*, p.85.

[14] « *Une forme d'économie dans le langage scientifique [est le fait qu'] un même terme peut avoir des significations différentes selon le contexte communicatif et scientifique* », Ad HERMANS, p. 531.

مراجع البحث

ـ بالعربية:

الآمدي: الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق إبراهيم العجوز، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.

التهانوي: كشاف اصطلاحات الفنون، دار صادر، بيروت، لبنان، بدون تاريخ.

سيبويه: الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1988.

ابن سيده: المخصص، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ.

السيوطي: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق محمد جاد المولى ومحمد أبو الفضل ابراهيم ومحمد علي البجاوي، المكتبة العصرية، بيروت، 1986.

ابن فارس: الصاحبي في فقه العربية وسنن العرب في كلامها، تحقيق مصطفى الشويمي، سلسلة المكتبة اللغوية العربية، مؤسسة بدران، بيروت، 1964.

نور الدين، عصام: تاريخ النحو النشأة والتأسيس، دار الفكر اللبناني، بيروت، الطبعة الأولى 1995,

ابن يعيش: شرح المفصل، عالم الكتب، بدون تاريخ.

ـ بالفرنسية أو الإنجليزية:

- DUBOIS Jean. et ali: *Dictionnaire de linguistique*, première édition, Paris, librairie Larousse, 1973.
- FELBER, Helmut: *Standardisation in terminology*, Vein, 1985.
- GUILBERT Louis: « La spécificité du terme scientifique et technique », in *Langue française*, N°17, Paris, Larousse, 1973.

- HAMZE Hassan: « La polysémie dans l'œuvre des savants arabes anciens », in *La polysémie ou l'empire des sens*, sous la direction de Sylvianne REMI-GIRAUD et Louis PANIER.
- HERMANS Ad: « La définition des termes scientifiques » in *Meta*, N°3, 1989.
- LETHUILLER Jacques: « La synonymie en langue de spécialité », in *Meta*, N° 3, 1989.
- LYONS John: *Language, Meaning and Context*, London, Fontana, troisième édition, pp.50-51, 1986.
- MUSTAFA ELHADI Widâd: *La terminologie arabe des télécommunications : faits de variation*, Thèse de doctorat, Université Lumière Lyon II, 1989.
- REY Alain: *La Terminologie, Noms et Notions*, Paris, 2ème édition, Presses Universitaires de France, 1992.
- RONDEAU Guy: *Introduction à la Terminologie*, Montréal, Québec, 2ème édition, Ed. Gaetan Morin, 1991.
- TALAFHEH Amjad: *La terminologie grammaticale complexe dans le Kitâb de Sîbawayhi*, Thèse de doctorat, sous la direction de Hassan HAMZE, Lyon II, 2003.

زكية السائح دحماني
كلية الآداب منوبة

توليد المصطلحات الجديدة بالتركيب الصرفي في القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي: دراسة نماذج من المصطلحات العربية من كتاب العشر مقالات في العين

1 - تمهيد:

يُنْجَزُ التوليد الصرفي في اللغة بقواعد معيّنة ، ويكون في اللغات ذات البنية الصرفية المقيدة غير السلسلية بتوظيف أربع قواعد، هي: الاشتقاق والنحت والمعجَمَة والتركيب. ويمثل الاشتقاق في العربية أهم قاعدة توليدية. فهو عملية تحويلية داخلية تطرأ على الجذر فتنقله إلى بنية جذعية فعلية أو اسمية خاضعة لأنماط صيغية ذات معنى. يليه النحت الذي تصاغ بواسطته المفردة من مفردتين بإدماج إحداهما في الأخرى وإسقاط بعض أصواتها. وظاهرة النحت التي ذكرها القدامى[1] والمحدثون[2] قد ظلت قاعدة صرفية توليدية مهمشة في النظام الصرفي العربي. فهي أضعف منزلة من الاشتقاق في التوليد الصرفي ومن المجاز في التوليد الدلالي. أما المَعْجَمَةُ la lexicalisation فتكون بتحويل التركيب النحوي إلى مفردة باختزال مجموع عناصره في وحدة معجمية بسيطة، وبتحويل الجملة أو التركيب من الخاصية التركيبية إلى الخاصية المعجمية3، و يتحقق بها غرضان: أولهما توسيع المعجم بوحدات معجمية جديدة انطلاقا من وحدات نحوية منتمية إلى التركيب النحوي la syntaxe، كحوقل من «لا حول ولا قوة إلا بالله»، وثانيهما تحقيق الاقتصاد اللغوي في تراكيب يكثر استعمالها في الخطاب مثل «باسم الله» الذي وُلّد منه بَسْمَلَ، و «الحمد لله» الذي ولّد منه حَمْدَلَ. ومثل النحت تظلّ المعجمة محدودة الأثر في ابتكار مفردات جديدة.

أما التركيب la composition فهو يختلف عن النحت والمعجمة بقيامه على الجمع بين وحدتين معجميتين بسيطتين أو أكثر دون حذف مكوّن معجمي أو عنصر صوتيّ.

2 - قاعدة التركيب:

2 - 1 - مفهوم التركيب عند القدامى:

إن مفهوم التركيب قديم، فقد تعرضت له كتب النحو عند معالجتها لتكوّن الوحدات

المعجمية البسيطة والمركبة، وذكر اللغويون من المركبات انواعا، منها التركيب المزجي كبعلبك وحضرموت وخمسة عشر وحيص بيص، والتركيب الإضافي كأيدي سبأ، والتركيبالإسنادي كتأبط شرا وسرّ من رأى. فلتركيب يشمل عندهم ما يسمى اليوم في اللسانيات التضامّ la cooccurrence(بئر ارتوازية. أم القرى) والتلازم la collocation (حرف جر + اسم، حرف نصب + فعل مضارع). والتعابير الاصطلاحية les expressions idiomatiques (لبى داعي ربه-مات حتف انفه)[4].

لم يحظ التركيب، كظاهرة توليدية صرفية بما حظيت به قواعد التوليد الصرفي الأخرى من عناية. ونتيجة هذا التفاوت في الاهتمام فان الاختلاف في تناول قضايا التركيب واضحة بين اللغويين، وعدم الاتفاق على ضبط قواعد النسبة إلى المركب مثال بيّن على ذلك. فالاسترابادي[5] ينسب إلى صدر المركب كتأبّطيّ من تأبّط شرّا وخمسيّ من خمسة عشر وبعليّ من بعلبك. وقد ينسب إلى كامل المركب من غير حذف، إذا خف، كبعلبكيّ. أما الجرمي فقد أجاز النسبة إلى الجزء الثاني[6]. بينما رأى السجستاني إلحاق ياء النسبة بجزئي العدد كإحدى عشري[7]. وينسب إلى المضاف إليه من المركب الإضافي ويترك المضاف إذا كان مطردا مثل أم وابن وأبو (أبو الزبير: زبيريّ)، بينما ينسب في حالات أخرى إلى المضاف متى كان المضاف إليه غير معروف كامرئي نسبة إلى امريء القيس. وتبنى النسبة بالنحت من الاسم المركب تركيبا إضافيا على وزن فعلليّ بحذف بعض الأصوات من المكون الأول والمكون الثاني كعبشميّ من عبد شمس، مع عدم التنصيص على عدد الحروف المحذوفة وعلى مكانها من كل مكون.

إن دراسة اللغويين القدامى للمركبات قد تركزت أساسا على المستوى الإعرابيّ التركيبي syntaxique والمستوى التصريفي flexionnel. ولم تهتم كثيرا بظاهرة التوليد المعجمي فيها.

2 – 2 – مفهوم التركيب لسانيا :

التركيب شكليا هو تجميع وحدات من المعجم تبنى منها وحدات جديدة تسمى مركبة إذا تكونت من وحدتين بسيطتين ومعقدة إذا تكونت من ثلاث وحدات بسيطة أو كثر. وهو دلاليا اختزال معنى الوحدتين أو الوحدات في معنى جديد . ويتطلب الانتقال من العبارة أو الجملة الأساسية إلى الوحدة المعجمية المركبة تحقيق بعض التحويلات des transformations، توظف فيها مقولة الاسمية التي يتولد عنها مركب اسمي أو مركّب نعتي رأسه صفة (كثير الرماد، طويل العماد). فالتركيب كما يقول لوي غلبار(Louis Guilbert) يتعارض والفعلية la verbalisation[8].

أمّا ما كان من التراكيب من نوع «مشى وجاء aller et venir (جيئة وذهابا) فهو لا يحمل على ظاهرة التركيب - لأنه من باب العطف [9] la coordination - كما يُحمَل غيرها من الاستعمالات التي تلازمت فيها الأفعال فشابهت المركب كبعض الأفعال المستعملة في لغة القانون على أنها في بنيتها العميقة مركبات اسمية تحولت بالتغيير إلى مركباتإسنادية فعلية حذف حرف العطف الذي بينها لغاية بلاغية. فهي تراكيب حاصلة بالفصل بين عناصرها par asyndète)[10]) والربط بينها من نوع الربط بين الجمل والعبارات ربط خطي متقطع (نذكر منها:saisir – gagner, saisir – revendiquer, saisir– brander[11]).

إلا أن خاصية الاسمية التي تتصف بها المركبات لا تنفي إمكانية احتوائها على فعل كعنصر من عناصر المركب المعجمي الاسمي أو النعتي: marteau à plaquer، العضلات التي تحرك العين.

إن ما يميز المركب المعجمي l'unité lexicale composée ou complexe عن المركب الحر في الجملة l'unité syntaxique libre، مجموعة من السمات الصرفية والتركيبية تتحقق في أكبر عدد من المركبات يلخصها لوي غلبار في النقاط التالية[12]:

-العنصر الأول في المركب المعجمي لا يطابق عددا أداة التعريف le déterminant :
Un tire–bouchon à des tire–bouchons.
-يتحد العنصران اتحادا تاما مما يجعلهما كالكتلة الواحدة : portefeuille.
-يجمع بين العنصرين بخط واصل : aide–soignante
-يمكن تغيير محلات عنصري المركب على عكس ما كانا عليه في الجملة: télévision
-تحتوي المركبات العلمية على عناصر رابطة مثلi و o في Thermomètre.

وقد اهتمت بالظاهرة أيضا الباحثة الفرنسية فرنسواز مورترو Françoise Mortureux [13] وبينت أن دراسة التركيب كانت تقابل في الفرنسية بين صنفين من المركبات: مركبات علمية «savantes» تقتبس من اللغتين اليونانية واللاتينية أصولها ونحوها الداخلي، ومركبات «شعبية» populaires رائجة بين مستعملي اللغة، تستمد أصولها من اللغة الفرنسية حسب ترتيب النحو الفرنسي للمكونات. ثم تطورت دراسة التركيب، وتجاوز اللسانيون هذا المنهج التقابلي بين نوعي المركبات، وعوضوه بمناهج ومقاربات لسانية أعطت أنواعا أخرى من المركبات منها المركبات العلمية [14]savantes ou allogènes التي تتكون أساسا من عناصر لسانية مقترضة من اليونانية واللاتينية ومن عناصر فرنسية: (مثل cardiogramme, aérostagnation).

وقد توصل البحث اللغوي أيضا إلى ابتكار منهج في التركيب يقوم على توليد وحدات علمية مركبة بها يمكن عد. نحتا بإنقاص عناصر صرفية وصوتية morphophonologique، يؤسس بها لوحدات جديدة مختزلة ومثالها: stagnation + inflation: stagflation. هذه الطريقة النحتية قديمة في النظام الصرفي العربي حديثة نسبيا في نظام اللغة الفرنسية، اصطلح عليها بالأكرونيم[15] Acrcnyme.

وإلى جانب الألو-ين والأكرونيم يوجد صنف آخر من المركبات يعبر عنه بالفرنسية بمصطلح[16] les conglomérés وهي مركبات تضم أكثر من مكونين لذلك اعتبرت معقدة تكون في بنيتها الأصلية تركيبا إسناديا محولا إلى تركيب اسمي ومثاله monte en l'air. أو هي عبارة ظرفية une locution adverbiale، عناصرها غير قابلة للتجزئة، فتعامل كالاسم الواحد: aujourd'hui.

وقد أشار اللساني الفرنسي بنفينست E. Benveniste إلى الفرق بين congloméré و synapsie[17]. فالنوع الأول من المركبات congloméré خاصيته الاتحاد بين عناصره. أما النوع الثاني فهو حادث أطلق عليه بنفينست مصطلح synapsie، وتمثل الخصائص التالية سماته الأساسية[18]:

-يتكوّن من وحدات حرة ويخلو من عناصر رابطة توجد في المركب العلمي مثل (o وi)

-يقتصر على مقولة الاسم والصفة.

-يكون الوصل بين عناصره بروابط نحوية من نوع (à, de, par).

تتمثل ميزة هذا الصنف من التراكيب التي تحدث عنها بنفيست قياسا على تراكيب قديمة مثل pomme de terre, plat à barbe[19] ، في أنها مكنت من تكوين مركبات معقدة لا يحدّ من طولها حتى تستجيب لحاجة اللغة الى وضع عدد لا متناه من المصطلحات إضافة إلى أنها وظّفت التركيب الإعرابيّ la composition syntaxique الذي هو وليد تحويل الجملة الأساسية وانتقال المركّب المعقّد الاسمي من مستوى الجملة أي التركيب النحوي إلى مستوى المعجم أي الوحدة المعجمية المركبة. ويذكر بنفنيست لهذا التحويل أمثلة منها[20]: Il garde un asile la nuit: gardien d'asile de nuit.

ويمكن بعد هذا أن نعتبر نظام التركيب في العربية شبيها إلى حد كبير بنظام التركيب في اللغات الهندية الأوروبية. ولا غرابة في ذلك فالمجموعتان تنضويان تحت صنف اللغات التصريفية[21] les langues flexionnelles .

تحتوي العربية على وحدات مركبة ذات عنصرين معجميين وعلى وحدات معقدة رأسها اسم أو صفة، منها ما هو ثلاثي (قرن الإبل المحرق)22 ومنها ما هو رباعي (الأدوية التي تحد البصر)[23]

ومنها ما هو خماسي (الغشاء الذي فوق قحف الرأس)[24] ومنها ما هو سداسي (الحكة المزمنة التي تكون في الأجفان)[25] ، وقد تبلغ السبعة عناصر (الثقب الذي في العظم الذي في قعر العين)[26]. فكل مركب زادت عناصره على الاثنين عُدَّ معقّدا.و تغلب سمة الاسمية على التركيب بأنواعه، وتليه الوصفية، وتكثر الوحدات المركبة والمعقدة في المعجم المختص خلافا للمعجم العام الذي تكثر فيه الوحدات البسيطة من مقولات الفعل والاسم والصفة والظرف.

3 - المدونة:

تتكون مدونة المركبات المولدة التي سندرس من مصطلحات استخرجناها من المقالتين الأولى والثامنة من كتاب العشر مقالات في العين لحنين بن إسحاق. وقد بوبنا المركبات في المقالتين بتقسيمها إلى مركبات حقيقية هي الثنائية العناصر ويقابلها بالفرنسية مصطلح com-posés ومركبات تجاوزت في تكوّنها ثلاثة عناصر فهي مركيات معقدةcomplexes وبالاعتماد على المدونة، سندرس إذن قاعدة التركيب في مصدرعلمي قديم هو العشر مقالات في العين وفي مجال مخصوص هو طب العيون.

وتمثل الصفحات في الثبت التالي درجة تواتر المصطلح المركب في كل مقالة ويصاحبها المقابل اليوناني متى ذكر في النص. كما أننا اعتمدنا رموزا تصاحب كل تركيب وتشير إلى طبيعة المصطلح ومجاله ، وهي:

ع: عضو

د: دواء

ق: قروح/ مرض.

(1) – المقالة الأولى: في طبيعة العين وتركيبها:

1 – المركبات الثنائية العناصر (composés):

أ المركب الإضافي (اسم+ اسم N+N)

المركب	خاصيته	مقابله اليوناني	الصفحة
بياض البيض	(ع)		82-74
عضل العين	(ع)		81

عظم الرأس	(ع)		77
قحف الرأس	(ع)		78
آفة العظم	(ق)		78
بياض العين	(ع)		82

ب - المركب النعتي (اسم + صفة N + adj)

الأعضاء المركبة	(ع)		73
الرطوبة الجليدية	(ع)	قريسطالويذاس	80-79-78-77-76-75
الرطوبة الزجاجية	(ع)	إيالويذاس	78-77-76-74
حجاب شبكي	(ع)	امفيليسطر ويذيس خيطن	77-74
الطبقة المشيمية	(ع)	خوريويذيس خيطن	80-78-74
الطبقة النورية	(ع)		لوحة رقم 3
الطبقة الصلبة	(ع)	سقليروس	79-75
العصبة الصلبة	(ع)		83
الحجاب الصلب	(ع)		77
الروح النفسانيّ	(ع)		77
الغشاء الرقيق	(ع)		87-77
الروح النوريّ	(ع)		77
الطبقة الشبكية	(ع)	خوريوذيس	78-80

الحجاب الخارج	(ع)	أفيفافيقوس	79
الحجاب القرنيّ	(ع)		79
الطبقة العنبية	(ع)	راغويذيس خيطن	80-79
الطبقة القرنية	(ع)	قيراطاويذيس	79
الرطوبة البيضية	(ع)	اوويذاس	79
الطبقة الخارجية/ الملتحمة	(ع)	افيفافيقوس	81
العصبة الصلبة	(ع)		82
العضل الحجاب	(ع)	أفيفافيقوس	82
الجفن الأعلى	(ع)		82
الجفن الأسفل	(ع)		82
الحجاب الرقيق	(ع)		77

2 – المركبات المعقدة (complexes):
-اسم + مر. موصولي اسمي
-اسم + مر موصولي اسمي+ مر. موصولي اسمي
-اسم + مر. شبه اسنادي
-اسم + مر. بالجر (ب+اسم)
- اسم + مر. نعتي
-اسم + مر. إضافي

عصبة الدماغ الصلبة	(ع)		76
عصبة الدماغ اللينة	(ع)		76
الرطوبة الشبيهة بالجليد:	(ع)	قريسطالويذاس	73
النور من الدماغ	(ع)		لوحة رقم 2
الرطوبة الشبيهة ببياض البيض:	(ع)	أوويذاس	80-75
الرطوبة التي خلف الجليدية	(ع)		75

الطبقة الشبيهة بالشبكة	(ع)		79-76
العضل المحرك للعين	(ع)		77
حجاب رقيق ليّن	(ع)		77
حجاب غليظ صلب	(ع)		77
آفة عظم الرأس	(ق)		77
الثقب الذي في العين الذي في قعر العين	(ع)		77
الغشاء الشبيه بالقرن	(ع)		79
العشاء الغليظ الصلب	(ع)		78
الرطوبة التي قدام الجليدية	(ع)		78
الغشاء الرقيق الذي على العصبة	(ع)		78
الغشاء الغليظ الذي على العصبة	(ع)		78
الغشاء الرقيق الشبيه بالقرن	(ع)		79
روح مضيء نير	(ع)		79
الغشاء الشبيه بالمشيمة	(ع)		79
الغشاء الذي فوق قحف الرأس	(ع)		79
الرطوبة التي تشبه بياض البيض	(ع)		79
الغشاء الذي على نصف الجليدية	(ع)		80
العضلات التي تحرك العين	(ع)		81

(2)- المقالة الثامنة: في أدوية العين وأجناسها وفنون استعمالها:

1 – المركبات الثنائية العناصر:

أ – المركب الإضافي:

عيدان البطباط	(د)		158
عصارة الهوفوقسطيذاس	(د)		160-158
ماء اللفاح	(د)		169-158
ماء البابونج	(د)		158
قشر الكندر	(د)		168-158
قشر اليبروح	(د)		158
سنبل الطّيب	(د)		158
زهرة النحاس	(د)		167-163-159
بياض البيض	(د)		168-163-159
خشونة الأجفان	(ق)		168-167-163-161
ماء الرازيانج	(د)		165-163
صفاقات العين	(ع)		166-164
ماء الحلبة	(د)		169-166
ماء الورد	(د)		168
ماء الصمغ	(د)		166
ماء الكثيرا	(د)		166
قرن العنز	(ق)		167
حكة الأجفان	(ق)		167
الدار صيني	(د)		166-161
توبال الحديد	(د)		168-159
توبال النحاس	(د)		167-163-159
بزر الورد	(د)		168
دقاق الكندر	(د)		168
ماء الحصرم	(د)		168
دفع السيلان	(ق)		168

ب – المركب النعتي (اسم + صفة)

الادوية المعتدلة	(د)		165
الأورام الصلبة	(ق)		160
جوهر أرضي	(د)		160
جوهر مائي	(د)		160
الرطوبة المائية	(ق)		165-163
النحاس المحرق	(د)		167-163
التّوتيا المغسول	(د)		165-163
الرطوبة المائية	(ق)		165-163
الإقليميا المحرقة	(د)		165
الاسفيذاج المغسول	(د)		165
الأثمد المغسول	(د)		165
الأدوية المسددة	(د)		165
أدوية حجارية	(د)		165
اسخان معتدل	(د)		166
الرطوبة الحارة	(ق)		166
الأدوية الفتاحة	(د)		166
الأدوية المنضجة	(د)		168-166
القرون المحرقة	(د)		167
الأثر الغليظ	(ق)		167
القلقديس المحرق	(ق)		167
الأدوية القابضة	(د)		168
الادوية المعفنة	(د)		167
الأدوية الأرضية	(د)		168
صفاقات العين	(ع)		166-164
أدوية مخدرة	(د)		169-166
الادوية الجلاء	(د)		167
العفص الفج	(د)		168
الحضض الهندي	(د)		169
اكحال مسخنة	(د)		169

2 - المركبات المعقدة:

الآثار التي في العين	(ق)	159
ظلمة البصر الحادثة عن الغلظ	(ق)	159
القروح التي في العين	(ق)	159
الماء الذي في العين	(ق)	160
القروح التي يعسر اندمالها	(ق)	161
زيادة اللحم في القروح	(ق)	161
الفضلة الغليظة اللزجة	(ق)	162
السيلان الذي يعرض في العين	(ق)	163
القروح التي في الاجساد اللينة	(ق)	163
تجفيف السيلان اللطيف الحار	(ق)	164
الرطوبة المحتبسة في أوراد العين	(ق)	164
السيلان اللطيف الحار	(ق)	164
اورام صفاقات العين	(ق)	166
الحكة المزمنة التي تكون في الأجفان	(ق)	167
الظفرة المزمنة الصلبة الغليظة	(ق)	167
الأدوية المعتدلة في الحر والبرد	(د)	165
الأدوية القريبة من الاعتدال	(د)	165
الرصاص المحرق المغسول	(د)	165
الخشونة الكائنة عن حدة الرطوبة	(ق)	165
لطيف بياض البيض	(د)	166
الأدوية الفتاحة للسدد المحللة	(د)	166
الأثر الذي ليس بغليظ	(ق)	167
قرن الأيل المحرق	(ق)	167
الأثر الغليظ المحرق	(ق)	167
الحكة المزمنة التي تكون في الأجفان	(ق)	167
الأدوية التي تحد البصر	(د)	168
المدة المحتبسة داخل القرينة	(ق)	168
الأدوية التي تسعمل في الأورام الصلبة	(د)	168
الكحل المتخذ بالذار صيني	(د)	169
ماء إكليل الملك	(د)	169

4 - تحليل المدوّنة:

يعود ظهور المعجم العامي العربي المختص إلى بداية القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي. وهو ثمرة ترجمة العلوم اليونانية أساسا، ومن أشهر أعلام تلك الحركة وأهمهم حنين بن إسحاق الذي نقل بدوره عديد الكتب في الطب والصيدلة وساهم بما ترجم في إنشاء ثقافة علمية عربية وفي نقل المعرفة من مصادرها مباشرة بفضل حذقه للغات العربية واليونانية والسريانية ومعرفته للعلوم وخاصة للطب، فطبع اللغة العربية بطابع الأسلوب العلمي وكوّن مدرسة للنقل والتأليف العلميين أثرت العربية بمصطلحات طبية وصيدلية وموالیدیة أي في النبات والحيوان والمعادن. وألف عددا كبيرا من الكتب في الطب والفلسفة وعلم النحو والتاريخ والعقيدة والسيرة الذاتية[27].

وكان يتجشم مشاق الرحلة الطويلة بحثا عن المخطوطات والنسخ الكاملة لترجمتها. وقد بلغ أعلى درجات المجد كمترجم ومتطبب خاصة في خلافة المتوكل على الله (232هـ-247 م). وألف حنين بن إسحاق كتبا في طب العيون منها كتاب العشر مقالات في العين الذي يعد من أوائل الكتب العلمية العربية في طب العيون، احتوى على مقالات تعالج تركيب العين وشرحها وعللها وعلاجها، ونتناول منها بالتحليل المقالتين الأولى والثامنة.

لقد خامرتنا أسئلة كثيرة ونحن نعالج المقالة الأولى في «طبيعة العين وتركيبها» والمقالة الثامنة «في أدوية العين وأجناسه وفنون استعمالها» عن المنهج الذي نقل به حنين بن إسحاق المصطلح اليوناني إلى العربية وعن مدى تأثره باللغة المصدر. كما تساءلنا عن قدرته على مواجهة قضية المصطلح المترجم وعن مدى اعتماده على التركيب في نقل المصطلح اليوناني في هاتين المقالتين.

لم نتوصل إلى أجوبة عن كل الأسئلة الخاصة بعلاقة اليونانية بالعربية لعدم معرفتنا للغة المنقول عنها. لذلك سنقدم مجموعة من الملاحظات المنهجية حول قضايا الترجمة وحول إنتاجية قاعدة التركيب من خلال عملية إحصائية.

4- 1 - تداخل المعجمين:

معجم أسماء الأمراض والأدواء وأعضاء العين، بوحداته البسيطة والمركبة والمعقدة جله مأخوذ من ألفاظ اللغة العامة كالحكة وماء الورد وأصل العين... وحتى الألفاظ التي وردت مصطلحات لمعجم العين: كبصر وجفن وعين فهي في اللغة العامة ألفاظ متعددة الدلالات من باب الاشتراك الدلالي la polysémie، انتقلت في المدونة من التعميم إلى التخصيص ومن الايحاء إلى الدلالة الأحادية والتعيين مثل صفاقات العين وجرب العين وجرب الجفن وحدة البصر.

4- 2 - إشكالية الترجمة:

واجه حنين ابن إسحاق صعوبات في نقل المصطلح اليوناني إلى العربية ، يدل على ذلك كثرة المركبات النعتية التي وردت في المدوّنة . فقد وصف الأمراض والأعضاء بمركبات نعتية حقيقية des composés أو مركبات معقدة des complexes، قصد تذليل صعوبات الترجمة ومن أجل البحث عن المقابل العربي، مثال ذلك (وقد أشرنا إلى المقالة بـ «م»، وإلى السطر بـ «س»، وإلى الصفحة بـ «ص») :

الغشاء الغليظ الصلب (م1/ س5/ ص78)

الحجاب الشبيه بالقرن (م1/ س1/ ص79)

الأدوية التي تحد البصر (م8/ س10/ ص168)

المدة المحتبسة داخل القرنية (م8/ س18/ ص168)

وهذه الطريقة في النقل تبدو لأول وهلة غير قادرة على تكوين مصطلحات بقدر ما تشرح المصطلح في لغته المصدر كما تظهر المترجم غير قادر على أن يتجاوز مرحلة الترجمة الحرفية la traduction littérale والتفسير والمناقلة la paraphrase، ولكن ما قام به حنين يمكن أن يعد ابتكارا إذا طبقنا عليه ما اصطلح عليه بنفنيست بـ synapsie لما يتوفر في المركبات التي استعملها حنين من الخصائص التي ذكرها اللساني الفرنسي؛ وتصبح الترجمة الحرفية والمناقلة بذلك وسيلتين في وضع المصطلح.

4- 3 - المصطلحات المعقدة les termes complexes:

ورد بعض المصطلحات المعقدة في المدونة مترجما من اليونانية ، وأخذ بعضها من العربية. وان أصل المصطلحات ألفاظ لغوية عامة من ذلك:

الغشاء الرقيق الشبيه بالمشيمة (م1/ س20 / ص78)

الحجاب الشبيه بالقرن (م1/ س1/ ص79)

فكل من «شبيه» و«رقيق» هي من ألفاظ اللغة تصف المصطلح وتدققه وتكسبه خاصيته فيتميز بها المصطلح عن مصطلح آخر قريب منه. فالجفن الأسفل يختلف عن الجفن الأعلى(المقالة الثامنة ص82): والطبقة طبقات منها الشبكية ومنها القرنية ومنها الخارجية ومنها المشيمية (المقالة الأولى) والرطوبة أنواع (المقالة الأولى).

لم يقم أي مصطلح مركب أو معقد على فعل في رأسه، لأن الفعل، من مقولات المعجم العامّ، وهو أقل قدرة على التعبير عن المفاهيم وعلى حملها. بينما وردت بعض المركبات شبه الإسنادية التي يقوم فيها الاسم المشتق مقام الفعل وهي مركبات تكوّن الجزء الثاني من المصطلح، ويملأ المحل الأول من المركب الاسمي الاسم وأحيانا الصفة وعدده كثير في المدونة:

الرطوبة الشبيهة بالجليد (م1 س6/ ص73)
الطبقة الشبيهة بالشبكة (م1/ س16/ ص76)
الغشاء الرقيق الشبيه بالمشيمة (م1/ س20/ ص78)
ظلمة البصر الحادثة عن الغلظ (م8/ س8/ ص159)
الرطوبة المحتسبة في أوراد العين (م8/ س10/ ص164)
الأدوية المعتدلة في الحر والبرد (م8/ س3/ ص165)
الأدوية القريبة من الاعتدال م8/ س3/ ص165)

ووردت بعض المصطلحات المعقدة تحمل ضمن مكوناتها فعلا ويبقى رأس المركب دائما للاسم:

الرطوبة التي تشبه بياض العين (م1/ س20/ ص79)
العضلات التي تحرك العين (م1/ س12/ ص81)
القروح التي يعسر اندمالها (م8/ س2/ ص161)
السيلان الذي يعرض في العين (م8س10/ ص163)
الأدوية التي تحد البصر (م8/ س10/ ص168)
الأدوية التي تستعمل في الأورام الصلبة (م8/ س19/ ص168)

هذه الأفعال لا تؤثر في طبيعة المصطلح الاسمية، لأن الفعل يتعلق بالموصول الاسمي، والصلة تكون تركيبا إسناديا.

وإذا نظرنا في نسب التواتر لاحظنا أن عدد المصطلحات المركبة في المقالتين (م1=24، م8=50) يفوق عدد المصطلحات المعقدة (م1=24،، م8=26).

وتفوق نسبة المصطلحات المعقدة ذات الثلاثة والأربعة والخمسة عناصر بقية النسب حيث ورد مثال واحد بسبعة عناصر ومثال واحد بثمانية عناصر.

-الثقب الذي في العظم الذي في قعر العين (م1/ س16/ ص77)
-الغشاء الذي على نصف الجليدية من خارج (م1/ س11/ ص80)

فهذه المركبات المعقدة ليست تسميات بقدر ما هي تفاسير. تبين اللوحات التالية نسب توزع المركبات على المقالتين.

أ – المقالة الأولى: أعضاء العين:

المصطلحات المركبة			المصطلحات المعقدة					
نوع المركب	إضافي	نعتي	3 عناصر	4 عناصر	5 عناصر	6 عناصر	7 عناصر	8 عناصر
العدد	4	20	7	8	6	1	1	1
النسبة	8.33٪	41.66٪	14.58٪	16.66٪	12.5٪	2.08٪	2.08٪	2.08٪

ب – المقالة الثامنة: أمراض العين وأدويتها:

المصطلحات المركبة			المصطلحات المعقدة			
نوع المركب	إضافي	نعتي	3 عناصر	4 عناصر	5 عناصر	6 عناصر
العدد	26	24	6	9	8	3
النسبة	34.2٪	31.57٪	7.89٪	11.84٪	10.52٪	3.94٪

إن المركبات المعقدة تعريفات أكثر مما هي مصطلحات وتسميات لأنها تقدم جملة من السمات وتدقق الوصف كما في المثال التالي: «الظفرة المزمنة الصلبة الغليظة (م8/ س15/ ص167). وهي أقلّ تواترا من المصطلحات المركّبة (انظر المدوّنة).

فالمصطلح المركب والمصطلح المعقد أكثر دقة من المصطلح البسيط في ضبط المفاهيم إلى جانب أنهما ينقلان المصطلح المترجم نقلا قريبا من المعنى الذي تدلّ عليه اللّغة المصدر.

4-4 – المركبات الهجينة:

احتوت المقالة الثامنة من معجم أسماء الأدوية على مصطلحات مركبة اسمية من نوع خاص تتكون من عنصر عربي وعنصر أجنبي أطلق عليه الأستاذ إبراهيم بن مراد مصطلح المركبات الاسمية الهجينة[23] وهي مركبات توجد في المعاجم المختصة. ومن هذه المركبات مركب نعتي واحد هو: التوتيا المغسول (م8/ س4/ ص163) ، أما بقية المركبات فإضافية:

-عصارة الهوفوقسطيذاس (م8/ س10/ ص158)
-ماء البابونج (م8/ س10/ ص158)
-قشر الكندر (م8/ س13/ ص158)
-قشر اليبروح (م8/ س14/ ص158)
-توبال الحديد (م8/ س2/ ص159)
-ماء الرازيانج (م8/ س / ص163)

ولا شك أن في هذه التراكيب آثار العجمة ، فهي محيلة إلى أدوية مفردة ، والأدوية المفردة عامة مبحث دخيل على اللغة العربية وثقافتها، وقد استعصى منذ ظهوره في القرن الثالث الهجري كثير من مصطلحاته على الترجمة ؛ لذلك عادة ما تقترض المصطلحات الأعجمية اقتراضا تاما إذا استعصت تماما على الترجمة أو تترجم حرفيا من اللغة المصدر إلى اللغة المورد بالاقتراض الدلالي، إلا أن حنين بن إسحاق قد ترجم جزءا كبيرا من مصطلحات المقالة الثامنة وحافظ في أمثلة قليلة على عنصر من عنصري المركب أعجميا كما بينا ذلك في الأمثلة السابقة.

4- 5 - مقولة الاسم:

نلاحظ من خلال استقرائنا للمقالتين تفرد المصطلح المركب الإضافي أو النعتي بمقولة الاسم؛ فالاسم من المقولات المعجمية في المعجم العام وفي المعجم المختص . وهو أمكن من الفعل والظرف والصفة بالأداة للتعبير عن المفاهيم، ولذلك نجد أن مقولة الاسم أكثر تواترا في المعجمية المختصة. وبها يُنْتَقَل باللفظ من التعميم إلى التخصيص. وليس أدل على أهمية الاسم في التعبير عن المفاهيم من «أن المقولة المعجمية المغلبة في المقترضات هي مقولة الاسم»[29] وقليلا ما تقترض الأفعال.

والسبب الرئيس لذلك هو أن الأسماء تتبع الأشياء في الاتصال بين الحضارات والثقافات والشعوب. فالاسم يحيل على المفاهيم ويعينها لذلك يتولد المصطلح من الاسم وتصنف المصطلحات على أساس الأسماء لا الأفعال، لأن الأسماء تخصص وتعين ولذلك يبقى الاسم أساس الاصطلاح. ونظرا إلى دقة المصطلح وصرامته فانه يعبر عنه بما يدل على الحدث والذات دون زمان معين، فالمفاهيم إنما هي تسميات خاصة وقوام المعجم المختص مفهومي conceptuel منظومي systématique، ولأن المصطلحات ذات علاقة مرجعية بموجودات لا تحمل معاني معجمية عامة بل تحمل مفاهيم وتحيل على معارف، فقد عبر عنها بالاسم دون غيره من المقولات المعجمية لأن الاسم «هو العلامة والسمة المنبهة إلى المسمى، المشيرة إلى المقصود».

ونتيجة لكل هذه المعطيات تصبح المقولة المعجمية الأقدرعلى حمل المفهوم والأقرب للاستعمال في الاصطلاح هي الاسم بأنواعه. وقد ظهر أثر الاسمية في مختلف المركبات التي اشتملت عليها المدونة ، وهي إما مركبات اسمية نعتية وإما مركبات إضافية.

على أن توزيع المركبات الإضافية في أسماء الأدوية يختلف عما هو عليه في المصطلحات الطبية، فترتفع نسبة المركبات الإضافية التي خاصيتها التعيين والتخصيص لا الوصف. وقد يدل هذا الاختلاف على قدم معجم الأدوية وحداثة معجم الاصطلاحات الطبية، ومصطلحات أمراض العيون على وجه الخصوص، الأمر الذي جعل مصنف الكتاب يعمد إلى الأسلوب الوصفي عند تقديمه لمصطلحات الأمراض فيكون المصطلح في نفس الوقت معينا ومعرفا ومفسرا، بينما يكتفي بالتخصيص مع الأدواء نظرا إلى وجود مصطلحات الصيدلة وانتشار مبحث الأدوية المفردة المترجمة عن اليونانية.

4- 6 - الحقل المفهومي Le champ conceptuel:

الوحدات المعجمية العلمية مستحدثة مقصودة لذاتها وليست عفوية. إنها مأخوذة من مصادر عربية قائمة الذات كمعجم اللغة العامة أو من مصادر عربية يونانية بالتعريب

والترجمة والدخيل ويتميز المصطلح العلمي عن لفظ اللغة بأحادية الدلالة والدقة في التعبير عن المفهوم، وان كانت بعض المصطلحات الفنية تشكو الترادف. وعلاقة المصطلح بالموجودات علاقة غير مرجعية، لأنه يعبر عن ماهية ومفهوم لهما ارتباط بموجود حسي مثل الموجودات المنتمية إلى المواليد أو موجود مجرد مثل الموجودات المنتمية إلى الرياضيات.

وقد تكوّن ضمن معجم المصطلحات الطبية في المقالة الثامنة حقل مفهومي للأدواء، عناصره مركبات تشترك كلها في الرأس وهو لفظ «دواء» الذي يمثل المعنم العام الرئيس l'archisémème وحوله تتشكل عديد المعينمات وتكون حقلا مفهوميا للأدواء متكونا من مصطلحات مركبة نعتية وأخرى معقدة نقدم نماذج منها:

الأدوية المسددة	(م8/ س12/ ص74)
الأدوية الفتاحة	(م8/ س10/ ص166)
الأدوية المخدرة	(م8/ س10/ ص169)
الأدوية المعتدلة في الحر والبرد	(م8/ س3/ ص165)
الأدوية التي تحد البصر	(م8/ س10/ ص168)
الأدوية التي تستعمل في الأورام الصلبة	(م8/ س19/ ص168)

5 - خاتمـــــة:

قد تسهل ترجمة إنتاج له علاقة بالفكر والفن كالأدب والفلسفة، ولكن ليس من الهين ترجمة العلوم وخاصة ما تعلق منها بعلم حديث ودقيق كعلم طب العيون. فعلى المترجم أن يكون عارفا بهذا العلم، ملمّا بخصائصه وماهرا في النقل. ورغم حذق حنين بن إسحاق للغة اليونانية حذقا يمكنه من أن ينقل عنها مباشرة إلى السريانية والعربية، ورغم إتقانه الجيد للعربية ومعرفته الكبيرة بقواعدها وأسرارها ونظامها، فقد كان تأثره واضحا باليونانية في نقل المصطلحات، وكان حرصه على بناء نظام مصطلحي دقيق وجلي، من خلال استعمال المصطلح اليوناني مع المقابل العربي أهمّ من حرصه على البحث -الذي قد يطول- عن المقابل العربي. فلا ننسى أن حنين بن إسحاق ليس لغويا بل هو مترجم وطبيب لا يهتم بالبحث عن المقابل الدقيق بقدر ما يهتم بنقل المعرفة ويسعى لإثراء المعجم العربي المختص. وواضح أيضا من خلال جردنا لمصطلحات المقالات الأولى والثالثة والثامنة مدى سيطرة المركبات على المصطلحية العلمية. فالتركيب قاعدة هامة من قواعد التوليد والترجمة، يسهم في إثراء المعجم المختص بوحدات معجمية عربية تغني عن اللجوء إلى الاقتراض المعجمي.

وقد ساعد حنين بن إسحاق في وضع المصطلحات المتعلقة بالعين وأمراضها وأدويتها في مقالات كتابه العشر اعتماده على منهج نقل المدلول من اللغة المصدر إلى اللغة المورد واستوجبت منه ترجمة المداليل رغبة في الوصف والتفسير فاستعمل في مواضع متعددة من المقالتين الأولى والثانية أداة التفسير أي والفعل أعني وذلك قصد تقريب المصطلح ورفع الإبهام والغموض عنه.

كما أنه يحرص على ذكر المقابل اليوناني متى توفر بل إنه يذكر أحيانا لنفس المصطلح المترجم مقابلين اثنين من اللغة الأم (م1/ ص77). وهو يستعمل في تركيب المصطلح المعقد التشبيه «الرطوبة التي تشبه بياض البيض» (م1/ ص79). والوصف بالاسم الموصول «الذي».

زكية السائح دحماني

التعاليق:

1- انظر الخليل بن أحمد: كتاب العين. ج1. ص60-61.
سيبويه: الكتاب 3/ 396...404.
ابن يعيش: شرح المفصل 4/ 111.
الاستراباذي: شرح الكافية 2/ 81.
2- الحمزاوي (رشاد): نظرية النحت العربية. ص 77-127.
3- ابن مراد: مقدمة لنظرية المعجم ص155.
4- اعتبر التركيب في اللغة تصاحبا لفظيا. والتصاحب اللفظي أنواع:
أ - التضام: وحدة معجمية مركبة من عنصرين فأكثر، وهي تسمية تطلق على مسميات وتعامل معاملة الاسم العلم في التعيين. والتضام عكس التلازم - ظاهرة تطلق على ألفاظ اللغة وعلى المصطلح، وتقبل إبدال جزء بآخر أو إضافة شيء إليها من أمثلتها في اللغة العامة: رأس الجسد ورأس الجبل ورأس القبيلة ورأس المركب... والمكون الأول للتضام يسمى الضميمة وهو حامل للمعنى الأساسي.
ب - التلازم: مصاحبة إجبارية. استبدال مكوناتها مقيد والربط بين عناصرها دقيق. تختار مكونات التلازم بعضها البعض، فيقال السلام عليكم ولا يقال الأمان عليكم.
ج - التعابير الاصطلاحية: هي تعابير خاصة بأبناء اللغة يصعب إدراكها أو ترجمتها حرفيا إلى لغة أخرى. فهي سلسلة من الكلمات تقيدها عوامل دلالية وتركيبية تجعل منها وحدة تتسم بالثبوت منها ضرب به عرض الحائط ولبى داعي ربّه ..
5- الاستراباذي: شرح الكافية 2/ 81.
6- نفسه 2/ 81.

7- نفسه 2/ 81.

8- La créativité lexicale p222.

9- نفسه ص222 .

10- لمزيد من التوضيح والافادة ينظر la créativité lexicale ص ص222-223.

11- نفسه ص222.

12- نفسه ص253.

13- Mortureux ,Fr. : La lexicologie entre langue et discours, p. 45

14- La créativité lexicale , p. 233

15- نفسه ص245.

16- نفسه ص253.

17- انظر: E Benveniste : Problèmes de linguistique générale. (Formes nouvelles de la composition nominale)

18- Guilbert(L) :La créativité lexicale ,p. 253

19- Mortureux : La lexicologie entre langue et discours, p.49

20- Benveniste(E):Problèmes de linguistique générale. Formes nouvelles de la composition nominale, p.174

21- ينظر حول المكون الصرفي في العربية واللغات الأوروبية : إبراهيم بن مراد : مقدمة لنظرية المعجم ، ص ص40 – 44 .

22- حنين بن إسحاق : كتاب العشر مقالات في العين ، ص 167.

23- نفسه ص 168 .

24- نفسه ص 79 .

25- نفسه ص 167 .

26- نفسه ص 77 .

27- انظر ترجمته وحياته العلمية في مقدمة كتاب العشر مقالات في العين.

28- إبراهيم بن مراد :مسائل في المعجم ، ص142.

29- إبراهيم بن مراد : مقدمة لنظرية المعجم ، ص161.

المراجع:

أ- العربية:

-ابن أحمد (الخليل): كتاب العين. 8 أجزاء. دار ومكتبة الهلال.

-ابن إسحاق (حنين): كتاب العشر مقالات في العين. المطبعة الأميرية بالقاهرة 1928.

- ابن جني(أبو الفتح) : الخصائص ، دار الهدى للطباعة والنشر.

-ابن مراد (إبراهيم): -مقدمة لنظرية المعجم. دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997
-مسائل في المعجم. دار الغرب الإسلامي ، بيروت ،1997.
-الصيغمية المعجمية. في: مجلة المعجمية، 12-13 (1996-1997)، ص ص 121-137.
-ابن منظور (عبد الله): لسان العرب. دار إحياء التراث العربي 20 جزءا.
-ابن هشام (جمال الدين): مغني اللبيب. جزءان. المكتبة العصرية، بيروت.
-ابن يعيش (موفق الدين): شرح المفصل. 10 أجزاء، دار صادر.
-الأستراباذي (رضي الدين): شرح شافية ابن الحاجب. دار الكتب العلمية. 3 أجزاء.
-الثعالبي (أبو منصور): فقه اللغة وسر العربية. دار العلم للملايين.
-الحمزاوي (رشاد): نظرية النحت العربية. دار المعارف. سوسة 1998.
-الخولي (محمد علي): معجم علم اللغة العربي. مكتبة لبنان 1991.
-سيبويه (أبو بشر): الكتاب، عالم الكتب. 5 أجزاء.
-السيوطي (جلال الدين): المزهر في علوم اللغة وأنواعها (جزءان)، دار الفكر.
-عاشور (منصف): ظاهرة الاسم في التفكير النحوي. منشورات كلية الآداب بمنوبة. تونس 1999.
مجمع اللغة العربية بالقاهرة: مجموعة القرارات العلمية في خمسين عاما من 1934 إلى 1984، القاهرة 1984.

ب - بالفرنسية:

-BENVENISTE (E) : Problèmes de linguistique générale, 2 (Formes nouvelles de la composition nominale). Gallimard 1983.
-GUILBERT (L) : La créativité lexicale. Ed. Larousse 1975.
-MARTINET (A) : Eléments de linguistique générale. Ed. Armand. Colin 1967.
-MARTINET (André et Jeanne) et Walter (H) : La linguistique. Guide alphabétique éd. Denoël 1969.
-MORTUREUX (M.F) : La lexicologie entre langue et discours. Ed. SEDES 1997.
-PICOCHE (J) : Précis de lexicologie française. Ed Nathan 1997.
-REY (Alain) : La lexicologie. Ed. Klincksieck 1970.

ج - القواميس:
- بركة (بسام): معجم اللسانية: فرنسي-عربي. منشورات جرّوس- برس 1984.
- بعلبكي (رمزي): معجم المصطلحات اللغوية انكليزي-عربي. دار العلم للملايين 1990.

الحبيب النصّراوي
المعهد العالي للغات بتونس

التوليد بالاقتراض في مصطلحات الصيدلة خلال القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي): تطبيق على «الكتاب المنصوري في الطبّ» للرازي

1- تمهيد:

1-1 - يقوم هذا العمل على دراسة وصفية استقرائية لظاهرة لسانيّة معيّنة قد عرفتها اللغة العربية أثناء حركة الإنشاء العلمي، هي ظاهرة الاقتراض. فليس عملنا إذن في الحديث عن الاقتراض عامة، بل هو في الاقتراض باعتباره «قاعدة» من قواعد التوليد في المعجم. وهو مبحث واسع متشعب، لا أحد اليوم ينكر أهميته في الدرس اللساني الحديث، ودوره في تطوّر اللغة عامة، وتطوّر المعجم خاصة. وهو لدى المتكلم من أيسر قواعد التوليد استعمالا وخاصة في البيئات المتاخمة المتداخلة اللغات- لحلّ معضلة التواصل مع الواقع والتأثير فيه، إمّا اضطرارا وإما بحثا عن تعبيرية ينشدها في تقليد نماذج أخرى. لهذا يصنّف الدارسون[1] الاقتراض بمفهومه العام إلى صنفين: أحدهما إبلاغيّ (dénotatif) ويتعلّق بتسمية الأشياء والمفاهيم التي تظهر في بلدان أجنبية؛ والآخر إيحائيّ (connotatif) وهو غير ضروريّ، يرجع إلى رغبة المتكلم في التأقلم مع واقع المجتمعات الراقية ومفاهيمها المهيمنة حضاريا.

ولئن صحّ هذا التصنيف في ألفاظ اللغة العامة، فإنّه لا يبدو كذلك في مصطلحات العلوم وخاصة في القديم. فقد كان من العسير اقتراض مصطلحات غير ضرورية لأنّ ذلك يعدّ من الاقتراض «البذخي» الذي لم يكن من أهداف العلماء أصلا. فقد اضطرّ العلماء ، أثناء نقل المصطلحات الأعجمية، إلى اقتراض ما كان منها غير معروف في اللغة العربية، وما غلب منها استعماله بلغته الأجنبية فاشتهر ولم تبق حاجة إلى إيجاد مقابل له في العربية. فهو بلغته أدقّ. ولا شكّ أنّ ذلك الاقتراض كان يتماشى وطبيعة «حركة الإنشاء» العلمي التي قامت على الاقتراض الثقافي أساسا، ومن الطبيعي أن يرافق الاقتراضَ الثقافي اقتراض لغويّ معجميّ.

ويعدّ الدارسون مبحث «العلوم القديمة» -- أو «علوم العجم» – حينئذ مبحثا دخيلا في الثقافة العربية، تضافرت في تكوين رصيده المعجميّ لغات أعجمية أصلا، وهذا ما يجعله في صلب قضايا الاقتراض[2]. وقد انتقل إلى العربية عن طريق حركة ترجمة رائدة، أصبحت الآن معالمها وأعلامها وآثارها الجليلة غير خافية على الدارسين. فقد حظيت علوم اليونان

باهتمام علماء العرب، وإليهم يرجع فضل الحفاظ عليها وترجمتها والإضافة إليها.

1-2- ووجود حركة الترجمة في تاريخ العلوم العربية يعني أنّ ينابيع العلوم الصحيحة لم تكن عربية خالصة. بل إنّ العلماء العرب قد قاموا بنقل أغلب هذه العلوم من اللغات الأعجمية منذ أواسط القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي. فترجمت النصوص اليونانية خاصة إلى اللغة العربية. ونخصّ بالذكر من تلك النصوص: كتاب «المقالات الخمس في هيولى الطبّ» لديوسقريديس الذي عاش في القرن الأول الميلادي، وكتاب «الأدوية المفردة» لجالينوس الذي عاش في القرن الثاني الميلادي. والملاحظ أنّ مترجمي هذين الكتابين: اصطفن بن بسيل وحنين بن إسحاق قد تركا مصطلحات يونانية كثيرة على حالها الأعجمية، لم يستطيعا نقلها إلى العربية[3]. ثم ظهرت المؤلفات العربية الأولى في هذه العلوم قائمة على الاقتراض الثقافي أيضا، نذكر منها: مؤلفات يوحنا بن ماسويه (تـ243هـ/ 857م) مثل «التمام والكمال»، و«إصلاح الأدوية المسهلة»؛ ومؤلفات حنين بن إسحاق (تـ260هـ/ 873م) مثل «العشر مقالات في العين»، و«كتاب المسائل للمتعلمين»، و«كتاب الأغذية»...[4].

وقد صاحب هذه الحركة مظهران من الاقتراض: المظهر الأول هو الاقتراض المعجمي التام؛ والمظهر الثاني هو الاقتراض الدلالي. ونقصد بالاقتراض المعجمي التام نقل الدليل تاما بداله ومدلوله؛ ونقصد بالاقتراض الدلالي نقل المدلول دون الدال (أي نقل المفهوم الأعجمي بدال عربيّ) [5].

وقد ظهرت هذه المقترضات بصنفيها في جلّ المؤلفات العلمية العربية التي صنفت في القرن الثالث الهجري وما بعده، واستمرت في المؤلفات التي ظهرت في القرون التالية حتى القرن السابع الهجري. لكنّ العلوم تتفاوت في درجة قبولها لصنفي المقترضات على أساس أنّ من هذه العلوم ما هو مؤسس على مصطلحات مرتبطة بمفاهيم قابلة للتجريد (وما هو قابل للتجريد قابل للترجمة بمقابل عربي مثل مصطلحات الفلسفة والرياضيات..)؛ ومنها علوم أخرى مؤسسة على مصطلحات تحمل مفاهيم ترجع إلى أشياء غير قابلة للتجريد، ومن هذه العلوم الصيدلة، فإنّ أهمّ ما تتأسّس عليه الصيدلة هو علم العقاقيروخاصة ما يعرف منها بالأدوية المفردة، والأدوية المفردة عند القدماء كانت إما نباتية وإما حيوانية وإما معدنية، ونقل أسماء تلك الأدوية إلى العربية يخضع لطبيعة المسمّيات ، وهي ثلاثة أصناف : فمنها صنف أول يمكن ترجمة تسمياته بمقابلاتها العربية لأنّها موجودة في الثقافة العربية (ومن أمثلة ذلك نذكر: من مصطلحات النبات «الحنّاء»، و«العوسج»..؛ ومن مصطلحات الحيوان «التمساح»، و«الجراد»..؛ ومن مصطلحات المعادن: «الذهب»، و«العقيق»..) [6]؛ ومنها صنف ثان لا تعرفه الثقافة العربية، ولكن يمكن نقل تسمياته

عن طريق ترجمتها ترجمة حرفية، وتلك الترجمة الحرفية هي التي تسمّى الاقتراض الدلالي (ومن أمثلة ذلك في كتاب «الجامع» لابن البيطار مثلا ترجمة مصطلح «قونسْ باطسْ»بقوله: «تفسيره علّيق الكلب، لأنّ «قونس» باليونانية: كلب، و«باطس»: «عليق»؛ وترجمته مصطلح «أوراسالينون» بقوله: «هو الكرفس الجبلي، لأنّ «أورا» باليوناني جبل، و«سالينن كرفس»..) [7]؛ ومنها صنف ثالث ذو منزلة مهمّة، وهو يشمل المصطلحات الأعجمية التي لم يستطيع المترجمون إيجاد مقابلات عربية لها، لمقابلتها بها، ولم يستطيعوا ترجمتها ترجمة حرفية، فاضطرّوا حينئذ إلى نقلها إلى العربية باقتراضها اقتراضا تاما.

من هذا الباب دخلت المقترضات المعجمية العلوم العربية، وخاصة في الأدوية المفردة، وقد أدّى ذلك إلى انتشار مصطلحات كثيرة طبية وصيدلية في المؤلفات العربية مقترضة من اللغتين اليونانية والفارسية، ومن تلك المؤلفات كتاب «المنصوري في الطب» لأبي بكر الرازي (ت . 313 هـ / 925 م) وخاصة في مقالته الثالثة المخصصة للأدوية والأغذية، وهي موضوع بحثنا لدراسة الاقتراض المعجمي من حيث هو قاعدة من قواعد التوليد في المعجم أثناء مرحلة الإنشاء العلمي، وخاصة في القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي (وقد ألّف الرازي الكتاب المنصوري في السنوات الأخيرة من القرن الثالث).

2 – منهج الرازي :

2– 1 – لئن عدّ الاقتراض ظاهرة لسانية خلافية، باعتباره يخرق نظام اللغة المتقبّلة، بما يحدثه فيها من أعجمية قد تؤدّي إلى تجاهل رصيدها الأصيل، فإنّه يمكن، من ناحية أخرى، النظر إليه على أنّه مظهر لساني ضروريّ، لأنّه يثري رصيد اللغة المورد إذ يسدّ الخانات الفارغة فيها بما كان ينقصها من وحدات معجمية أو دلالات. فإنّ من شروطه أن يكون معبّرا عن حقائق ليس لها ما يقابلها في اللغة المورد، وهو ما يضمن حصوله على حيّز في الاستعمال اللغوي[8]. من هذه الزاوية تنزّل الدّراسة المعجمية الاقتراضَ - باعتباره ضرورةً - ضمن حركة التجديد اللغوي[9] لأنه من العوامل الأساسية في تطوير المعجم[10].

على أنّ لطبيعة المقترضات التي سنعالج في هذا البحث خصوصية، وهي أنّها مصطلحات يمكن أن يكون لمعالجتها معالجة لسانية معجمية بُعدٌ آخر يُضاف إلى بعدها العلمي، وهو ما تمثله الحركة الاصطلاحية عند العرب – في مرحلة متقدمة من تاريخ العلوم عندهم– من دليل على أهمية الاعتماد على قاعدة الاقتراض في توسيع المصطلحية العربية وإثراء معجمها. فقد عدّ هذا الضرب من التوليد المصطلحي أكثر اطّرادا وتواترا في كتب العلوم من قواعد التوليد الأخرى.

لذلك سيكون هدفنا من هذا العمل البحث في الأسس المنهجية والنظرية التي اعتمدها العلماء العرب في توليد المصطلح عن طريق قاعدة الاقتراض، اعتمادا على مصدر بعينه كان من أهم ما أنتجته حركة الإنشاء العلمي العربي من الآثار، وهو الكتاب «المنصوري في الطبّ» لأبي بكر الرازي. والكتاب مقسّم إلى عشر مقالات، سنهتمّ بالمقالة الثالثة منها، وهي «في تعرّف قوى الأغذية والأدوية»، وتشتمل على أربعة وعشرين فصلا، سننظر منها في الفصل الرابع والعشرين ، وهو « في الأدوية التي يكثر استعمالها»، ويضمّ مسردا في مصطلحات الصيدلة، قد تداخلت فيه اللغات، وهو يمثّل لذلك مادة مناسبة لدرس ظاهرة الاقتراض في المؤلفات الطبية والصيدلية العربية في القديم، وعلاقتها بمسألة التوليد المصطلحي في العربية.

فما هي أصول هذا الاقتراض ولغاته؟ وما مدى إنتاجيته باعتباره قاعدة توليدية لإثراء المعجم المختصّ في مجال علم محدّد هو علم الصيدلة؟

2- 2 - يكشف الرصيد المصطلحي المعتمد في المقالة المدروسة - وكذلك في كتب الطب والصيدلة العربية عامة - أنّ الاقتراض كان فيها سمة بارزة، فهو أداة لغوية تعكس حركة اللغات في تفاعلها الحضاري والثقافي، وتكشف ما بين الجماعات اللغوية المتجاورة من علاقات متنوعة[11]، منها العلاقات التي يحدثها انتشار العلوم وما يقتضيه من تقارض بين اللغات أو نتيجة انتقال الأشياء والمفاهيم المرتبطة بها.

لكنّ ما يلفت الانتباه أنّ الرازي لم يسجّل في هذا الكتاب موقفا نظريّا من مسألة التوليد بالاقتراض أو من المستويات اللغوية عامة، ولم يول في عمله المصطلحي اهتماما لقضايا التداخل اللغوي. وهو ما يوحي في اعتقادنا، ببداهة المسألة في نظره إذ الأمر متعلق بلغة العلوم عامة. فهو فيما يبدو ما كان يرى في الاقتراض -من حيث تأديته لوظيفة علمية بأمانة ودقّة- عائقا لغويّا، بل كان يقف من المسألة اللغوية موقف العالم الذي يهمّه البحث عن النافع لإيفاء العلم حقّه من الوضوح، فاستعمل لذلك لغة علمية وعملية تطغى عليها المصطلحات السائدة عالميا، وتعتمد الاقتراض وسيلة عونا لتجاوز المصاعب والوصول إلى الأهداف العلميّة. فاتّخذ الاقتراض لذلك قاعدة توليديّة وعملية لإنجاز عمله الاصطلاحي.

وما يدعونا إلى تغليب هذا التصوّر المنهجي عنده أنّه لم يظهر تحيّزا للغة العربية، ولم يتشدد في اشتراط استعمال الفصيح ، ولم يبحث عن مقابلات عربية قد لا تكون معروفة أو دقيقة، وقد تحوجُ إلى استعمال المصطلحات الأعجمية معها لفهمها. فكان اعتماده على الاقتراض إذن ضربا من طلب الدقة والوضوح، وقد لاحظنا أحيانا وجود المقابل العربيّ للمصطلح الأعجميّ، لكنّ الرازي يختار المصطلح الأعجمي لدقّته وانتشاره وبعده عن اللبس، ومن أمثلة ذلك نذكر:

-أسقيل:	يوناني، يقال له بالعربية:	العنصل أو بصل الفأر[12]؛
-شيلم:	فارسي، بالعربية:	الزوان [13]؛
-كزمازك:	فارسي، بالعربية:	حبّ الأثل[14]؛
-مصطكى:	يونانيّ، بالعربية:	العلك الرومي[15]..

وهذا دليل في اعتقادنا على أهمية الاعتبارات العلمية الخالصة عنده. وهو ما يجعل الاقتراض قضية منهجية دقيقة ذات قيمة وظائفية في تبليغ النّصّ العلمي، وليس هو وسيلة لمجرّد التبسيط والتيسير.

ويمكن أن نستخلص أهم الخصائص المنهجية التي قام عليها عمل الرازي المصطلحي في اعتماده على الاقتراض:

أ- إحلال الاقتراض مكانة مشروعة ضمن قواعد التوليد المعجمي المعلومة في العربية.

ب- تنزيل المصطلح الأعجمي منزلة مهمة في كتابه. إذ رأى أنّ العربية لا تستطيع أن تلبّي حاجاتها إلى التعبير عن المفاهيم العلمية الجديدة بمفردها، مكتفية برصيدها المعجمي الذاتي؛

ج- ضعف الاعتماد على قواعد التوليد الأخرى كالمجاز والترجمة الحرفية أو الاشتقاق.

3- اللغات المقرضة:

يمثّل التطور المعرفي عادة عامل ضغط من أجل تطوير اللغة، من خلال وسائلها الداخلية وعن طريق الاقتراض من اللغات الأخرى، خاصة عندما تكون الثقافات والحضارات في اتّصال مباشر يسمح بظهور مفردات أجنبية. وقد كانت العربية على صلة قوية بلغات حضارية كبرى مثل اليونانية والفارسية واللاتينية، وهي لغات رافقت دائما العربية في مراحل ازدهارها العلمي، وكانت في الغالب المعوّل عليها في مجال العلوم الصحيحة خاصة. كما كانت تجد امتدادها أيضا من خلال ما ترسّب في محيطها السامي من فروع لغوية كالآرامية والسريانية لم تنقطع عن تزويد العربية ببعض ما تحتاج إليه [16].

وقد توسّعت هذه الحقيقة بتوسّع مجال العربية في العصور الإسلامية اللاحقة، بما أنها أصبحت لغة أكبر ثقافة سائدة، ولهذا ستتوسّع علاقاتها لتشمل لغات كثيرة، بعضها يمثّل لغات شعوب أصبحت تتكلّم العربية دون أن تتخلّى تماما عن مخزونها في ما ليس له وجود في العربية من أسماء الأشياء والموجودات الحسية والمجردة. وقد احتاجت العربية فعلا إلى هذه اللغات القديمة لنقل بعض أسماء المواليد خاصة في العلوم الصيدلية؛ وبعضها الآخر يمثّل لغات حضارية ذات شأن في ازدهار الثقافة والعلوم، ولذلك عندما أرست مفاهيمها العلمية حمّلتها

أسماءها الدالة على أصالتها، تبرهن على أنّ الاقتراض استجابة لبيئة المصطلح المقترض، كما أنّه دليل على نوع من التفوّق الثقافي. ولذلك نجد أنّ اللغات التي أقرضت العربية صنفان:

أ- صنف أول تمثّله لغات ذات منزلة ضعيفة، وهي في الغالب لغات تنتمي معها العربية إلى أصل ساميّ واحد، مثل السريانية والآرامية.. ولعلّ استفادة العربية منها لا يخرج عمّا بين هذه اللغات والعربية من رصيد قديم مشترك مازالت آثاره قائمة في الاستعمال؛

ب- صنف ثان قوي المنزلة: تمثله لغتان أساسيتان لهما إشعاع ثقافي وحضاري كبير سبقتا العربية في تطوّر العلوم ووضع مصطلحاتها، وهما اليونانية والفارسية، وعدد مصطلحاتهما مائتان وأحد عشر (211) مصطلحا، وسنهتمّ في بحثنا بمعالجة مصطلحات هاتين اللغتين فقط.

ويمكن بالنظر إلى اللوحة التالية تبيّن أثر هاتين اللغتين ومدى الإضافة التي أفادها العلم العربي من صهر ما تحمّل له منهما في روافد مشتركة لتكوين علم إنساني شامل.

مصطلحات عربية	فارسية	يونانية	المجموع
83	82	46	112
39,4٪	38,8٪	22٪	100٪

غير أنّ هذا النوع من المقترضات يطرح على العربية مشكل التعامل مع لغات تختلف عنها اختلافا كبيرا في مستويي الأصوات والبنية الصرفية خاصة. لهذا فإنّ هذا الضرب من الاقتراض غالبا ما تصحبه معالجات قصد التخفيف من عجمته ما أمكن.

ومن أهم تلك المعالجات تغليب واضح لمصطلحات اللغة الفارسية على مصطلحات اللغة اليونانية ، رغم أنّ اليونانية هي مصدر العلوم . فقد كان العرب يعدّون الفارسية لغة إسلامية لا تخرجهم عن الإطار الذهني والعقائدي للثقافة الإسلامية. ولذلك كانوا يعتبرون اليونانية هي اللغة الأعجمية حق، ويسعون إلى تخفيف عجمتها باستعمال وسيط فارسي يبدو أيسر تقبّلا في اللغة العربية. بل إنّ من هذه المصطلحات الفارسية ما كان مستعملا في البلاد العربية وتنوسي أصله الفارسي ، فإنّ من مصطلحات المواليد خاصة ما تعرّب من زمان وأصبح وسيلة لرفع العجمة عن المصطلحات اليونانية الحديثة الظهور في العلوم المترجمة.

ومع ذلك فإنّ قسما مهمّا من هذه المصطلحات قد ظلّ محافظا على عجمته، وليس ذلك بغريب في العربية، فقد قال سيبويه: «وربّما تركوا الاسم على حاله، إذا كانت حروفه من حروفهم، كان على بنائهم أو لم يكن»[12].

4- من مظاهر تعريب المصطلح المقترض:

ويمكن إذن تصنيف المصطلحات المقترضة في المقالة الثالثة من الكتاب المنصوري إلى ثلاثة أصناف:

4-1- مصطلحات موافقة لأبنية العربية، فهي مخضعة في الأصل لأقيسة العربية ولا نكاد نلحظ فيها اختلافا عن العربية في البنية أو في الأصوات. فإنّ من الأصول الفارسية خاصة ما لا يختلف عن الكلمة العربية إلا في معناه، على حدّ قول الأب رفائيل نخلة اليسوعي[18]. وهي تعطي في كثير من الحالات أبنية تناسب أبنية في الأسماء أو الصفات الموجودة أصلا في العربية. وهو ما يثبته الجدول التالي[19]:

المصطلح	لغته	أصله
1. أشْنة[20]	فارسية	أشْنَة
2. بُسّد [21]	فارسية	بسّد
3. بلاذر[22]	فارسية	بلادر
4. بُلبوس [23]	يونانية	Bolbós
5. بلسم[24]	يونانية	valsamon
6. بهمن[25]	فارسية	بهمن
7. سرو[26]	فارسية	سرو
8. شبرم[27]	فارسية	شبرم
9. طباشير[28]	فارسية	تباشير
10. عصفر[29]	فارسية	أصبور
11. غار[30]	فارسية	غار
12. غافت[31]	فارسية	غافت
13. فو[32]	يونانية	Phū
14. كبابة[33]	فارسية	كبابه
15. لك[34]	فارسية	لك
16. موميائي [35]	يونانية	Mūmia
17. وج[36]	فارسية	وج

4-2- مصطلحات جرى تغيير بعض عناصرها الصوتية أو الصرفية أو كليهما معا لتوافق البنية العربية. ففي مستوى الأصوات تخالف اليونانية العربية في: (g, p) وهما تنقلان في الغالب بالباء والفاء ، وبالجيم والغين؛ وتخالف الفارسية العربية في الباء المثلثة النقط التحتية (p)، و الجيم المثلثة النقط التحتية (tch)، و الزاي المثلثة النقط الفوقية(dj)، والكاف المثلثة النقط الفوقية ، وقد تكتب بخط مائل فوقها (g)، وهي تنقل في الغالب في العربية إلى: فاء وباء وزاي

وجيم وغين؛ كما لاحظنا انتقال الدال الفارسية إلى ذال (بادآورد: باذأورد)؛ والهاء في آخر الكلمة إلى جيم (شيتره: شيترج) .

كما تخالف اليونانية والفارسية في مستوى البنية الصرفية – باعتبارهما لغتين ذاتي بنية سلسلية – العربية باعتبارها لغة ذات بنية غير سلسلية لا تخرج المفردة فيها عن نظام صيغيّ معلوم في البنية الصرفية، وقد أُدخِلَتْ في العربية على البنية الأعجمية تغييراتٌ في الحركات أساسا كما هو في: (نَطْرُون وأصلها اليوناني: Nitron)؛ أو في الحروف كما هو في: (دِفْلَى: وأصلها اليوناني: Daphné ؛ أو في الحركات والحروف معا كما في: (غاريقون، وأصلها اليوناني: Agarikon).. إضافة إلى أنّ العربية – وهي لغة لا يُبدأ فيها بساكن – قد تضيف همزة أو ألف اعتماد لتيسير النطق بالكلمات المبدوءة بساكن (مثل أسقيل: وأصلها اليوناني: Skilla):

المصطلح	لغته	أصله	نوع التغيير
1 – أسارون[37]	يونانية	Asaron	إطالة الحركة الأخيرة
2 – أسقيل(أشقيل)[38]	يونانية	Skilla	حروف وحركات
3 – أشّق[39]	فارسية	أشه	--
4 – أملج[40]	فارسية	أمله	قلب الهاء جيما
5 – أنجرة[41]	فارسية	إنجره	قلب حركة الحرف الأول
6 – بُرْنُج[42]	فارسية	برَنْك	حروف وحركات
7 – بليلج[43]	فارسية	بليله	قلب الهاء جيما
8 – بنج[44]	فارسية	بنك	قلب الكاف جيما
9 – بورق[45]	فارسية	بوره	قلب الهاء قافا
10 – جلّنار[46]	فارسية	كل إنار	--
11 – حماما[47]	يونانية	Amômon	--
12 – دفلي[48]	يونانية	Daphné	قلب النون لاما
13 – درونج[49]	فارسية	درونك	قلب الكاف جيما
14 – راتينج[50]	يونانية	Rhétiné	حروف وحركات
15 – زاج[51]	فارسية	زاك	قلب الكاف زايا
16 – زرنب[52]	فارسية	زرناب	تقصير حركة النون الطويلة
17 – زرنيخ[53]	يونانية	Arsenikôn	حروف وحركات
18 – زوفا[54]	يونانية	Hyssôpos	--
19 – زئبق[55]	فارسية	زيوهْ	--

المصطلح	لغته	أصله	التغيير
20 - ساذج[56]	فارسية	سادَهْ	قلب الهاء جيما
21 - شنجار[57]	فارسية	شنكار	قلب الكاف جيما
21 - غاريقون(أغاريقون)[58]	يونانية	Agarikon	--
23 - قاقلة [59]	فارسية	قاقلّة	--
24 - قاقاليا[60]	يونانية	Kakalía	--
25 - قلقاس[61]	يونانية	Kolokássion	--
26 - قيشور [62]	يونانية	Kissêris	--
27 - كرنب[63]	يونانية	Krámbê	حركات
28 - كندر[64]	يونانية	Khóndros	حروف وحركات
29 - كهربا [65]	فارسية	كاهْ رُبا	حركات
30 - مغد[66]	فارسية	مغد	حركات
31 - نطرون	يونانية	Nitron	حركات
32 - ط [67]	يونانية	Náphtha	حركات
33 - هليلج[68]	فارسية	هليله	قلب الهاء جيما
34 - هيْل [69]	فارسية	êlâ	حروف وحركات

4 -3- مصطلحات حافظت على بنيتها الأعجمية رغم بعض التغييرات الصوتية أو الصرفية:

المصطلح	لغته	أصله
1. أفثيمون [70]	يونانية	Epithymon
2. أفسنتين[71]	يونانية	Apsinthion
3. أقاقيا [72]	يونانية	Akakiá
4. أنزروت[73]	فارسية	أنزروت
5. بسفايج(بسبايج)[74]	فارسية	بَسْ بايك
6. تافسيا [75]	يونانية	Thapsía
7. ترنجين[76]	فارسية	ترنكبين
8. تشميزج[77]	فارسية	تشميزج
9. توتيا [78]	فارسية	طوْطوة
10. تودري[79]	فارسية	تودري
11. جبسين[80]	يونانية	Gypsos
12. جَبْلَهُنْك [81]	فارسية	جبْرْ آهَنْك
13. جنطيانا [82]	يونانية	Gentianê

.14	رازينج [83]		فارسية	رازْ يانهْ
.15	ريوند[84]		فارسية	راوند
.16	زَرَنباد[85]		فارسية	زُرُنْبادهْ
.17	سِبْستان[86]		فارسية	سبستانْ
.18	سنبادج[87]		فارسية	سُنبادهْ
.19	سقمونيا[88]		يونانية	Skammônia
.20	سقنقور[89]		يونانية	Skinkos
.21	سكبينج[90]		فارسية	سكبينهْ
.22	سندروس[91]		يونانية	Sandarakê
.23	شاباك(شابانك)[92]		فارسية	شاهبانك
.24	شادنج[93]		فارسية	شادنهْ
.25	شقرديون[94]		يونانية	Skórdion
.26	شوْنيز[95]		فارسية	شنيز
.27	شيطرج[96]		فارسية	شيترهْ
.28	شيلم [97]		فارسية	شلّمَكْ
.29	فاوانيا[98]		يونانية	Paiônia
.30	فراسيون[99]		يونانية	Prásion
.31	فرْبيون[100]		يونانية	Euphórbion
.32	فودنج[101]		فارسية	بودنهْ
.33	فوفل [102]		فارسية	پوپل
.34	قرداماناً/ قردامن[103]		يونانية	Kárdamon
.35	قردمانا [104]		يونانية	-
.36	قنطوريون[105]		يونانية	Kentaurion
.37	قيشور [106]		يونانية	Kisséris
.38	كبيكج [107]		فارسية	كبيكج
.39	كزمازك[108]		فارسية	كزمازك
.40	مصطكي [109]		يونانية	Mastikhê
.41	نوشادر[110]		فارسية	نوشادر

ويمكن إرجاع الأصناف الثلاثة التي ذكرنا إلى صنفين كبيرين: الأول هو ما وافق ابنية العربية وأقيستها، سواء لموافقته لها في أصوله الأعجمية اليونانية والفارسية أو لأن تغييرات صوتية وصرفية قد دخلت عليه حتى وافق أقيسة العربية، وهذا الصنف هو الذي

يسمى عادة بالمعرّب؛ والصنف الثاني هو ما استعصى على أبنية العربية ولم يُدْخَلْ عليه تغيير فبقي محافظا على كثير أو قليل من مظاهر عجمته، وهذا يسمى عادة بالدخيل. ولم تكن منزلة «الدخيل» في المقالة الثالثة من الكتاب المنصوري ضعيفة، وهي دالة على أن الرازي كان يورد المصطلحات الأعجمية كما وجدها مقترضة في المصادر التي نقل عنها، فإن جل المصطلحات الأعجمية المقترضة التي وردت عنده قد ذكرت من قبل في كتب الأدوية المفردة المترجمة إلى العربية – مثل كتابي ديوسقريديس وجالينوس – أو المؤلفة بها في القرن الثالث الهجري . وقد اعتمدها لتأدية المفاهيم التي أراد وصفها دون أن يجتهد في تغييرها بإثبات ما ظهر لبعضها من مقابلات عربية بعد مرحلة اقتراضها أو بإخضاع الدخيل منها لأقيسة العربية لتندمج في نظام البنية العربية ، فكانت معاملته للمقترضات المعجمية معاملة معاصريه : فهي مقترضات ضرورية لأنها تسد خانات فارغة في المعجم العلمي العربي المختص في مجال الصيدلة ، وقد تواصل اعتمادها رغم ما ظهر لبعضها من مقابلات عربية تقوم مقامها لأن لغة العلم ما زالت في القرن الثالث أعجمية ، إذ كانت مفاهيمه والمصطلحات الحاملة لها هي المراجع المعتمدة.

5 - خاتمة:

إنّ الاقتراض مهما أحوجت الظروف إليه، يظلّ محلّ خلاف حول أهميته وخاصة حول اعتباره وسيلة من وسائل التوليد. فهو الطريق الأقصر ولكنّه الأخطر. إذ هو لا يخضع لمقاييس التوليد الذاتية القائمة على تطوّر داخليّ نتيجة ما تسمح به أنظمة اللغة ذاتها، بل هو تحوّل لغويّ يُلجأ إليه لحلّ صعوبة بنيوية أو لسدّ فراغات في اللغة المورد. لكنّه عائد أحيانا إلى اعتباطية لغوية يذكيها التداخل الثقافي، وهذا اعتراف بالطابع الكوني لظاهرة الاقتراض اللغوي.

وبسبب التسارع اللغوي في لغة العلوم خاصة، فإن الاقتراض يصبح مصدرا ممكنا لسدّ حاجات التطور بأيسر السبل. فإنّنا نجد آراء كثيرة منذ القديم تعتبره توسّعا أقرّه أئمة اللغة زمن ازدهارها. ورأيناه وسيلة من الوسائل المستخدمة في التوليد اللغوي، يطبّق بيسر في المصطلحات العلمية خاصة. وتتجاوز أهميته مجرّد نقل الأدلّة اللغوية، إلى التأقلم معها[111] لتصبح مكوّنا مهمّا من مكوّنات رصيدها اللغوي والمصطلحي.

لذلك عالجنا في بحثنا ظاهرة الاقتراض في العربية باعتبارها مظهرا توليديا لا غنى للغة عنه. وقد كان له في العربية وظيفة لغوية أساسية في المعجم المختصّ والعلم العربي عامة، والدليل على ذلك ما نجم عنه من ثراء مصطلحيّ فتح آفاق العلوم أمام الإبداع العربي، وكان من العوامل الحاسمة في بقاء العربية وتطورها. فإنّ العربية لم تصبح لغة حيّة علميّة قادرة على التعبير عن

مستحدثات العلوم والفنون بطاقاتها الداخلية فحسب، وإنّما أيضا بما أمدّتها به اللغات المجاورة لها من المستحدث من الألفاظ والمصطلحات والدلالات الجديدة، فتنزّلت آنذاك المنزلة الأولى بين لغات العالم، ما بين القرن الرابع والقرن الثامن الهجريين (العاشر والرابع عشر الميلاديين).

لكن ما كان لهذه الظاهرة أن تنجز ما أنجزته في الثقافة العربية في غياب أمرين: 1) مقدرة العربية على استيعاب الأعجمي وصهره في طاقتها الإنتاجية لتكوين ثقافة علمية ذات لغة حيّة طيّعة؛ و2)انتشار التسامح الثقافي والحضاري في المجتمع العربي الإسلامي بسبب ما كان عليه من استقلال وقوة. فإنّ العامل الأساسي في نجاح الاقتراض يعود إلى مدى اتّساع المجال الحيوي للغة المتقبلة، و لمجال الاجتماعي للمتكلمين.

الحبيب النصراوي

التعاليق:

1 - Guilbert: La créativité lexicale, p91.

2 - ابن مراد : مسائل في المعجم، ص198.

3 - ينظر: ابن مراد: المعجم العلمي العربي المختصّ، ص ص84-85.

4 - نفسه، ص ص 76-78.

5 - ابن مراد : مسائل في المعجم ص ص50-52.

6 - ابن مراد: المعجم العلمي العربي المختص، ص92.

7 - ابن مراد: المصطلح الأعجمي، 1/ 193.

8 - يقول (دوروي Deroy): لا يوجد توليد حقيقيّ إلاّ إذا تحقّق في استعمال جماعة لغوية في زمان معين. واستعمال المصطلح في لغة العلوم وتداوله في لغة العلماء هو معيار نجاحه، حتى إن لم يقرّه المعجم ولم يستعمله المجتمع. وهنا يكون انصهار المصطلح في أدنى مستوياته. بينما نراه في المستوى العلمي يفقد عجمته وينصهر في الموروث الثقافي ويصبح جزءا غير مرفوض منه. وليس المقصود بفقدان العجمة ما يطرأ على المظهر الصرفي والمظهر الصوتي من التغيير فحسب وإنّما المقصود بصفة خاصة البعد الدلالي المفهومي. وهنا نصل إلى مفهوم الاقتراض الحقيقي. أي الانصهار التام في اللغة المورد وصعوبة اكتشافه لأوّل وهلة. ولكنّه يبقى بالنسبة إلى المختصين قابلا للتّمييز من خلال تباينه مع الكلمات الفصيحة في درجة المحافظة على قواعد اللغة الصوتية والصرفية والدلالية والتركيبية. فبينما تحافظ الكلمات الفصيحة على الخضوع لتلك القواعد نرى المقترضات تشذّ عنها إن جزئيّا أو كلّيّا وفق درجة انصهارها في نظام اللغة المورد: (L'Emprunt linguistique, p .4).

9 - Taïeb Baccouche: L'Emprunt en Arabe moderne, Tunis 1993.

10 - Deroy: L' Emprunt linguistique, p .8.

11 - نفسه، ص7.

12 - ابن مراد: المصطلح الأعجمي، 2/ 202-203.

13 - نفسه، 2/ 511-512.

14 - نفسه، 2/ 675-676.

15 - نفسه، 2/ 757.

16 - إبراهيم أنيس : من أسرار اللغة، ص ص124-130.

17 - سيبويه : الكتاب، 4/ 304.

18 - انظر : غرائب اللغة العربية، ص214.

19 - اعتمدنا في هذا التصنيف أساسا على كتاب ابن مراد: «المصطلح الأعجمي»، الجزء الثاني.

20 - ابن مراد : المصطلح الأعجمي، 2/ 86-87.

21 - نفسه، 2/ 202-203.

22 - نفسه، 2/ 215.

23 - نفسه، 2/ 216-217.

24 - نفسه، 2/ 222.

25 - نفسه، 2/ 242-244.

26 - نفسه، 2/ 444.

27 - نفسه، 2/ 492.

28 - نفسه، 2/ 528.

29 - نفسه، 2/ 546-547.

30 - نفسه، 2/ 549.

31 - نفسه، 2/ 552-553.

32 - نفسه، 2/ 590-591.

33 - نفسه، 2/ 656.

34 - نفسه، 2/ 713.

35 - نفسه، 2/ 772-773.

36 - نفسه، 2/ 807-808.

37 - نفسه، 2/ 64-65.

38 - ابن مراد: دراسات في المعجم العربي، ص75.

39 - ابن مراد: المصطلح الأعجمي، 2/ 83-84.

40 - نفسه، 2/ 122-124.

41 - نفسه، 2/ 136-137.

42 - نفسه، 2/ 190-191.

43 - نفسه، 2/ 229.

44 - نفسه، 2/ 230-231.

45 - نفسه، 2/ 247.

46 - نفسه، 2/ 312-313.
47 - نفسه، 2/ 339-340.
48 - نفسه، 2/ 381-382.
49 - نفسه، 2/ 379-380.
50 - نفسه، 2/ 412-413.
51 - نفسه، 2/ 398.
52 - نفسه، 2/ 418-419.
53 - نفسه، 2/ 419-420.
54 - نفسه، 2/ 428.
55 - نفسه، 2/ 430.
56 - نفسه، 2/ 435.
57 - نفسه، 2/ 504-505.
58 - نفسه، 2/ 550.
59 - نفسه، 2/ 603-604.
60 - نفسه، 603
61 - نفسه، 2/ 629.
62 - نفسه، 2/ 647.
63 - نفسه، 2/ 671-672.
64 - نفسه، 2/ 694-695.
65 - نفسه، 2/ 698.
66 - نفسه، 2/ 758-759.
67 - نفسه، 2/ 789.
68 - نفسه، 2/ 800.
69 - نفسه، 2/ 804.
70 - نفسه، 2/ 94-95.
71 - نفسه، 2/ 95-97 .
72 - نفسه، 2/ 102-103.
73 - نفسه، 2/ 141-142.
74 - ابن مراد: دراسات في المعجم العربي، ص83-84.
75 - ابن مراد: المصطلح الأعجمي: 2/ 269.
76 - نفسه، 2/ 276-277.
77 - نفسه، 2/ 279.
78 - نفسه، 2/ 286-287.
79 - نفسه، 2/ 287-289.
80 - نفسه، 2/ 299-300.
81 - نفسه، 2/ 300.

82 - نفسه، 2/ 319-321.
83 - نفسه، 2/ 401.
84 - نخلة: غرائب، 230.
85 - المصطلح الأعجمي، 2/ 419.
86 - نفسه، 2/ 437-438.
87 - ابن مراد: دراسات في المعجم العربي، ص108.
88 - ابن مراد: المصطلح الأعجمي، 2/ 453-454.
89 - نفسه، 2/ 454-455.
90 - نفسه، 2/ 458.
91 - نفسه، 2/ 473-474.
92 - نفسه، 2/ 487.
93 - نفسه، 2/ 484.
94 - نفسه، 2/ 499.
95 - نفسه، 2/ 508-509.
96 - نفسه ، 2/ 511.
97 - نفسه،2/ 511-512.
98 - نفسه، 2/ 569-570.
99 - نفسه، 2/ 570-571.
100 - نفسه، 2/ 571-572.
101 - نفسه، 2/ 591-594.
102 - نفسه، 2/ 594-595.
103 - نفسه، 2/ 608-609.
104 - نفسه، 2/ 608-609.
105 - نفسه، 2/ 639.
106 - نفسه، 2/ 647.
107 - نفسه، 2/ 659-660.
108 - نفسه، 2/ 675-676.
109 - نفسه، 2/ 757.
110 - نفسه، 2/ 791-792.
111 - Guilbert: La créativité lexicale, p92.

- المصادر والمراجع:

1- العربية:

- ابن مراد ، إبراهيم: -المصطلح الأعجمي في كتب الطبّ والصيدلة العربية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985 (جزآن).
-دراسات في المعجم العربي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987.
-المعجم العلمي العربي المختصّ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1993.
-مسائل في المعجم دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997.
- أنيس، إبراهيم: من أسرار اللغة العربية، ط7، القاهرة، 1985.
- الرازي ، أبو بكر محمد بن زكرياء: المنصوري في الطبّ، تحقيق حازم البكري الصديقي، الكويت، 1987.
- سيبويه: الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، دار سحنون، تونس، 1990.
- اليسوعي ، الأب رفائيل نخلة: غرائب اللغة العربية، ط4، بيروت، 1986.

2- الأعجمية:

- Baccouche ,Taïeb : L'Emprunt en Arabe moderne, Tunis, 1993.
- Deroy , Louis :L'Emprunt linguistique, Paris, 1956.
- Frei , Henri :La grammaire des fautes, Paris, 1929.
- Guilbert , Louis : La créativité lexicale, Librairie Larousse, Paris, 1975.
- Picoche , Jacqueline. : Précis de lexicologie française, Editions Ferdinand Nathan, Paris , 1977.

Abderrazak BANNOUR
Faculté des Sciences Humaines
et Sociales – Université de Tunis

LES CHAMPS SÉMANTIQUES DANS LESQUELS S'ORIGINE LA TERMINOLOGIE GRAMMATICALE ARABE

0 ·INTRODUCTION

La terminologie grammaticale arabe ne s'est pas constituée en une journée et elle ne l'a pas été par une seule personne. Sa formation a duré des siècles et plusieurs générations de penseurs, grammairiens, lexicologues et parfois logiciens ou philosophes (les disciplines ne connaissaient pas les cloisons que nous leur connaissons aujourd'hui) se sont succédé en contribuant chacun à sa manière à en porter l'édifice aussi haut, en y introduisant ou en consacrant la terminologie dans laquelle se reconnaît l'utilisateur profane comme le grammairien chevronné.

Or, cette terminologie, ainsi constituée par retouches successives et de la main de plusieurs générations se présente avec toutes les richesses, mais aussi toutes les bigarrures de ce qui n'est pas l'œuvre d'un génie unique ou d'une pensée linéaire. Certains y ont vu une empreinte de la pensée grecque par des emprunts qui peuvent être vrais pour des cas bien précis, d'autres y ont vu une invention toute faite, monument sorti de la tête d'Al-Khalil, le fameux maître d'un disciple tout aussi fameux que Sibawaihi. Mais la plupart du temps, on s'en remet à la tradition théologique et on n'hésite pas à relier la terminologie grammaticale aux études d'exégèse du Coran et du Hadith. On pensait en effet que l'étude de la langue n'était pas une science autonome mais une science auxiliaire qui ne doit son existence qu'à la nécessité de comprendre les faits de la religion en mettant au clair les tournures des phrases et en proposant un appareillage théorique ou pratique pour désambiguïser les énoncés qui peuvent paraître telles au commun des lecteurs ou des auditeurs.

Nous pensons pour notre part, que ces questions n'intéressent pas le linguiste, sauf en tant que curiosité scientifique. En revanche, cela

l'intéresserait s'il cherchait à voir comment se constitue un champ sémantique et par la même occasion une terminologie. Nous aurons recours parfois à l'étymologie et parfois simplement à des recoupements, voire des rapprochements, analogies ou simples souci de classification.

La naissance d'une terminologie spécialisée:

Ce que peut vivre une science naissante à ses premières heures ne peut être saisi qu'à travers la recherche d'une terminologie qui lui est propre. La constitution d'une terminologie se fait généralement par emprunt, dans sa plus grande partie, à la langue générale et aux autres disciplines en faisant subir aux termes des modifications selon les besoin des concepts, i.e. en en spécifiant l'usage. C'est seulement une fois établie qu'une terminologie qui devient consacrée peut faire perdre ses traces (origines des disciplines prêteuses, etc.) par une sorte de démotivation généralisée. Chaque terme dans la langue spécialisée d'une discipline donnée a tendance à fonctionner à la manière d'un nom propre de la langue générale. La relation entre les constituants du signe linguistique obéit très peu à la conception binaire saussurienne en signifiant-signifié. La forme normale semble être plutôt qu'un signe est directement collé à l'objet, voire au concept, sans la médiation du signifié. En fait, le signe scientifique ne doit pas être confondu avec le signe «linguistique». Disons que nous avons affaire à un cas particulier auquel on ne peut pas appliquer sans réserve la théorie structurale du signe, ni celle dite ternaire d'Ogden-Richards, mais plutôt celle toute particulière du nom propre, des termes singuliers ou des descriptions définies où l'on a une relation directe significant-référent.

Cette courte introduction théorique était nécessaire pour attirer l'attention sur la spécificité et la cohérence de la terminologie d'une discipline. Car si l'on relevait systématiquement et pêle mêle les termes qu'un dictionnaire spécialisé peut glaner, on peut être saisi par la disparité des formes et des domaines, l'incohérence frappante de ces termes, pris par groupe ou mis dans un ensemble sans autre forme de procès. Or, c'est uniquement en vertu d'une sémantisation préalable, comme le dit Moufida Aïssa-Bannour[1], qu'un corpus soit perçu et reçu comme tel. Autrement, il serait une liste incohérente de termes ou un tas amorphe de données sans liens. Ainsi, une fois sémantisé, par le label «terminologie grammaticale arabe» tout terme prend sa place dans cette nomenclature

et trouve une signification à l'intérieur de ce système. C'est ce qui semble distinguer une terminologie spécialisée des mots utilisés dans la langue de tous les jours.

A la lecture du premier grand monument de la grammaire arabe, i.e. le **Kitâb** de Sibawaihi, nous pouvons dire qu'il y a trois champs principaux auxquels appartiennent les termes couramment utilisés dans la tradition grammaticale arabe.

I. Le champ qui semble dominer est sans conteste celui de l'espace dynamique, comme s'il s'agissait du mouvement des astres transposé dans celui des individus (architecture, positionnement). Il est possible de subdiviser ce champ en deux sous-parties. La première comportera la force dynamique qui montre un mouvement orienté. La seconde sera constituée des éléments qui relèvent plutôt d'une spatialité non dynamique, que nous qualifions de positionnelle.

II. Un grand nombre de termes (qui vient juste après la première catégorie) relatifs à une valorisation à deux pôles qui semble se présenter pourtant sous une forme scalaire et qui est copie la hiérarchisation sociale (morale).

III. Des éléments disparates qui se trouvent relever en dernière analyse de vieux mots désignant des parties du corps...

I ·L'espace dynamique :

C'est dans cette catégorie qu'on retrouve le maximum de termes. L'aspect dominant se caractérise par une force dynamique, une poussée orientée, mais certains termes se situent dans l'espace sans mouvement aucun. Ainsi relève-t-on dans notre corpus[2], des termes -indices qui situent ce champ dans cette catégorie et qu'on retrouve aussi dans la terminologie logique arabe comme *tağrī mağrāhā* [I. p. 15] (litt. il coule dans le même courant) expression qu'on emploie naturellement dans la terminologie astrologique.

Cette dynamique qui se laisse prévoir dans la terminologie grammaticale arabe est corollaire d'une linéarité qu'on ne peut pas ignorer dans la pensée arabo-musulmane. Ainsi si la grammaire elle-même est présentée comme étant *naḥw* «direction», la morphologie est *ṣarf* «détournement»,

et la lettre d'alphabet *ḥarf* [I. p. 54] «déviation», la langue (ou la variante dialectale) est *lūġa* [I. p. 210] «sortie de la ligne droite» [le même radical a donné lieu à *ʔilġāʔ*, négation, élimination], l'exception est une *šāridat* «sortie du rangs du troupeau», et la négation *nafy* [I. p. 55] «exil», etc. Cela vacertes dans le même ordre d'idées que la linéarité signalée par certains chercheurs et qu'on retrouve dans la relation de *šarīʕa* «législation coranique» à *šāriʕ* «rue», et de *ṭarīka* «méthode», à *ṭarīḳ* «voie», et de *maḏhab* «parti», à *ḏahab* «aller», mais elle indique en plus que cette linéarité constitue une sorte de transparence par rapport à laquelle toute déviation est relevée et évaluée.

Pour en revenir à la force dynamique, le mouvement qui caractérise la terminologie arabe se retrouve parfois dans d'autres terminologies de la tradition occidentale. Ainsi, le concept qui correspond à la transitivité en arabe signifie lui aussi passage *taʕdya* «passer outre» et l'intransitivité *lā yataʕaddā* [I. p.33] «fixité, rester sur place» est marquée par l'arrêt de ce mouvement à l'objet lui-même. La métaphore du langage courant semble partégée. En effet, les grammairiens arabes parlent depuis Sibawaihi de «*sāʔir al-kalām*», littéralement «le langage marchant», dans lequel on reconnaît parfaitement «le langage courant».

Dans cette catégorie, les termes vont par paires opposables. Ainsi, la vocalisation relève de ce même mouvement. Aussi, vocalisé est-il dit *mutaḥarrik* «en mouvement», alors que l'absence de voyelle s'exprime par l'absence de mouvement *sukūn* «repos» (ou non-mouvement). La course (*ǧary*) s'oppose à l'arrêt (*wakf* [I. p. 17]), l'entrée (*duḫūl* [I. p.15]) à l'adjonction (*luḥuk* [I. p. 15], *ʔiḍāfa*[I. p. 14]). Car le mot *ʔiʕrāb* [I. p. 13] (parfois traduit par sciences des déclinaisons et parfois pris comme synonyme de grammaire) signifierait comme dans les autres langues sémitiques «entrer». En akkadien, par exemple, *erēbu*, signifie entre autres «entrer» (mais il a aussi les sens dérivés de «saillie», «débordement» dans une construction, déborder, avancer»). Le mot a en arabe comme en akkadien le sens de «confondre, gâter». Il est quasi-synonyme de *ʕaǧama*, qui signifie en akkadien aussi « troubler, brouiller, ternir » (cf. le rapport avec *ʔajama* qui signifie marécage).
Bināʔ en revanche un rapport certain avec clarté. En akkadien, il signifie «produit, créature, fils, queue», mais signifie aussi « clarté, apparaître, éclairer ».

D'ailleurs, les grammairiens parlent dans leurs analyses du verbe qui «entre» [*yadḫul* I. p.15], littéralement sur le nom et d'un opérateur qui «entre» sur tel terme. «Entrer» tout comme passer [I. p.15], couper [*kaṭʕ, ǧazm*, I. p.13], tirer [*ǧarr*, I. p. 13]], lier [*waṣl*, I. p.29, 128], chute [*wukūʕ*, I. p.103], devancer et rattraper[*lawāḥik*, I. p.15], *taʕbīr* (expression, litt. «le fait de faire traverser»), traduisent tous des forces dynamisées non orientées. D'ailleurs, ce qui s'oppose au mot *bināʔ* (littéralement construction; ce qui oppose le mode construit du mode décliné). Cette opposition ouvre sur un autre champ constitué de termes spatialisés, comme *siʕa* (largeur), *mawḍiʕ* (lieu), *ḍarf* (circonstance), *ḥīn* (laps de temps), *mutamakkin* (litt. qui a lieu)... Les cas s'expriment dans cette même catégorie spatialisée. La relation spatiale des Arabes leur fait mettre le *rafʕ* (litt. élevé, comme terme qui sert à désigner le nominatif) devant et le *ḫafḍ* (litt. en bas) derrière. Il s'agit d'une hiérarchisation à deux dimension (ce qui est haut est devant et ce qui est bas est derrière. Elle est d'ailleurs, confirmée par le mot *ǧarr* (litt. «traîner», comme terme qui désigne le génitif et le datif). L'accusatif s'exprime par une position intermédiaire qui n'est ni en bas, rabaissée, ni en haut, élevée, mais qui est simplement droite, exprimée par le terme *naṣb* (se tenir droit).

II ·La valorisation sociale :

Nous ne rencontrons que rarement des valorisations absolues du genre *faux* ou *juste*, mais des valorisations qui se donnent comme s'ils étaient relatives à une scalarité établie, qu'exprimerait le mot *manzilat* (situation «sociale»). Ainsi, nous retrouvons dans la terminologie de Sibawaïhi, *ṣaġīr, ḍaʕīf* [I. p. 48], *kabīḥ* [I. p. 80],(petitesse, faiblesse et mocheté) non pas opposés à *ṯakīl*, lourdeur mais qui lui sont synonymes. Car ce sont des valorisations sociales et non pas des valorisations absolues. En revanche, tout ce qui est opposé dans la valorisation sociale s'oppose chez lui. De ce fait, on trouve *mostakīm* [I. p. 25](droit), *ḥasan*[I. p. 25] (beau), *ǧaiid* [I. p. 69](fin) qui s'opposent à *sākiṭ* [I. p. 25](bas), *kaḏib* [I. p. 25](mensonger). Les superlatifs marquent encore plus et mieux cette scalarité. Il en va ainsi de la qualification élative des expressions en *amṯal* [I. p. 87](plus haut), *ʔaḏhar* [I. p. 21](plus courant), *ʔaʕlam* [I. p. 21](plus savant), *ʔaʕraf* [I. p. 86] (plus connaisseur), *ʔakwā* [I. p. 33](plus fort), *ʔaǧwad* [I. p. 82](plus noble), *ʔaḫaff* [I. p. 21](plus léger), *ʔašadd tamakkun* [I. p. 20] (plus sûr), *ʔakṯar* [I. p. 85] (plus fréquent, *ʔawwal* [I. p. 22] (premier, meilleur), *ʔaṯkal* [I. p. 20] (plus lourd),...

Des termes comme *nakira* (litt. inconnu, utilisé au sens de «indéfini») qui a le sens de « ennemi » en akkadien mais est très socialement marqué en arabe. Il s'oppose à *maʕrifa* (litt. connaissance, utilisé au sens de «défini».) qui l'est tout autant. Nous pensons pour notre part que cette socialisation de la terminologie doit provenir d'une certaine influence des études juridiques ou théologiques. Mais c'es là une autre question.

III. **Les parties du corps humain:**

Il est possible de ramener ce qui reste de la terminologie grammaticale, à de vieux mots relatifs à des parties du corps. Ainsi *maṣdar* (nom verbal) qui devrait être considéré, dans la conception spatiale des Arabes, comme ce qui est devant (début) et dessus (en haut, en premier), car il dérive du mot qui désigne la poitrine *ṣadr*. Quant à *ḍamīr* (pronom), il dérive d'un mot *ḍamr*, qui désigne le ventre ou la poitrine. Le pronom est considéré pour cette raison comme un contenant plutôt invisible. Le verbe *ʔaḍamara* signifie généralement «cacher son sentiment». Ainsi, seule la démotivation du terme peut expliquer son emploi pour désigner un pronom apparent dans l'opposition *ḍamīr ḏāhir* vs *ḍamīr mustatir*: i.e. *exprimé* vs *non exprimé*. De même, le mot *naḥw* (grammaire) lui-même qui exprime une relation spatiale (côté) dérive du nom de la côte, tout comme le mot français, et signifie claudication. C'est-à-dire erreur et déviation (non transparence), dans le sens que nous avons indiqué plus haut et non pas ligne de conduite comme on le prétend souvent. A côté, du mot *muḍāraʕ* qui exprime la simultanéité, i.e. et dans lequel nous voyons comment la conception du temps en arabe est fondée sur une spatialisation du corps, car ce mot dérive de *ḍarʕ* (litt. deux tétines, une paire de seins), nous retrouvons des métaphores des parties du corps qui remettent l'homme à sa place comme étant la mesure de tout, par exemple, *waǧh al-kalām* [I. p. 32, 74] (mode de dire, *litt.* visage de la parole), et *kalb al-maʕnā* [I. p. 59] (le noyau sémantique, litt. cœur du sens).

Conclusion:

La dernière source, i.e. les éléments nommant des parties du corps, ne sont pas perçus comme tels. En vérité, il s'agit de termes résiduels ou inclassables. Si nous avons pensé les mettre dans cette catégorie, c'est plus pour attirer l'attention sur une recherche étymologique possible du vocabulaire arabe

en le rattachant à ce fond ancien susceptible de fou :nir des informations très précieuses à une recherche lexicologique sur la form .tion du vocabulaire de la langue arabe, voire les autres langues sémitiques.

En tout cas, ce ne sont pas les éléments résiduels qı i caractérisent les sources de la terminologie grammaticale arabe. Ce qui doit être pris en considération devrait être en toute logique l'écrasante majorité qı i appartient comme nous avons essayé de le montrer à la perspective spatiale ı ynamisée.

Abderrazak BANNOUR

Notes :

1. Moufida Aïssa-Bannour, *«Un corpus en constructio :, l'exemple de la terminologie urbaine»* à paraître dans les Actes du colloque sur le *Corpus* organisé à Tunis en juin 2004.
2. Toutes nos références seront données à partir de Sibawaihi **Al-Kitāb**, édition **Ḫānǧī**, troisième édition, du Caire (texte établi e annoté par Abdessalem Mohamed Haroun) 1988.

BIBLIOGRAPHIE :

1- En arabe :

ابن جنّي، أبو الفتح عثمان: كتاب الخصائص، تحقيق محمّد علي النّجار. القاهرة 1952-1956 (3 أجزاء).

ابن مراد، ابراهيم : مقدّمة لنظريّة المعجم، دار الغرب الإسلامي،بيروت. 1997.

بعلبكي، رمزي منير : فقه العربيّة المقارن. دار العلم للملايين. بيروت، 1999.

الزجّاج، أبو اسحاق: ما ينصرف وما لا ينصرف تحقيق هدى محمود قراعة. ط3. مكتبة الخانجي. القاهرة. 2000.

الزمخشري، أبو القاسم جار الله : المفصّل في صناعة الاعراب. دار الكتب العلميّة. بيروت، لبنان. 1999.

سيبويه، أبو بشر عمرو بن قنبر (المعروف بـ): الكتاب. تحقيق عبد السلام هارون. مطبعة الخانجي. القاهرة. 1988. الطبعة الثالثة.(: أجزاء).

الفراهيدي، الخليل بن أحمد : كتاب العين، تحقيق مهدي المخزومي وابراهيم السّامرّائي، بيروت، 1988 (8 أجزاء).

يوهان فك: العربيّة دراسة في اللّغة واللّهجات والأساليب. مكتبة الخانجي بمصر. 1980.

2- En français et en anglais :

Auroux S. *La révolution technologique de la grammaticalisation.* Mardaga. Liège. 19-94.

Aziz Y. *"Theme-rheme organization and paragraph structure in standard Arabic"*, in ***Word***, vol.39, n°2, pp. 117-128

Brockelmann C. *Précis de linguistique sémitique.* Librairie Paul Guethner. Paris. 1910

Carter, *Arab Linguistics. An Introductory classical text with translation and notes.* Studies in the History of Linguistics n° 24, Amsterdam, Gohn Benjamin. 1981

Fischer A. *Etymological Historical Arabic Lexicon.* Cairo. 1967.

Fleisch H. *Introduction à l'étude des langues sémitiques.* Adrien Maisonneuve. Paris. 1947.

Fleisch H. *Traité de philologie arabe.* Imprimerie Catholique de Beyrouth. 1961.

Havet, J., 1978, (édit.), *Tendances principales de la recherche dans les sciences sociales et humaines.* Mouton. Unesco. Paris-La Haye-New York. 1978.

Jakobson, R., 1978, «La linguistique», in J.Havet (édit). vol. 1, chap. 6, pp.504-556.

Lakoff, G. & Johnson (1980), *Les métaphores dans la vie quotidienne.* Minuit. Paris. 1980.

Owens J. *The Foundation of Grammar (An Introduction to Medieval Arabic Grammatical Theory).* John Benjamin. Amsterdam. 1988.

Pottier : *Systématique des éléments de relation.* Klincksieck. 1952. Paris.

Vendryes, J., (1923), *Le langage. Introduction linguistique à l'histoire.* Albin Michel. Paris.

Hassan HAMZÉ
ELISA-CRTT
Université Lyon 2

LE KITÂB DE SÎBAWAYHI ET LA FORMATION DE LA TERMINOLOGIE GRAMMATICALE ARABE :

pour une relecture dynamique

1) « Une terminologie idéale supposerait une science achevée » :

Cette phrase, sur la couverture du *Dictionnaire de la linguistique* de Georges Mounin, établit un principe terminologique fondamental : tant que la science évolue, la terminologie est en perpétuel changement. En effet, l'évolution d'une science donnée implique la création de nouveaux concepts et, par conséquent, de nouvelles unités terminologiques. Cette création qui peut amener à la disparition d'autres termes, se fait souvent dans la douleur ; elle génère des conflits entre les termes anciens et les termes nouveaux, non seulement en raison du chevauchement éventuel des deux concepts en question, mais aussi en raison de l'extension ou la réduction de l'un des concepts en concurrence. Il faut un certain temps pour que la langue puisse régulariser la situation, si elle arrive jamais à la régulariser, et procéder aux réajustements qui s'imposent pour délimiter chaque terme et essayer d'arriver à l'idéal terminologique souvent utopique : un terme exprime un concept et un seul ; un concept est exprimé par un terme et un seul. C'est cet état imaginé de la terminologie et, peut-être même imaginaire, qu'on appelle une terminologie idéale ; elle ne peut être atteinte, si elle est jamais atteinte, qu'après l'achèvement de la science.

2) Evolution de la terminologie grammaticale arabe :

L'évolution d'une science ne consiste pas en une répétition des connaissances anciennes ; elle est un dépassement de ces connaissances qui peut prendre la forme d'une rupture avec l'ancien, c'est sa forme la plus évidente, ou d'une continuité, d'une construction nouvelle sur l'ancien. C'est, vraisemblablement, cette deuxième forme qui marque la

pensée grammaticale arabe pour laquelle l'évolution s'est faite par petits pas et sans rupture fondamentale avec le ***Kitâb*** (H. Hamzé : *Les théories grammaticales d'az-Zajjâjî*, 1, 10-12).

L'activité grammaticale arabe a connu des développements intéressants pendant plus de sept siècles. Le *Kitâb* de Sîbawayhi, qui est le premier livre de grammaire arabe qui nous soit parvenu, s'inscrit dans une longue tradition foisonnante. Il est le fruit d'une intense activité antérieure tout comme il est le point de départ pour d'intéressants développements futurs.

Le *Kitâb* n'est pas né dans le vide. Ce point de vue soutenu par ceux qui croient que la grammaire arabe a emprunté ses concepts fondamentaux à la tradition grecque ne nous semble pas fondé. La réflexion des Arabes sur leur langage commence à partir du premier siècle de l'hégire, c'est-à-dire bien loin avant Sîbawayhi mort en 180h/796c. Le volume du *Kitâb* qui embrasse tous les domaines de la grammaire, ses analyses fines et sa maturité, montrent à l'évidence, qu'il ne peut pas être le début de la réflexion linguistique arabe. Toute la littérature, abondante, sur les grammairiens arabes : livres de biographie, de *'adab*, de *'aÌbâr*, etc., ainsi que les livres de grammaire, y compris le *Kitâb* lui-même, vont dans le même sens : plusieurs générations de savants ont contribué à la réflexion et au développement des sciences arabes du langage.

Le *Kitâb* était bien un ouvrage fondateur dans la pensée grammaticale arabe. Cependant, la science n'a pas été établie une fois pour toutes. Les travaux des grammairiens postérieures n'étaient pas une simple répétition fastidieuse comme semble le suggérer l'expression maladroite de Henri Fleisch : « Les grammairiens arabes se sont fastidieusement répétés » (*Traité de Philologie arabe*, 1, 46). Cette répétition n'intervient que très tard, après plusieurs siècles, avec les grammairiens tardifs, voire très tardifs, qui se sont contentés souvent de reprendre le matériau ancien avant de le verrouiller et le présenter comme une grammaire scolaire immuable.

Quelle que soit la forme que peut prendre l'évolution, elle doit produire de nouveaux concepts et de nouveaux termes. Ce principe est valable dans la première période, celle de la naissance avant le *Kitâb*, tout comme dans les périodes qui l'ont suivi.

Dans la première période, celle de la naissance avant Sîbawayhi, il est difficile de connaître de manière sure et définitive tous les termes. On peut supposer que Sîbawayhi n'a pas inventé les centaines de termes de son *Kitâb* et qu'il en a hérité une partie. Le retour au dictionnaire célèbre *al-'Ayn*, attribué à al-Khalîl b. Aĥmad (mort en 170 ou 175h/786 ou 791c), cheikh de Sîbawayhi, permet de dégager un nombre important de ces termes. En faisant appel à un certain nombre de critères on peut supposer –parfois affirmer– l'appartenance de tel terme ou de tel autre à la première période avant Sîbawayhi[1]., Dès lors, il est impératif de voir si ce terme a été repris tel quel dans le *Kitâb* ou pas, c'est-à-dire de voir s'il est utilisé pour exprimer le même concept ou bien pour exprimer un autre concept totalement ou partiellement différent du premier.

Dans la deuxième période, après Sîbawayhi, l'évolution de la terminologie grammaticale arabe est évidente. La simple comparaison du *Lexique-index du Kitâb de Sîbawayhi* avec le lexique de la traduction de la 'Alfiyyah d'Ibn Mâlik et qui contient la terminologie de ce dernier ainsi que celle de ses commentateurs, montre que ce deuxième lexique contient plus de cent cinquante termes dans tous les domaines de la grammaire qui ne figurent pas dans le *Kitâb* (Troupeau : *Lexique-index*, 19-24).

Le Kitâb apparaît comme le point de repère et la référence dans l'histoire de la terminologie grammaticale arabe. De la sorte on peut distinguer ce qui est avant et ce qui est après le *Kitâb*.

3) Les formes de l'évolution :

L'évolution terminologique constatée par rapport au point de référence que constitue le *Kitâb*, touche trois catégories :

3-1° Termes utilisés par Sîbawayhi et tombés en désuétude comme les termes de *banât al-'arba'a* pour désigner le quadrilittère (rubâ'î), ou le terme *'ism mâ 'âlaj ta bi hi* pour désigner le nom d'instrument ('ism al-'âlat), etc.

3-2° Termes utilisés par les grammairiens postérieurs et absents dans le *Kitâb*, comme les termes de *ĥukm* (statut), *jumla* (phrase), *jaĥd* (négation), *mustatir* (sous-entendu), etc. Cependant, il faut se garder de considérer toute cette terminologie absente du *Kitâb* comme une terminologie nouvelle inventée par les grammairiens postérieurs. En effet, un certain nombre de ces termes

figurent déjà dans le *Kitâb al ʿAyn* comme le *jaḥd* à côté de *nafy* (négation) ou la *ʾadât* à côté de *ḥarf* (particule).

3-3° Termes utilisés dans le *Kitâb* et conservés dans les ouvrages postérieurs. Cette catégorie constitue la majeure partie de la terminologie grammaticale arabe.

4) Vision statique et vision dynamique : le mythe de la case vide :

4-1 Stabilité de forme et stabilité de concept :

A première vue, l'étude de l'évolution de la terminologie grammaticale arabe lorsqu'elle est envisagée, ne vise que les deux premières catégories qui sont des manifestations évidentes du changement. Quant à la troisième catégorie, très souvent, elle n'est même pas envisagée. On considère que les termes attestés depuis toujours dans la tradition sont les mêmes, et que les grammairiens tardifs ont repris les termes des Anciens tels quels sans modification conceptuelle, dans la mesure où les formes des unités terminologiques sont les mêmes.

Cette manière de procéder ne nous semble pas pertinente. La présence d'une même forme dans les différentes sources n'est point une preuve suffisante que le concept est le même. Il est légitime de se poser la question de savoir s'il s'agit bien d'une même unité terminologique ou de deux unités homonymes. Par ailleurs, il faut toujours se demander si le grammairien n'a pas repris les termes anciens pour exprimer de nouveaux concepts plus ou moins éloignés du concept initial. L'étude de l'évolution de la terminologie grammaticale arabe à partir de cette troisième catégorie est beaucoup plus difficile, certes, mais elle est beaucoup plus féconde. Elle nécessite une attention particulière pour pouvoir saisir les changements qui risquent de passer inaperçus parce que la forme reste la même. La stabilité de la forme induit souvent en erreur, car elle donne l'impression que le concept, lui-même, est également stable. Nous donnerons ci-dessous des exemples pour illustrer cette idée.

4-2 Termes de rechange et termes concurrentiels :

A première vue, le sort des deux premières catégories peut paraître réglé. Il est évident que la mort d'un terme ancien et la naissance d'un terme nouveau constituent des changements perceptibles. Mais la mort et la naissance

ne se réduisent pas à des opérations mécaniques semblables à celles des pièces de rechange. En effet, les choses ne se passent pas de cette manière statique. On ne crée pas un nouveau terme qui prend immédiatement la place d'un autre terme qui sort de l'usage et meurt. Le remplacement est un processus qui dure dans le temps, les deux termes cohabitent, entrent en conflit, puis l'un des deux commence progressivement à supplanter l'autre.

Cependant, il n'est pas impossible d'imaginer des opérations sans conséquences, ou, plutôt, sans conséquences significatives. C'est, par exemple, le cas de la disparition de l'un des termes qui présentent une synonymie référentielle et qui coexistent à la même époque soit parce qu'ils sont utilisés par deux communautés pour désigner le même référent comme les termes *at-tarjamat* et *at-tabyîn*, *aÃ-Ãamîr al-majhûl*, *al-ʿimâd* et *Ìurûf aÒ-Òifa* qui étaient employés par les grammairiens de Kûfa en face des termes *al-badal*, *Ãamîr aš-ša'n*, *Ãamîr al-faÒl* et *Ìurûf al-jarr* utilisés par les grammairiens de Basra pour désigner, respectivement, la mise en apposition, le pronom sans antécédent, le pronom de séparation entre le sujet et le prédicat d'une phrase nominale et les prépositions (MaÌzûmî : *Madrasat al-Kûfa*, 310-314). Il en est de même pour la disparition de l'un des termes synonymes utilisés par le même groupe de grammairiens ou par le même grammairien, notamment dans la période de l'élaboration de la terminologie ; l'un des termes finit par supplanter les autres. C'est le cas de *al-jamʿ bi l-wâw wa n-nûn* ou *al-jamʿ alladî ʿalâ Ìadd at-tatniyat* utilisés par Sibawayhi (*Kitâb*, 3, 390 ; 1, 17) ou encore *jamʿ as-salâmat* ou *al-jamʿ al-musallam* ou *al-jamʿ as-sâlim*, termes utilisés pour désigner ce qui sera appelé *jamʿ al-mudakkar as-sâlim* (pluriel masculin externe), par opposition à *jamʿ al-mu'annat as-sâlim* (pluriel féminin externe) et à *jamʿ at-taksîr* ou *al-jamʿ al-mukassar* (pluriel interne).

4-3 Termes ou système terminologique ?

Un domaine de spécialité donné n'est pas un simple assemblage d'éléments indépendants qui s'additionnent et qui se mettent les uns à côté des autres, dans des cases qui forment une structure linéaire immuable. En fait, ces éléments entretiennent une relation dynamique entre eux et forment un système. De Saussure insiste beaucoup sur la relation qui existe entre les éléments du système qui se distinguent par leurs relations mutuelles plutôt que par le contenu et les traits intrinsèques de chaque élément (*Cours de linguistique générale*, 162, 164, 166).

Le vocabulaire de spécialité, en l'occurrence celui de la grammaire, est un tissu de relations. Un élément nouveau ne pourra pas prendre une place qui lui est réservée, une case vide prête à l'accueillir, sans relation avec l'ensemble. On a souvent tendance à admettre cette situation notamment dans les cas de l'emprunt. On parle alors de nouveaux besoins qui naissent et de nouvelles unités qui sont empruntées pour répondre à ces besoins. C'est comme s'il y avait dans une langue donnée, des cases vides qu'elle n'arrive pas à remplir. Elle fait alors appel à d'autres langues pour combler le vide en empruntant le terme et le concept qui lui est associé.

Cette vision statique très répandue, ne manque pas de poser problème dans le vocabulaire général tout comme dans les domaines de spécialité. La mort d'un terme, la création d'un terme nouveau et même l'emprunt d'un terme étranger ne sont pas des opérations statiques et figées. Toute opération de ce type est un processus dynamique qui ne s'arrête pas sur l'élément crée, mais affecte l'ensemble, dans la mesure où l'élément en question fait partie d'une famille. Dans ce sens, la mort d'un terme ne se traduit pas par sa simple disparition ; la création ne peut pas être perçue comme une simple addition, non plus. Un élément nouveau qui entre dans une famille entretient, forcément, des relations avec l'ensemble des éléments de la famille et les oblige à se repositionner. En d'autres termes, le tissu de relations existantes entre les éléments ne reste pas stable. Un autre tissu avec d'autres relations, légèrement ou profondément modifiées se met en place. Il est illusoire de penser qu'on peut étudier l'élément nouveau en faisant abstraction des éléments préexistants.

L'étude de l'évolution de la terminologie grammaticale arabe doit donc rendre compte, non seulement de la disparition de telle unité et de la création de telle autre, mais aussi des changements apportés par cette disparition ou par cette création.

5- Le *Kitâb* et l'évolution terminologique arabe

5-1 L'ouvrage incontournable :

Dans toutes ces opérations, le *Kitâb* de Sibawayhi constitue une étape clé, et un passage obligé pour examiner la terminologie grammaticale arabe dès les premiers pas des précurseurs qui ont commencé l'élaboration de la science grammaticale jusqu'à la normalisation de cette terminologie avec les grammairiens tardifs.

Même s'il est difficile d'établir avec certitude toute l'histoire de cette terminologie dans les deux premiers siècles faute de livres de grammaire avant le *Kitâb* de Sîbawayhi, il nous est possible de connaître une partie de cette terminologie à travers le *Kitâb* lui-même, ainsi qu'à travers la production des savants avant Sîbawayhi, dans les différentes disciplines comme l'exégèse du *Coran* de Muqâtil b. Sulaymân (mort en 150h/767c), le *Diwân* d'al-Khirniq b. Haffân recueilli par Abû ʿAmr b. al-ʿAlâ' (154h/771), le *Kitâb al-ʿAyn*, attribué à al-Khalîl b. 'AÎmad (170 ou 175/786 ou 791), etc.

Les grammairiens arabes après Sîbawayhi, ont repris une bonne partie de sa terminologie qu'elle soit élaborée par Sîbawayhi ou reprise aux savants antérieurs. Cependant, cette terminologie ne s'est achevée que quelques siècles plus tard. Il est donc impératif de partir du *Kitâb* pour faire les comparaisons dans les deux sens : en remontant le cours de l'histoire vers les grammairiens anciens, puis en descendant vers les grammairiens tardifs.

Dans la comparaison avec les anciens, tout comme dans la comparaison avec les tardifs, on peut retrouver les trois types de modification : création de nouveaux termes, disparition de termes anciens et changement des concepts pour un certain nombre de termes gardés tout au long des siècles.

Dans ce qui suit, il sera question de quelques échantillons qui appartiennent à différents types de situation afin de montrer qu'il s'agit bien d'un processus dynamique et non de cases vides à remplir.

5-2 Elément nouveau perturbateur :

Les deux termes *Îâl* et *tamyîz* sont bien connus dans la tradition grammaticale arabe. Ils couvrent deux concepts différents dans l'oeuvre des grammairiens puisqu'ils sont présentés dans deux chapitres distincts, malgré des points de ressemblance entre les deux. Contrairement au *Îâl*, le deuxième terme, le *tamyîz*, est absent du *Kitâb*. Il ne s'agit, pour l'instant, que d'un simple constat qui peut être obtenu à partir de l'index des termes techniques du *Kitâb*.

Dans une étude de l'évolution de la terminologie grammaticale arabe, on peut être tenté d'examiner le nouveau terme, le *tamyîz* et de considérer que le terme *Îâl* est toujours le même. Cependant, s'arrêter là et croire que l'étude peut se contenter de ce constat ne peut mener qu'à des confusions. Il y a là une erreur

méthodologique qui prend le terme seul, coupé de l'ensemble, comme s'il ne faisait pas partie d'un tissu. Or, la création de ce nouveau terme, le *tamyîz*, ne peut pas se faire sans modifier les rapports existants. En conséquence, l'autre terme, le *Îâl*, ne pourra pas rester sans changement. Le *Îâl* dans le *Kitâb* ne pourra donc pas être équivalent du *Îâl* dans l'oeuvre des grammairiens postérieurs. Dans un cas, le *Îâl* tout seul occupe le terrain, dans l'autre, le terrain se trouve partagé avec le *tamyîz*.

Le terme *kalâm* fournit un autre exemple. Dans le *Kitâb*, ce terme couvre plusieurs acceptions[2]. Il désigne, entre autres, la structure syntaxique de l'énoncé[3] qui sera désignée, plus tard, par le terme *jumla* (phrase). Le terme *jumla* utilisé dans une acception technique dans le *Muqtadab* d'al-Mubarrid à la fin du IIIème /IXème siècle (1, 8), entre en concurrence avec le terme *kalâm*. Les deux termes considérés toujours comme équivalents par des grammairiens comme Ibn Jinnî (392 /1002 : *al-KhaÒâ'iÒ*, 1, 17) et az-Zamakhšarî (538 / 1144 : *al-MufaÒÒal*, 23) finissent par couvrir deux acceptions différentes avec Ibn Hišâm au VIIIème /XIVème siècle : le premier, *kalâm* sera considéré sur le plan sémantique, comme tout énoncé ayant un sens complet, le second, *jumla*, sur le plan syntaxique, comme une phrase, que le sens soit complet ou non (*MuÈnî al-labîb*, 2, 374-375). En fait, le deuxième terme a fini par ébranler le premier pour en modifier la portée.

5-3 Restriction du champ : le *'ištiÈâl* :

Le terme *'ištiÈâl*[4] est défini par Ibn ᶜUÒfûr (669 /1271) comme le fait qu'un verbe, ou ce qui lui ressemble, s'occupe d'un pronom de rappel dont l'antécédent est antéposé au verbe de sorte que, si le verbe n'était pas occupé du pronom pour le régir, il aurait régi son antécédent (*Šarî al-Jumal*, 1, 361). Exemples :

1° Si le verbe s'occupe du nom, il le régit à l'accusatif :

zayd-an	+	Äarab-tu
Zayd (accusatif)		j'ai frappé

2° le verbe s'occupe du pronom de rappel, le nom qui n'est plus régi par le verbe se met au nominatif en tant que sujet d'une phrase nominale :

zayd-un	+	Âarab-tu	+ **hu**
Zayd (nominatif)		j'ai frappé	+ **lui**

Cette définition de *'ištiÈâl* est reprise dans tous les dictionnaires de la terminologie grammaticale arabe. Elle n'est point remise en cause. Or, elle ne correspond que très partiellement à l'acception du terme dans les sources anciennes. Dans le *Kitâb*, cette définition n'est que l'une des acceptions particulières de *'ištiÈâl* comme dans le verset [Coran 41, 17] : /wa 'ammâ tamûd-u fa haday-nâ hum/ (*Kitâb*, 1, 81). En effet, 'ištiÈâl dans le *Kitâb* consiste à occuper un verbe d'un nom pour le régir ; l'acception première du terme est le fait d'occuper un verbe de son *fâ'il*, que le *fâ'il* soit l'agent ou le patient du verbe. La seule occurrence du terme dans le *Ma'ânî al-Qur'ân* d'al-Farrâ' (1, 12-13) ne concerne point la rection exercée sur un pronom de rappel, mais le fait d'occuper une unité nominale d'une autre pour former un inchoatif et son énonciatif comme dans l'exemple :

/**hâḏâ l-'asad-u** maÌûf-an/

L'on voit bien qu'il ne suffit point d'avoir la même forme pour conclure que l'unité terminologique est la même dans toute l'œuvre des grammairiens arabes.

5-4 -Redistribution des tâches : *naÎw* et *taÒrîf*

Le terme *taÒrîf* apparaît dans le *Kitâb* (4, 242) avec un sens bien particulier. Il signifie le fait de construire des unités non attestées dans la langue des Arabes selon les schèmes de cette langue. Construire, par exemple, de la racine /ÂRB/ un mot sur le schème /fa'lal/ donnerait */ÂaRBab/. Cette opération ressemble beaucoup à ce qui sera appelé, plus tard, *masâ'il at-tamrîn wa l-ÈalaÔ* où il s'agit de faire des exercices de formation d'unités inexistantes sur un modèle préexistant pour vérifier la maîtrise par l'élève des systèmes de la langue notamment les systèmes morpho-phonologique et syntaxique.

Après Sîbawayhi, le champ d'application de ce terme commence à s'élargir pour comprendre, non seulement, des unités virtuelles construites sur le modèle,

mais aussi des unités attestées ayant subies des transformations phonologiques. Plus tard, c'est une partie, puis c'est la totalité de la morphologie qui est couverte par le terme *taÒrîf* à côté de la phonologie et des exercices mentionnés ci-dessus. Le *taÒrîf* dans ce sens, se met en face de *naÎw* (syntaxe).

Il nous paraît primordial quand on examine les changements intervenus dans la conception du *taÒrîf* de ne pas perdre de vue : le changement de *taÒrîf* ne peut pas se faire sans changer, en même temps, et progressivement, les termes qui partagent avec lui le même champ. Ainsi, le terme *naÎw*, qui, à première vue n'est pas concerné, ne pouvait pas rester stable. Son acception ne pouvait plus être la même dans le *Kitâb* et dans les textes postérieurs. Au fur et à mesure des changements qui interviennent pour le *taÒrîf*, le *naÎw*, lui aussi, change et se transforme. Aussi, des chapitres comme le diminutif, la dérivation, le nom de relation, etc. qui en faisaient partie commencent-ils à en sortir pour que le *naÎw* ne regroupe plus que la partie qui concerne les relations syntaxiques entre les différentes unités de la phrase[5].

6- Conclusion:

Les exemples donnés visent trois objectifs :

-démontrer qu'un examen de la terminologie grammaticale arabe et de son évolution ne pouvait pas se faire sans prendre le *Kitâb* de Sîbawayhi comme un point de départ qui permet de remonter le temps vers les premiers grammairiens et descendre vers les grammairiens tardifs.

-démontrer qu'une étude de l'évolution de la terminologie grammaticale ne pouvait pas se réduire à un examen des termes disparus et des termes nouveaux ; beaucoup de termes qui ont gardé la même forme ont subi des changements plus ou moins importants dans les concepts qu'ils expriment. L'invariabilité de la forme ne peut, en aucun cas, être prise comme une preuve de l'invariabilité du terme.

-démontrer que l'examen des termes morts et des termes nouveaux ne peut pas se réduire à ces termes. La création terminologique n'est pas une opération mécanique qui consiste à remplir des cases vides. Il est donc nécessaire d'adopter une vision qui considère la création terminologique comme un processus

dynamique. Dans ce processus, les termes morts et les termes nouveaux sont considérés comme des éléments d'un ensemble dans lequel la relation entre les éléments est aussi importante, voire plus importante que le contenu même de l'élément. En conséquence, tout changement : disparition ou création, doit être vu comme une opération qui affecte l'ensemble des éléments qui occupent le même champs.

Hassan HAMZÉ

NOTES :

[1] Hassan Hamzé : «من قضايا التأصيل في المعجم العربي المختص».

[2] G. Troupeau dans son *Lexique-index du Kitâb* donne plusieurs équivalents de ce terme : prose, mot, énoncé, énonciation, langue et langage.

[3] Voir Hassan Hamzé : عودة إلى المسند والمسند إليه في كتاب سيبويه notamment p.36

[4] Voir Hassan Hamzé : « 'IštiÈâl », à paraître.

[5] Voir Hassan Hamzé : في تطور مصطلح التصريف, à paraître.

RÉFÉRENCES BIBLIOGRAPHIQUES

1- Sources primaires :

ابن جني: الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت، 1371هج / 1952م.

ابن عصفور : شرح جمل الزجاجي، تحقيق صاحب أبو جناح، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلسلة إحياء التراث الإسلامي بغداد، 1400هج/1980م.

ابن هشام : مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا-بيروت، 1407هج/1987.

الخليل بن أحمد: كتاب العين تحقيق مهدي المخزومي وابراهيم السامرائي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط1، 1408هج / 1988م.

الزمخشري: المفصل في صنعة الإعراب، تحقيق علي بو ملحم، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط1، 1993.

سيبويه، أبو بشر: الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1971-1979.

الفراء : معاني القرآن، تحقيق محمد علي النجار وأحمد يوسف نجاتي، عالم الكتب، بيروت، ط3، 1403هج/ 1983م.

القرآن الكريم.

المبرد: المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، د.ت.

2- Sources secondaires :

Fleisch, Henri : *Traitè de philologie arabe*, Imprimerie catholique, Dâr al-Machreq, Beyrouth, Vol. 1, 1961.

Goguyer, Antoine : La *Alfiyyah d'Ibnu-Mâlik*, Librairie du Liban, 2ème éd. 1995.

Hamzé, Hassan : *Les thèories grammaticales d'az-Zajjâjî*, Thèse d'Etat ès lettres, Université Lyon 2, 1987.

Mounin, Georges : *Dictionnaire de la linguistique*, Quadrige, Presses Universitaires de France, 2ème édition, 1995.

Saussure, Ferdinand De : *Cours de linguistique gènèrale*, édition préparée par Tullio De Mauro, Payot, Paris, 1985.

Troupeau, Gérard : *Lexique-index du Kitâb de Sîbawayhi*, Klincksieck, Paris, 1976.

حمزة، حسن: «عودة إلى المسند والمسند إليه في كتاب سيبويه»، مجادلة السائد في اللغة والأدب والفكر، أعمال ندوة «مجادلة السائد» لعام 1996 بإشراف توفيق بن عامر، منشورات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس، السلسلة 7، المجلد 12، 2002، صص 21-47.

حمزة، حسن: «في تطور المصطلح النحوي العربي»، دورية علوم اللغة، القاهرة، عدد خاص عن المصطلح النحوي العربي بإشراف حسن حمزة، تحت الطبع.

حمزة، حسن: «من قضايا التأصيل في المعجم العربي المختص»، أشغال ندوة المعجم العربي التاريخي، تونس، مجلة المعجمية، العدد 21، تحت الطبع.

حمزة، حسن: «في تطور مصطلح التصريف»، قيد الإنجاز.

المخزومي، مهدي : مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، ط2، 1377هج/ 1958م.

هارون، عبد السلام: فهارس كتاب سيبويه. انظر سيبويه: الكتاب، الجزء الخامس.

Abdelhamid TAGHOUTI
(ELISA Lyon2)

LA TERMINOLOGIE GRAMMATICALE ARABE DANS LE KITÂB DE SIBAWAYHI

Le *Kitâb* de SIBAWAYHI(180/796) reflète une activité grammaticale intense en même temps qu'il constitue une étape avancée et mûre de son époque. De ce fait, il est incontestablement, un ouvrage de référence incontournable pour toute réflexion ou description de la matière grammaticale arabe. Ainsi notre réflexion portera sur la terminologie grammaticale arabe dans le *Kitâb* de SIBAWAYHI. Nous tenterons, dans un premier temps, de faire une description de cette terminologie. Nous tacherons par la suite de mesurer l'étendue de son 'adaptabilité' aux normes actuelles et de suivre son évolution.

1 - La terminologie grammaticale arabe dans le *Kitâb* de SIBAWAYHI: Lecture de la table des matières

La lecture de la table des matières du *Kitâb* montre que les intitulés des chapitres vont de la simple séquence linguistique composée de deux termes à celle composée d'une suite de mots pouvant contenir plus d'une phrase et occuper plus d'une ligne. Sur les 555 chapitres qui constituent l'œuvre, nous avons recensé seulement une vingtaine de chapitres (22/23) dont l'intitulé est composé du terme /ba:b/ (chapitre) suivi d'un deuxième terme annexé au premier tels que :

> Chapitre d'/al-jarr/ (le génitif)- chapitre d'/al-ibtida:'/ (l'inchoativité)- chapitre d'/an-nida:'/ (l'appel)- chapitre d'/an-nudba/ (la déploration) - chapitre d'/at-tarkhi:m/(l'élision) - chapitre d'/al-istithna:'/ (l'exception) - chapitre d'/al-hamz/ (hamza : occlusive glottale) - chapitre d'/at-tadʿi:f/ (la gémination ou le dédoublement de consonne) - chapitre d'/al-'idgha:m/ (l'assimilation), etc.

Ou encore :

> Chapitre de /kam / – chapitre de /ghayr / – chapitre de /'ayy / – chapitre de /'idhan / – chapitre de /hatta: / – chapitre d' /al-fa:' / (le f) – chapitre d' /al- wa:w / (le w) – chapitre de /'aw /

Le titre le plus long renferme, à lui seul, 38 termes (livre I, p 335) :

> /ha:dha:# ba:bu # ma: # yantasibu # fi:hi # l-masdaru # ka:na # fi:hi # al-'alifu # wa # l-la:mu # 'aw # lam # yakun # fi:hi # ^c^ala: # 'idma:ri # l-fi^c^li # l-matru:ki # '**izh**ha:ruhu # li 'annahu # yasi:ru # fi: # l-'ikhba:ri # wa # l-istifha:mi # badalan # min # al-lafzhi # bi + l-fi^c^li # kama: # ka:na # l-hadhara # badalan # min # 'ihdhar # fi: # l-'amri / :(le complément de cause).

Notre attention a été particulièrement attirée par le fait que plus de la moitié des intitulés (241) commencent par le mot chapitre suivi du relatif /ma: / qui est suivi à son tour d'un verbe, tels que:

> – /ba:bu **ma:** ya^c^malu fi:hi l-fi^c^lu fa+yantasibu wa huwa ha:lun waqa^c^a fi:hi l-fi^c^lu wa laysa bi+maf^c^u:lin / : le complément d'état (al-hâl)
>
> – /ba:bu **ma:** ya^c^malu ^c^amala l-fi^c^li wa lam yajri majra: l-fi^c^li wa lam yatamakkan tamakkunahu / : les verbes d'exclamation et de louange)
>
> – /ba:bu **ma:** yaku:nu min al-masa:diri mafcu:lan fa+yartafi^c^u kama: yantasibu 'idha: shaghalta l-fi^c^la bihi wa yantasibu 'idha: shaghalta l-fi^c^la bi+ghayrihi / : le complément absolu (al-maf^c^u:lu l-mutlaqu), etc.

Quelques chapitres (une vingtaine) commencent par le mot /ba:bun / suivi de la particule du génitif /min / (parmi les...) suivie à son tour par un nom, tels que :

> – /ba:bun **min** al-fi^c^li yusta^c^malu fi: l-ismi thumma yubdalu maka:na dha:lika l-ismi 'ismun 'a:kharu / : le permutatif (al-badal)
>
> – /ba:bun **min** al-masa:diri jara: majra: l-fi^c^li l-muda:ri^c^i fi: ^c^amalihi wa ma^c^na:hu / : faire régir le nom d'action (le masdar)

- /ba:bun **min** al-jaza:'i yanjazimu fi:hi l- i^clu 'idha: ka:najawa: ban li+'amrin 'aw nahyin 'aw istifha:mi ı 'aw tamannin 'aw ^caradin / : la protase et l'apodose (ash-s ıartu wa jawa:buhu)

A un degré moindre, SIBAWAYHI recourt à l'em ıloi de la voix passive :

- /ba:bun **yuhdhafu** minhu l-fi^clu li+kat ıratihi fi: kala:mihim hatta: sa:ra bi+manzilati l-mathali / : l'ell pse du verbe
- /ba:bun **yujma^cu** fi:hi l-ismu 'in ka:na li+mudhakkarin 'aw mu'annathin bi t-ta:'i kama: yujma^cu n a: ka:na 'a:khiruhu ha:'a t-ta'ni:thi / : le pluriel des noms qui se terminent par /t / ouvert
- /ba:bu huru:fin **'ujriyat** mujra: huru:fi -istifha:mi wa huru: fi l-'amri wa n-nahyi : les particules de n ;gation
- /ba:bu ma: **yukhta:ru** fi:hi n-nas ɔu wa laysa qablahu mansu:bun **buniya** ^cala: l-fi^cli wa huw ı ba:bu l-istifha:mi (l'interrogation) /

Nous pouvons poursuivre nos remarques ‹ t affiner notre description. Cependant l'on s'interroge d'abord sur les besoins ‹ uxquels doit répondre toute terminologie en général quelle que soit son époq‹ e ? Et dans quelle mesure la terminologie grammaticale dans le *Kitâb* de SIB/ WAYHI répond-elle à ces besoins.

Alain REY, dans son ouvrage : *La terminolo; ie noms et notions,* fait état de trois sortes de besoin : la description, la transmissi‹ n et la normalisation :

1 « Besoins de description systématique des ensem ıles de termes nécessaires à la formulation des discours portants sur un domain ; socialement distinct».

2 « Besoins de transmission et de diffusion des con ıaissances dans un domaine au moyen de sa terminologie. »

3 « Les besoins de normes s'appliquent en général à tout usage linguistique, à toute formation théorique … chaque domaine est conceptualisé diversement, selon des écoles, des tendances, des hommes. »

2 ·La dimension descriptive dans la terminologie du *Kitâb* :

En dépit de sa complexité et de sa longueur la terminologie adoptée par SIBAWAYHI décrit, mieux que tout, les notions et concepts de grammaire qu'elle cherche à communiquer. C'est, peut être, ce qui fait sa force. Prenons quelques exemples et voyons, concrètement, comment cela se passe t-il :
Premier exemple :

> L'agent dont la rection du verbe ne l'a pas dépassé pour régir un patient et le patient dont le verbe n'a pas régi un agent et ne l'a pas dépassé pour régir un autre patient.

Il est clair qu'il s'agit, dans cet intitulé de deux questions parfaitement exprimées par SIBAWAYHI. Leur point commun est l'absence d'un patient. La première question concerne /al-fa:ᶜilu al-ladhi: lam yataᶜadda-hu fiᶜlu-hu 'ila: mafᶜu:lin / l'agent dont le verbe ne régit pas un patient, autrement dit, le verbe intransitif et son sujet. SIBAWAYHI donne les exemples suivants : /dahaba zaydun / (Zayd est parti), /alasa ᶜamrun / (ᶜAmr s'est assis). La deuxième question concerne le verbe transitif lorsqu'il est à la voix passive. Par conséquent, lorsque le patient se transforme en sujet d'un verbe passif. Ainsi pour signifier le verbe intransitif SIBAWAYHI emploie l'expression /al-ladhi: lam yataᶜadda-hu fiᶜlu-hu 'ila: mafᶜu:lin / et pour signifier le verbe passif qui ne régit que le substitut de l'agent, SIBAWAYHI emploie l'expression / al-ladhi: lam yataᶜadda 'ilay-hi fiᶜlu fa:ᶜilin /, autrement dit "le substitut de l'agent" qui est à l'origine un Patient, et qui est, en l'absence d'un agent, régi au nominatif par le verbe en tant que sujet. Les verbes de cette catégorie se contentent de régir le substitut de l'agent et ne régissent pas un deuxième patient. SIBAWAYHI donne les exemples suivants:

> **Du**riba zayd+un (nominatif)
> y**u**dr**a**bu ᶜamr+u: (nominatif)

Nous pensons que cette terminologie de SIBAWAYHI est plus explicite que celle adoptée par la suite et retenue, entre autres, par les manuels scolaires actuels: /la:zim / (intransitif) et /mutaᶜaddin / (transitif). La terminologie de SIBAWAYHI mentionne expressément l'absence d'un Patient (C.O.D.) dans la phrase dont le verbe intransitif se contente de régir l'agent sans

la nécessité, aucune, d'un Patient. Alors que les terminologies de /lâzim / et /muta^caddin / supposent un sous-entendu sémantique, à savoir 'schématiquement': «se contente d'un agent » pour /lâzim / et « ne se contente pas d'un agent et le dépasse pour régir un complément d'objet qui complèterait le sens de la phrase» pour /muta^caddin /.

3 - Transmission du savoir grammatical et évolution historique dans la terminologie du Kitâb :

Selon toute vraisemblance, SIBAWAYHI n'a pas inventé la totalité de sa terminologie grammaticale. Une partie est puisée dans les propos de ses prédécesseurs. C'est à la fois l'aboutissement et le prolongement d'une démarche déjà entamée avec Abû al-'Aswad ad-DU'ALÎ (69/688-89), al-HADRAMÎ (117/735), at-TAQAFÎ (149/766 ou 154/771), al-KHALÎL (170/786-87 ou 175/791-92), Yûnu Ibn Habîb (183/799) et d'autres. SIBAWAYHI, dans son *Kitâb*, ne manquait pas de faire allusion à ses prédécesseurs, en particuliers à son maître al-KHALÎL Ibn Ahmad al-Farâhîdî.

Le grand mérite qu'a SIBAWAYHI est de nous avoir légué une matière riche voire une source inépuisable à la terminologie grammaticale arabe. Le *Kitâb* demeure, en ce sens, un passage incontournable pour les grammairiens, les terminologues, les linguistes, etc. Cependant, on imagine mal que l'on pouvait adopter l'ensemble de la terminologie grammaticale de SIBAWAYHI, telle qu'elle se présente dans son *Kitâb*. Aujourd'hui, la lecture de la tradition en général et du *Kitâb* en particulier n'est pas toujours une lecture aisée pour un public non averti. Abstraction faite de l'auteur et de son époque et sans intention aucune de vouloir porter un jugement sur la terminologie de SIBAWAYHI à travers les valeurs actuelles, nous avons voulu savoir, à travers l'exemple du sujet du verbe passif, si le concept peut être dégagé à partir de la terminologie de SIBAWAYHI :

> *« Le patient dont le verbe ne régit ni un agent ni un [autre] patient » (littéralement: Le patient [maf^cûl] dont le verbe ne le dépasse pas [pour régir un autre patient] et ne dépasse pas un agent [pour le régir])*

Nous nous sommes adressé à 5 échantillons d'apprenants (A,B,C,D,E) et nous leur avons demandé de donner la signification de l'expression formulée par SIBAWAYHI (180/796) tout en leur proposons diverses réponses:

/al-maf^cu:l al-ladhi: lam yata^caddahu fi^cluhu wa lam yata^cadda 'ilayhi fi^clu fa:^cilin /

Réponse a ☐ : le patient (C.O.D.)

Réponse b ☐ : le substitut de l'agent

Réponse c ☐ : l'agent

Réponse d ☐ : pas de réponse

En dépit de l'hétérogénéité des échantillons, les réponses expriment toutes, de réelles difficultés à saisir le concept voulu et rendu par SIBAWAYHI. Voici les tableaux des réponses obtenues:

Echantillon	Réponses a	Réponses b	Réponses c	Réponses d	%R. correctes
A	6	1	1	12	5%

Echantillon	Réponses a	Réponses b	Réponses c	Réponses d	%R. correctes
B	2	5	1	10	27.78%

Echantillon	Réponses a	Réponses b	Réponses c	Réponses d	%R. correctes
C	4	7	0	16	25.93%

Echantillon	Réponses a	Réponses b	Réponses c	Réponses d	%R. correctes
D	4	12	3	18	32.43%

Echantillon	Réponses a	Réponses b	Réponses c	Réponses d	%R. correctes
E	3	7	0	15	28%

Ainsi l'on se rend compte à travers cet exemple, de la complexité de ces formulations relativement longues et coûteuses, qui ressemblent plus à des descriptions qu'à des terminologies. L'emploi du relatif /ma: /, du terme /al-maf'u:l / suivi d'un deuxième relatif /al-ladhi: / ainsi que l'emploi des verbes passifs /yusamma: / /juʿila / et autres, expriment une certaine difficulté à désigner ce concept par un terme technique court, adéquat et pratique. En effet, bien que SIBAWAYHI en particulier, et les grammairiens des premiers siècles d'une façon générale, communiquent parfaitement ce concept de sujet du verbe passif, les terminologies employées ne sont pas commodes et ne facilitent pas sa normalisation. Ils relèvent plus, à notre sens d'un énoncé descriptif 'technique' que d'une vraie terminologie. L'emploi fréquent par SIBAWAYHI du relatif /ma: / suivi d'un verbe, le rapproche plus de l'analyse du discours en même temps qu'il exprime une certaine déficience quant à la disponibilité de termes pouvant rendre les concepts voulus. C'est d'ailleurs ce qui a favorisé, plus tard, l'apparition de la terminologie de /na:'ib al-fa:ʿil /, «le substitut de l'agent» qui répond mieux aux normes, dans la tradition tardive:

> « La terminologie ne s'intéresse aux signes (mots et unités plus grandes que le mot) qu'en tant qu'ils fonctionnent comme des noms, dénotant des objets, et comme des «indicateurs de notions» (de concepts). (Alain REY: La terminologie noms et notions, p24)

4 - Stabilisation de la terminologie grammaticale arabe : l'exemple du sujet du verbe passif

Le sujet du verbe passif que nous venons d'évoquer, constitue l'un des exemples les plus frappants. Le terme retenu unanimement aujourd'hui est celui de /na:'ib al-fa:ʿil / que nous traduisons littéralement par le substitut ou le remplaçant du sujet du verbe. L'on s'interroge sur la date de sa parution?

La réponse à cette question, nous l'avons évoquée lors d'un article récent en arabe, destiné à être publié au Caire. Il s'agit en fait d'une information capitale rapportée par un certain Muhammad Ibn Ahmad Ibn ʿAbd al-Bârî al-Ahdal (XIII ème Siècle de l'Hégire) auteur d'un ouvrage intitulé *al-Kawâkib ad-Durriyya ʿalâ Mutammimat al-Ajurrûmiyya* à propos de l'auteur de la terminologie de /na:'ib al-fa:ʿil / :

« Chapitre du complément dont l'agent n'a pas été mentionné C'est le nom nominatif dont l'agent n'a pas été mentionné, et qui a pris la place de son agent ... Il se prénomme aussi /an-na:'ib ʿani 'al-fa:ʿil/ (littéralement: le remplaçant ou le substitut de l'agent). Cette terminologie est d'IBN MÂLIK. Elle est meilleure et plus courte ». (al-Kawa:kib ad-Durriya ʿala: Mutammimat al-'ajurru:miyya,p-p 81-82)

Ainsi l'auteur de cette terminologie de /na:'ib al-fa:ʿil/ serait vraisemblablement IBN MÂLIK, né en 600/1203-4 et mort en 672/273-74. Dès lors nous pouvons situer sa parution au VIIème siècle de l'Hégire, XIIIème siècle de l'ère chrétienne.

En guise de l'évolution de la terminologie grammaticale arabe avant qu'elle se stabilise, voici dans ce qui suit, quelques exemples d'emplois terminologiques de SIBAWAYHI et à travers lui la tradition grammaticale arabe :

Na:'ib al-fa:ʿil (le substitut de l'agent):

Sibawayhi (180) l'a exprimé par /al-mafʿu:l al-ladhi: lam yataʿadda 'ilayhi fiʿlu fa:ʿilin / (le patient dont le verbe ne régit pas un agent); al-Farra:' (207) par /ma: lam yusamma: fa:ʿiluhu / (ce dont l'agent n'est pas mentionné); al-Mubarrad (285) par /al-mafʿu:l al-ladhi: la: yudhkaru fa:ʿiluhu / (le patient dont l'agent n'est pas évoqué); Ibn as-Sarra:j (316) par /al-mafʿu:l al-ladhi: lam yusamma: man faʿala bihi / (le patient dont [l'agent] qui a fait l'action n'est pas mentionné); al-Fa:risi: (377) par /al-mafʿu:lu bihi fi: l-maʿna: / (le patient au niveau du sens); az-Zubaydi: (379) par /al-mafʿu:l al-ladhi: lam yusamma fa:ʿiluhu / (le patient dont l'agent n'est pas mentionné); Ibn 'inni: (392) par /al-mafʿu:l al-ladhi: uʿila l-fiʿlu hadi:than ʿanhu / (le patient auquel se rapporte le verbe); Ibn Muʿti:(628) /al-ismu al-ladhi: yuqa:mu muqa:ma l-fa:ʿili / (le nom qui tient lieu de l'agent) et enfin Ibn al-Ha:jib (646) par /mafʿu:l ma: lam yusamma: fa:ʿiluhu / (le patient dont l'agent n'est pas mentionné)

Al-Badal (le permutatif)

Sibawayhi l'a défini par son dire /hada: ba:bun min al-fiʿli yustaʿmalu fi: l-ismi tumma yubdalu maka:na dhalika al-'ismi ismun 'a:kharu fa yaʿmalu

fi:hi kama: ᶜamila fi: l–'awwali / (c'est une catégorie c e verbes qui affectent le nom. Ce nom permute avec un autre qui sera régi p ır le verbe tout comme le premier). Le permutatif et le permuté font parti des terminologies des grammairiens basrites. Quant aux Ku:fites ils ont expr mé ce concept par /at–tarjamat / (la traduction) et /al–mutarjam / (le traduit) ainsi que par /at–tabyi:n / (l'explicitation), /at–takri:r / (la répétition) et /al- mardu:d / (le réitéré)

Al-mafcu:lu fi:hi, azh-zharfu (le circonstanciel)

Sibawayhi a souvent usé du terme /zharf / (circ nstanciel). Il l'attribue à al–KHali:l Ibn 'Ahmad al–Fara:hi:di: (170 ou 175). Quant aux grammairiens ku:fites ils ont exprimé le concept par trois termes, à savoir /as–sifa / (le qualificatif), /al–mahall / (le lieu) et /al–mawdiᶜ / (l' mplacement)

Al-mafᶜu:lu lahu (le complément de cause)

Sibawayhi l'a exprimé (en plus du long intitulé que nous avons évoqué à la page 2 de notre texte) par quatre autres titres : /ma: yantasibu min al–masa:diri li 'annahu ᶜudhrun li wuqu:ᶜi l–'amri / (ce qui se n et à l'accusatif parmi les noms d'action, parce qu'il explique la cause du déroule nent d'une chose), /al–mawqu:ᶜu lahu / (ce qui s'est déroulé pour [explique] une chose), /at–tafsi:ru / (l'explication), /al–mafᶜu:lu lahu / (le compléme ıt de cause). Al–Farra:' l'a intitulé par /al–mansu:bu ᶜala: t–tafsi:r / (ce qui e ıt mis à l'accusatif parce qu'il explique [le déroulement d'une chose]). A partir du quatrième siècle [de l'hégire] les grammairiens (Ibn as–Sarra:, Abu: ᶜAli al–Fa:risi:, Ibn Jinni:, az–Zamakhshari:, etc.) usent fréquemment du terme /al–mafᶜu:lu lahu / (le complément de cause). Citons enfin Ibn ᶜUsfu:r (699) qui l'exprime par /al–mafᶜu:lu li 'ajlihi /.

At-ta:biᶜu (le concordant)

Sibawayhi a exprimé les /tawa:biᶜ / (les conco dants) par /hadha: ba:bu ma: gara: majra: an–naᶜti ᶜala: l–manᶜu:ti wa sh-shari:ki ᶜala: sh–shari:ki wa l–badali ᶜala: al–mubdali min hu wa: ma: 'as ıbaha dhalika / (c'est le chapitre de ce qui [explique comment] suit le qualifi atif le qualifié, l'associé son associé, le permutatif le permuté, et tout ce qui eur est semblable). Ibn as–Sarra:j serait l'auteur du terme /ta:biᶜ / tel que ce a se manifeste à travers son intitulé : /ba:bu tawa:biᶜi l–asma:'i fi: 'iᶜra:biha:

En conclusion, nous disons que la terminologie de SIBAWAYHI constitue la genèse de la terminologie grammaticale arabe en même temps qu'elle s'inscrit dans son évolution. Même si, aujourd'hui, elle ne peut pas être adoptée dans sa totalité, beaucoup de termes de cette terminologie demeurent d'actualité et le *Kitâb* reste, quatorze siècles après, une source incontournable pour les grammairiens, les linguistes, les terminologues, etc.

En dépit de sa grande stabilité, la terminologie grammaticale arabe n'a pas cessé d'évoluer et de se normaliser depuis l'époque de SIBAWAYHI jusqu'à nos jours. L'exemple du sujet du verbe passif est l'une des illustrations de cette évolution.

Abdelhamid TAGHOUTI

SOURCES BIBLIOGRAPHIQUES :

BÂRÎ, Ibn ᶜAbd al-'Ahdal al-,

SHarh al-kawâkib ad-durriyya ᶜalâ mutammimat al-â'jurrûmiyya, éd., Muhammad Ibn Muhammad ar-Raᶜînî, 2ème éd., Imprimerie Mustafâ al-bâbî al-halabî et fils, 1356 / 1937, (Egypte), 148 p.

FÂKHÛRÎ Hannâ :

Târîkh al-'Adab al-Arabî, 12ème édition, Beyrouth 1987, 1110 p.

GOGUYER, Antoine,

La Alfiyya d'Ibn Mâlik, Beyrouth 1889, pp 259 – 333.

HAMZE Hassan

(1987): ***Les théories grammaticales d'az-Zajjâjî***, thèse de doctorat d'Etat ès lettres, Université Lyon2, Lyon.

«**Unité et diversité dans la tradition grammaticale arabe**», *Linguistica Communicato*, Fès, vol. VI, n° 1-2, 1994, pp. 25-40.

HISHÂM, Ibn ,

Mugnî al-labîb ᶜan kutub al-'aᶜârîb, 2 vol., éd., Muhammad muhyi ad-dîn abd al-hamîd, Al-maktaba l-ᶜasriyya, Beyrouth /Saidâ, 1411 / 1991, 872 p.

MÂLIK, Muhammad Ibn ᶜAbd Allah Ibn,

Alfiyyat Ibn Mâlik fî n-Nahw wa s-Sarf, Bey outh, Dâr al-kutub al-ᶜilmiyya, 72 p.

MATAR, ᶜAlî Hasan,

Nâ'ib al-fâᶜil, Majallat *Turâthunâ*, N° 47, 48, p.p., 330-333.

NADÎM, Ibn an-

al-Fihrist, éd. Mustafâ ash-SHuwaymî, Tûnis ad-Dâr at-Tunusiyyat li n-nashr, 1406/1985, 904 p.

RÂFIᶜÎ Mustafâ sâdiq ar-,

Târîkh 'Âdâb al-ᶜArab, 2 Vol, éd., Dâr al-K tâb al-Arabî, Beyrouth, 1974, Vol I 432 p., Vol II 350 p.

REY, Alain,

La terminologie, noms et notions, 2ème é lition corrigée, Presses Universitaires de France, Paris 1979,1992, 1: 7 p.

ROMAN, André

Grammaire de l'arabe, P. U. F, 1990, 127 p.

Systématique de la langue arabe, 2 vol., é ., Kaslik-Liban, 2001, 799 p dont 102 p Annexes.

SARRÂJ, Ibn as-,

al-Usûl fî n-nahw, éd., Abd al-Husayn al-fa lî, Beyrouth, Mu'assasat ar-Risâla, 1408/1988.

SÎBAWAYHI,

al-Kitâb, Kitâb Sîbawayhi, éd., Abd as-Sal m Muhammad Hârûn, Tunis, Dâr suhnûn li n-nashr wa t-tawzîᶜ, 14 2/1992.

SUYÛTÎ, Jalâl ad-Dîn ᶜAbd r-Rahmân Ibn Abû Bakr

Al-Iqtirâh fî ᶜilm 'usûl an-nahw: éd., Muham nad Hassan Ismâᶜîl ash-SHâfiᶜî, Dâr al-Kutub al-ᶜIlmiyya, Beyrouth, 1ère éd., 1998, 116 p.

TAGHOUTI, Abdelhamid,

Fî tatawwur al-mustalah an-nahwî l-ᶜar ıbî bayna Kutub at-turâth wa l-Kitâb al-madrasî, à paraître i. Hassan Hamzé (éd.): La terminologie grammaticale arabe, n° spécia de la revue cUlûm al-lugha, Le Caire, à paraître.

Mohamed BADAWI
Université Lyon II

La terminologie grammaticale arabe ancienne, entre Sîbawayhi et al-Farrâ'

La question de la naissance des termes grammaticaux arabes n'a pas cessé d'être débattue par les chercheurs. A quelle époque remonte tel terme ou tel autre? Question fréquemment posée et on est souvent dans l'incapacité d'y répondre avec précision et rigueur.

En l'absence d'un dépouillement exhaustif de l'ensemble des termes grammaticaux de la période « fondatrice » de la grammaire arabe, dépouillement qui constituerait à nos yeux, un premier pas vers la constitution du dictionnaire historique de la terminologie grammaticale arabe, la naissance et l'évolution de cette terminologie restent à explorer dans la mesure où de précieux textes anciens pourront mettre en lumière la genèse de cette terminologie et pourront tracer la chronologie de son évolution.

Le deuxième siècle de l'Hégire a vu l'élaboration du *Kitâb* de Sîbawayhi (180/792) qui est le premier ouvrage grammatical qui nous soit parvenu et dans lequel la théorisation de la grammaire arabe se trouve parfaitement contenue. Depuis, un nombre très important d'ouvrages composés par des grammairiens et des lexicographes de Basra et de Kûfa a vu le jour. Les chercheurs ont tendance à aborder la terminologie linguistique de la période médiévale arabe avec une distinction basée très souvent sur l'antinomie Basra / Kûfa pour attribuer un tel terme à un grammairien classé nécessairement dans l'une ou l'autre « école ». Cette vision a fermé la porte à l'exploration de la genèse et de l'évolution du terme grammatical arabe.

Il est indéniable que les grammairiens ont puisé une partie de leur terminologie grammaticale dans le *Kitâb*[1]. Mais, une vision rétrospective nous mène à dire que les grammairiens du deuxième siècle, à l'exemple de

Sîbawayhi et d'al-Farrâ', ont à leur tour puisé leurs terminologie grammaticale dans les livres des Anciens qui ne nous sont pas parvenus[2].

Cette affirmation ne doit pas nous amener à croire que la terminologie de la tradition grammaticale arabe était une terminologie figée , élaborée une fois pour toutes et que les grammairiens tardifs, tout comme les grammairiens du deuxième siècle, n'avaient que reprendre cette terminologie ancienne..

Une analyse profonde du cadre intellectuel des deux premiers siècles de l'Hégire nous laisse penser que l'activité linguistique arabe était intense et que l'évolution était rapide. Il faut noter que la grammaire, à l'image de toutes les sciences linguistiques et religieuses, est née dans un cadre d'enseignement oral. *Le Kitâb* est l'ouvrage le plus ancien qui nous soit parvenu. Mais cet ouvrage ne doit nullement éclipser le travail des grammairiens antérieurs. De nos jours, il est indéniable que *le Kitâb* de Sîbawayhi n'est qu'un travail de « synthèse » d'une science élaborée bien avant lui et qu'al-Farrâ' ou al-'Akhfash eux aussi, ont puisé leur matière linguistique dans l'enseignement de leurs prédécesseurs. Là, nous pouvons logiquement déduire que la terminologie employée par l'un et l'autre n'est en conséquence qu'une terminologie de synthèse héritée aux grammairiens antérieurs.

Pourtant, il faut bien noter que la grammaire arabe n'a pas fermé la porte aux changements, et que les grammairiens du 2ème siècle ne se sont pas contentés de « répéter » et de « rapporter » à leurs maîtres. En effet, ils ont le mérite de jouer un rôle déterminant dans l'élaboration des principes généraux de la grammaire arabe. La terminologie employée dans *le Kitâb* et *le Ma'ânî* est un exemple d'une transmission « terminologique » souvent directe, dans la mesure où les traces de l'héritage paraissent évidentes dans les deux ouvrages. Cette transmission n'était pas systématique mais elle était souvent assujettie à l'esprit critique du grammairien. Les livres de grammaire rapportent de nombreux exemples montrant qu'un grammairien ne s'écarte pas seulement de la génération antérieure mais aussi de son maître direct.

Pour pouvoir répondre à notre question de départ, nous avons procédé à un travail de dépouillement et de comparaison illustré dans un tableau. Ce travail consiste à établir une comparaison entre la terminologie grammaticale

employée par al-Khalîl b. 'Ahmad dans son *Kitâb al-'Ayn*, la terminologie de Sîbawayhi dans son *Kitâb* et le *Ma'ânî-l-Qur'ân* d'al-Farrâ' en précisant que cette comparaison ne constitue nullement une comparaison entre les grammairiens de Kûfa et ceux de Basra. Si nous soulignons cela, c'est parce qu'il est fréquent chez les contemporains de supposer que n'importe quel emploi terminologique établi par al-Khalîl ou Sîbawayhi est adopté par l'ensemble des Basrîtes. De même ils supposent souvent que n'importe quel emploi terminologique établi par al-Farrâ' est adopté par l'ensemble des Kûfites. Or, cette supposition qui « coupe la terminologie grammaticale arabe en deux » et en fait deux branches distinctes, a fini par nous faire oublier le tronc et les racines. Nous ne nions pas l'existence de ces deux courants et n'accusons pas les tardifs d'avoir une vision étroite des choses mais il nous semble que « l'esprit critique » que manifestent les grammairiens du 2ème siècle de l'Hégire n'était pas traité avec assez de rigueur.

Pour établir ce tableau comparatif, nous avons procédé à un dépouillement des termes techniques employés différemment par al-Farrâ'[3] et Sîbawayhi[4] en laissant de côté les termes communs aux deux grammairiens. Ce travail comparatif s'appuie sur un tableau récapitulatif:

1- des termes relatifs à la syntaxe
2- des termes relatifs aux notions générales
3- des termes relatifs à la morphologie

Dans ce tableau nous avons exclu les termes relatifs à la phonétique, domaine présent dans le *Kitâb* et quasi absent dans le *Ma'ânî*.

Le tableau est formé de cinq colonnes dans lesquels va figurer :

- la racine du terme en question
- le ou les termes tels qu'ils sont employés dans *Kitâb al-'Ayn* d'al-Khalîl b. 'Ahmad[5].
- le ou les termes tels qu'ils sont employés dans le *Kitâb*
- le ou les termes tels qu'ils sont employés dans le *Ma'ânî*
- le terme équivalent employé par 'Ibn Mâlik et par ses commentateurs. Nous nous basons sur le lexique de l'*Alfiyya* réalisé par A. Goguyer. Nous nous référons à ce lexique pour montrer comment les tardifs en ont fait usage.
- Un équivalent ou une « explication » en langue française proposé par nous.

Racine	*Al-ʿAyn*	*Al-Kitâb*	*Al-Maʿânî*	*Al-ʿAlfiyya*	Equivalent
ʿ.ḵ.w = = = = =	/	/ *banât ʿinna* / / / /	*ʿaḵawât ʾaẕunnu* *ʿaḵawât ʿinna* *ʿaḵawât ʿaynamâ* *(aḵawât kâna* *ʿaḵawât ḏalika* *ʿaḵawât laysa*	*ʿaḵawât ʾaẕunnu* *ʾinna wa ʿaḵawâtuhâ* / *ʿaḵawât kâna* / /	– congénère de *ʿaẕunnu* – congénère de *ʾinna* – congénère de *ʿaynamâ* – congénère de *kâna* – congénère de *ḏalika* – congénère de *laysa*
ʿ.d.w.	*harf, damîr*	*damîr*	*ʿadât*	*ʿadât*	particule
ʾâla	/	*mâ ʿâlağta bihi*	*ʿâla*	*ʿism ʿâla*	nom d'instrument
ʿ.n.f. =	*ʾistiʾnâf* /	/ *ʾistiʾnâf*	*ʾiʾtinâf* *ʾistiʾnâf*	/ *ʾistiʾnâf*	- reprise - reprise
ʿ.w.l.	/	/	*taʾwîl*	*taʾwîl*	interprétation
b.r.ʾ.	/	/	*(lâm) at-tabriʾa*	– *(lâm) at-tabriʾa* – *(lâm) an-nâfiya lil-ğins*	*lâm* d'exemption
b.n.y.	/	/	*al-binâʾ lil-mağhûl*	*al-mabnî lil-mağhûl*	verbe dont le sujet est inconnu
b.n.w.	/ *fiʿl ṯulâṯî* *fiʿl rubâʿî* /	*banât al-harfayn* *banât al-ṯalâṯa* *banât al-ʿarbaʿa* *banât al-ḵamsa*	/ / *rubâʿî* /	*ṯunâʾi* *ṯulâṯî* *rubâʿî* *ḵumâsî*	binaire trilitère quadrilatère quinquilitère

ğ.h.d.	nafy, ğahd	nafy	ğahd	ıafy	dénégation
ğ.d.d.	/	/	(fiʿl muğaddad)	/	action qui dure dans le temps
ğ.m.d.	mabnî	ğâmid	/	m abnî, ğayr muta arrif	non flexible
ğamʿ	ğamʿ al-ğamʿ	/	ğamʿ al-ğamʿ	ğa mʿ al-ğa mʿ	pluriel du pluriel
ğ.m.l.	/	/	ğumla	ğ umla	énoncé, phrase
ğ.n.s.	/	/	ğins	ʿism a l-ğins	espèce
ğ.w.b.	ğawâb al-qasam	/	ğawâb al-qasam	ğa âb al-qas m	proposition correspondante au serment
h.š.w. =	hašw /	/ hašw	hašw /	z ʾida ila	– augment – adjonction
k̲.b.r	k̲abar	/	k̲abar	k bar	énonciatif
k̲.f.d.	k̲afd, ğarr	ğarr	k̲afd	ğ arr, mağ rûr	génitif
r.s.l.	ʿirsâl	/	ʿirsâl	ʿ rsâl	prononcer le yâʾ avec la voyelle /a/
r.f.ʿ.	/	/	murâfaʿa	/	un nominatif et un énonciatif se mettent au nominatif
s.r.f.	masrûf	masrûf	iğrâʾ, muğra	as-sarf, mas rûf	flexible
s.r.f.	/	muk̲âlafa	sarf	/	diversion
s.m.d.	/	/	masmûd	/	/
š.ʾ.n.	/	damîr al- šaʾn	/	da mîr al- ša n	pronom exprimant une personne
š.r.t.	šart	ğazâʾ	šart	art	condition
d.r.ʿ.	[fiʿl hâdir]*	al-fiʿl al-lad̲î lam tamdihi	fiʿl mudâriʿ	fiʿl mud riʿ	verbe inachevé

Racine	*Al-ʿAyn*	*Al-Kitâb*	*Al- Maʿânî*	*Al-'Alfiyya*	Equivalent
t.w.l.	/	/	*(fiʿl) mutatâwil*	/	action qui dure dans le temps
ʿ.m.d.	*ʿimâd*	*(damîr al-) fasl*	*ʿimâd*	/	pronom libre situé entre l'inchoatif et son énonciatif
q.b.l.	/	/	*(fiʿl) mustaqbal*	*(fiʿl) mustaqbal*	verbe au futur
m.d.y.	*(fiʿl) mâdî*	*mâ mada*	*(fiʿl) mâdî*	*mâdî*	verbe au temps passé
n.b.r.	*nabra*	/	*nabra*	*nabra*	*hamza* situé au milieu du mot
n.s.q.	*nasaq*	*'išrâk*	*nasaq*	*nasaq*	Coordination par un coordonnant
n.q.s.	/	/	*(fiʿlnâqis)*	*(fiʿl nâqis)*	verbe incomplet
w.s.f. = = =	*sifa* *sifa* / *sifa, z̲arf*	*sifa* *harf ğarr* / /	*sifa* *sifa* *sifa* *sifa*	*sifa* *harf ğarr* *ğarr wa mağrûr* *z̲arf*	– qualificatif – préposition – préposition suivie d'un nom mis au génitif – circonstanciel
w.d.ʿ.	/	*('ism) k̲âs*	*('ism) mawdûʿ*	*'ism ʿalam*	nom propre
w.q.t.	*maʿrifa*	*maʿrifa*	*mu'aqqat*	*maʿrifa*	défini
w.q.ʿ.	*[fiʿl lâzim]*	*(fiʿl) mutaʿaddî*	*(fiʿl) wâqiʿ*	*(fiʿl) muʿaddî*	verbe transitif

Cette étude comparative dégage en fait l'existence incontestable d'environ 44 termes techniques (dérivés de 37 racines différentes) dont les deux grammairiens ne font pas un emploi identique.

Là, une question se pose avec insistance : comment justifier l'existence d'un nombre de termes dont al-Farrâ', qui est d'ailleurs contemporain à Sîbawayhi, en fait un emploi différent ?

En fait, la question est très délicate et très controversée ; cependant, nous esquissons les trois hypothèses suivantes :

A–Les termes employés par al-Farrâ' sont des termes propres aux grammairiens de Kûfa tandis que les termes employés par Sîbawayhi ne sont connus et vulgarisés qu'à Basra.

B–Les termes différents de Sîbawayhi et d'al-Farrâ' sont des choix différents de termes synonymes puisés dans une terminologie commune plus ancienne, ou une simple reprise d'une terminologie répandue au premier et au deuxième siècle de l'Hégire.

C–La différence serait due à une évolution de la grammaire en général, et de la terminologie grammaticale en particulier entre la fin du deuxième siècle et le début du troisième siècle.

La première hypothèse nous paraît peu plausible, car nous ne possédons aucun ouvrage de grammairien kûfite antérieur à al-Farrâ'. Par ailleurs, nous constatons qu'aucun terme n'a été rapporté par al-Farrâ' à ces grammairiens kûfites antérieurs. Selon un certain nombre de grammairiens anciens ou de chercheurs modernes, al-Farrâ' aurait rapporté une partie ou l'ensemble de ces termes à ces grammairiens anciens sans les citer afin de se démarquer d'eux [6]. Cependant, cette hypothèse ne nous semble pas plausible. En effet, si al-Farrâ' ne voulait pas citer ses prédécesseurs pour se démarquer, il n'aurait pas cité al-Kisâ'î qui apparaît, pourtant, dans 119 occurrences dans le *Ma'ânî* , pour des faits de langue, des lectures coraniques, des vers-témoins, etc..

La deuxième hypothèse consiste à dire qu'al-Farrâ' et Sîbawayhi ont rapporté ces termes aux grammairiens arabes antérieurs. Il nous était très difficile, voire impossible, de confirmer ou d'infirmer cette hypothèse avant la parution de *Kitâb al-'Ayn* d'al-Khalîl b. 'Ahmad. Mais la comparaison de cette « terminologie différentielle » avec celle d'al-Khalîl montre que Sîbawayhi et al-Farrâ' en doivent une grande partie à al-Khalîl et à toute une génération antérieure fondatrice de cette science. La comparaison de la terminologie employée par al-Farrâ' et Sîbawayhi avec celle d'al-Khalîl révèle le volume et l'importance de cet héritage terminologique quoi que l'œuvre d'al-Khalîl n'est pas un livre

de grammaire. Notre tableau comparatif montre qu'une bonne partie de cette « terminologie différentielle » est héritée :

11 termes : *'irsâl, rubâ'î, nabra, fi'l mâḍî, 'imâd, kabar, ǧawâb al-qasam, , ǧam' al-ǧam', ǧahd , nasaq, sifa* employés par al-Farrâ' , figurent dans *Kitâb al-'Ayn* d'al-Khalîl, ce qui laisse penser de toute évidence, que ces termes ne sont pas propres à al-Farrâ'.

10 termes : *ǧarr, hasw, masrûf, damîr, 'isti'nâf, nafy, ma'rifa, sifa, zarf, mabnî* sont employés par Sîbawayhi et par al-Khalîl à la fois ce qui montre que ces termes ne sont pas propres à Sîbawayhi.

6 termes employés par al-Khalîl sont partagés entre al-Farrâ' et Sîbawayhi : ainsi, ces deux grammairiens emploient successivement : *âla* et *damîr, ǧahd* et *nafy, kafd* et *ǧarr*.

Plusieurs termes sont employés par al-Khalîl et ne sont repris ni par al-Farrâ' ni par Sîbawayhi tels que *mabnî, fi'l ṯulâṯî, ẕarf, fi'l hâdir,* (qui paraît dans *Kitâb al-'Ayn* entre deux crochets sans le moindre commentaire), termes tous normalisés de nos jours.

Ceci dit, il paraît clair que les deux grammairiens ont puisé dans la terminologie arabe antérieure et que l'héritage terminologique était vraiment important.

Notre comparaison confirme que Sîbawayhi et al-Farrâ' étaient au courant de l'activité grammaticale dans les deux pôles scientifiques de l'époque : Basra et Kûfa, et qu'une bonne partie de la terminologie était transmise et non pas créée. Plaide en faveur de cette hypothèse le fait que l'esprit du travail grammatical de cette époque et qui était basé sur la recherche des dires des Arabes et sur la collecte de maximum d'informations linguistiques auprès d'eux ; cette méthode a empêché à notre avis d'établir un éventuel cloisonnage entre les différents grammairiens[7].

Mais nous nous demandons: pour quelle raison Sîbawayhi ou al-Farrâ' ont-ils renoncé à adopter la totalité de cette nomenclature terminologique ancienne, renoncement qui rend leurs terminologies moins riches et moins cohérentes. Le fait qu'al-Farrâ' n'était pas au courant de l'activité grammaticale dans la ville de Basra et n'avait pas, par conséquent, accès à la terminologie desgrammairiens basrites antérieurs, nous paraît non fondé, car l'emploi des termes techniques

comme *nabra*, *ǧamʿ al-ǧamʿ*, *ʿimâd*, etc. par al–Farrâ' et al–Khalîl ne peut pas être le fruit du hasard. Il en va de même pour Sîbawayhi qui fut l'adepte d'al–Khalîl[8].

Cette grande question reste ouverte même si ce renoncement nous paraît d'ordre « méthodique ». Les grammairiens auraient adopté la démarche du juriste qui s'ingénie à proposer une réflexion qui s'écarte intentionnellement de celle d'un autre juriste même si on trouve souvent à la fin du jugement l'expression « *wa kilâhumâ ǧâ'iz* ».

Cependant, la troisième hypothèse qui place une partie de cette terminologie « différentielle » dans le cadre naturel de l'évolution et sous le signe de l'élaboration terminologique nous paraît fondée. Là, nous posons la question suivante : la terminologie du *Maʿânî* représente–elle vraiment un caractère « évolutif » par rapport à celle de Sîbawayhi et d'al–Khalîl ?

La période qui sépare al–Farrâ' (m. 207) de Sîbawayhi (m. 180) et d'al–Khalîl (m. 170 / 175) est relativement courte mais très importante dans la mesure où l'évolution de la grammaire au deuxième siècle de l'Hégire était, comme beaucoup d'autres disciplines, très rapide et nous jugeons naturel qu'al–Farrâ' présente dans son *Maʿânî* une terminologie grammaticale mieux établie que celle de Sîbawayhi ou d'al–Khalîl.

Si nous revenons au tableau comparatif, nous constaterons qu'al–Farrâ' présente des termes techniques et que le concept auquel renvoie le terme en question est très bien délimité. Nous citons ici, entre autres, le terme de *ṣarf* qui est sûrement crée par al–Farrâ' ou le terme de *ǧumla* qui apparaît pour la première fois dans un livre de grammaire pour renvoyer au concept qu'on connaît aujourd'hui. D'autre part, il faut reconnaître que certains termes n'étaient jamais normalisés tels que *fiʿl mutaṭâwil* pour exprimer « une action qui dure dans le temps » ou le terme *mu'aqqat* pour exprimer un nom « défini ». De sa part, Sîbawayhi emploie un certain nombre de termes beaucoup mieux établis que ceux qu'on trouve chez al–Khalîl tel que *ḥarf ǧarr*, *fiʿl mutaʿaddî* qui figurent dans le lexique de A. Goguyer, c'est–à–dire des termes employés plus tard par 'Ibn Mâlik et employés de nos jours. Cet emploi corrobore l'hypothèse évolutive de la grammaire arabe au deuxième siècle de l'Hégire.

Mohamed BADAWI

NOTES

[1] C'est dans ce sens qu'As-Sîrâfî (284/897) ou al-Mubbarrid (286/899) et beaucoup d'autres grammairiens ont tous écrit des ouvrages d'explication et de commentaire du Kitâb.

[2] Le lecteur du Macânî d'al-Farrâ' remarquera que de très nombreux grammairiens sont cités ; à titre d'exemple al-Kisâ'î a été cité dans 107 occurrences (voir notre indexation du Macânî p 448). Quant au Kitâb, Sîbawayhi cite parmi d'autres, son maître al-Khalîl dans 608 occurrences (voir G. Troupeau, p 310).

[3] Ce dépouillement est essentiellement basé sur notre indexation exhaustive des termes techniques du Macânî-l-Qur'ân d'al-Farrâ' dans notre travail « Etude de la terminologie grammaticale d'al-Farrâ' (207/822) », Thèse de Doctorat Nouveau Régime soutenue à l'Université Lyon II sous la direction de Hassan HAMZÉ.

[4] Notre dépouillement du Kitâb est basé essentiellement sur le Lexique-index de Gérard Troupeau.

[5] Nous avons procédé à un dépouillement du Kitâb al-'Ayn à cet objectif.

ce terme se trouve entre deux crochets dans Kitâb al-'Ayn sans le moindre commentaire.

[6] Voir par exemple A. M. al-'Ansârî, 'Abû Zakariyyâ al-Farrâ' wa madhabuhu..., p 441 ; š. Dayf, al-Madâris an-nahwiyya, p 195 ; Marâtib an-nahwiyyîn, p 88, cité par al-'Ansârî, p 439, etc.

[7] Le corpus des grammairiens de l'époque, et dans une grande partie s'appuyait sur la collecte de l'information. Ainsi Sîbawayhi, al-Farrâ' et les autres grammairiens de l'époque montrent une volonté ardente à rassembler et à faire appel au maximum d'information linguistique. Ainsi le rejet de Sîbawayhi de quelques termes employés par al-Khalîl tels que les termes /sadr/ = « syllabe initiale », /'a'ǵuz/ = syllabe terminale », etc., comme le montre al-Khawarizmi dans son Mafâtîh al-'ulûm (p 65-66) où Sîbawayhi ne rapporte dans son Kitâb que huit termes relatifs à la morphologie sur les treize que traite al-Khalîl, nous paraît très limité et ne met pas en cause le principe de départ.

[8] Les grammairiens s'accordent sur le fait que le Kitâb est le fruit de toute une génération et que les grammairiens antérieurs à lui avaient un rôle déterminant dans sa constitution.

BIBLIOGRAPHIE

1- في اللغة العربية :

- إبن دريد : جمهرة اللغة ، طبعة م. بعلبكي ، دار العلم للملايين ، ثلاثة أجزاء ، الطبعة الأولى، 1987.
- إبن فارس : معجم مقاييس اللغة ، 6 أجزاء ، طبعة أولى ، تحقيق عبد السلام هارون ، بيروت، لبنان ، 1991.
- الأخفش الأوسط (أبو الحسن) : معاني القرآن ، جزءان ، الطبعة الثالثة ، 1981.
- إميل يعقوب : موسوعة الصرف والنحو والإعراب، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الثانية ، 1991.
- الأنباري (أبو البركات) : الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين ، جزءان ، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ، 1980.
- جورج عبد المسيح وهاني تابري: الخليل ، معجم مصطلحات النحو العربي ، مكتبة لبنان، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1410/ 1990.
- حسن حمزة : في التأريخ للمصطلح النحوي ، عدد خاص من دورية علوم اللغة عن المصطلح النحوي العربي، القاهرة، تحت الطبع.
- حسن حمزة: «عودة إلى المسند والمسند إليه في كتاب سيبويه»، مجادلة السائد في اللغة والأدب والفكر، أعمال ندوة «مجادلة السائد» لعام 1996 بإشراف توفيق بن عامر، منشورات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس، السلسلة 7، المجلد 12، 2002، صص 21-47.
- حسن حمزة وسلام بزي-حمزة: «الصرف بين سيبويه والفراء»، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد 53، السنة الحادية والعشرون 1418/ 1997، ص ص. 65-83.
- حمد القوزي : المصطلح النحوي ، الطبعة الأولى ، الرياض ، 1981.
- الخليل بن أحمد : كتاب العين، تحقيق مهدي المخزومي وابراهيم السامرائي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط1، 1408هج / 1988م.
- الخوارزمي (محمد بن أحمد بن يوسف) : مفاتيح العلوم ، إدارة الطباعة المنيرية، مطبعة الشرق، صورة عن الطبعة الأولى سنة 1342 للهجرة.
- الرماني علي بن عيسى : معاني الحروف ، الطبعة الثانية ، بيروت، 1981.

- الزبيدي (أبو بكر): طبقات النحويين واللغويين، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار المعارف، القاهرة ، الطبعة الثانية، 1984.
- سيبويه (أبو بِشر): الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1971-1979.
- السيرافي (أبو سعيد): أخبار النحويين البصريين ومراتبهم وأخذ بعضهم عن بعض، تحقيق محمد البنّا، دار الاعتصام، القاهرة، الطبعة الأولى، 1405/ 1985.
- السيرافي أبو سعيد الحسن : طبقات النحويين البصريين ، الطبعة الأولى ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر ، بيروت ، 1986.
- السيوطي : بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، جزءان ، الطبعة الثانية ، دار الفكر ، 1979.
- السيوطي : همع الهوامع وشرح جمع الجوامع ، جزءان ، القاهرة ، 1909.
- عبد القادر المهيري: «على هامش المصطلح النحوي»، حوليات الجامعة التونسية، عدد 27، سنة 1988، ص ص. 24-30.
- عبد القادر المهيري: أعلام وآثار من التراث اللغوي ، دار الجنوب للنشر، تونس ، 1993.
- فاروق مهنى: المصطلحات في الكتاب ، كتاب سيبويه ، دار حراء، المنيا ، 1993.
- فاروق مهنى : المصطلحات في معاني القرآن للفراء ، دار حراء، المنيا ، 1993.
- الفراء : معاني القرآن ، تحقيق محمد علي النجار وأحمد يوسف نجاتي ، عالم الكتب ، بيروت، ط 3، 1403هج/ 1983م.
- مازن مبارك : النحو العربي ، دار الفكر ، دمشق ، طبعة ثالثة ، 1981.
- المبرد أبو العباس : كتاب المقتضب ، أربعة أجزاء ، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة ، ثلاثة أجزاء، القاهرة ، 1996.
- محمد خير الحلواني: المفصل في تاريخ النحو، الجزء الأول ، مؤسسة الرسالة ، بيروت، الطبعة الأولى،1399/ 1979.
- محمد عبد الخالق عضيمة : فهارس كتاب سيبويه ، دار الحديث ، القاهرة ، الطبعة الأولى، 1395/ 1975.
- محمد سمير نجيب اللبذي : معجم المصطلحات النحوية والصرفية، مؤسسة الرسالة – دار الفرقان، بيروت – عمان ، الطبعة الثالثة ، 1409/ 1988
- مهدي مخزومي : مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ، 1991.

2- في اللغتين الفرنسية والإنكليزية:

- Badawi Mohamed, Etude de la terminologie d'al-Farrâ', thèse de doctorat de l'Université Lumière - Lyon 2, sous la direction de M. Hassan Hamzé, 1999.
- Diallo, Amadou Tidiany : La théorisation et la terminologie grammaticales d'al-'Akhfash al-'awsat, thèse de doctorat de l'Université Lumière-Lyon 2, sous la direction de M. H.Hamzé, 1997.
- Goguyer, A. : *La Alfiyyah d'Ibnu Mâlik*, Librairie du Liban, 2ème éd., 1995.
- Hamzé Hassan : *Unité et diversité dans la tradition grammaticale arabe*, in *Linguistica Communicatio*, Revue Internationale de Linguistique Générale, vol. VI, n° 1 & 2, fas. 25-40, 1994.
- Hamzé, Hassan : « Les parties du discours dans la tradition grammaticale arabe », in: L.Basset et M. Perennec : Les classes des mots, Traditions et perspectives, PUL, 1994, pp. 93-115.
- Hadj-Salah (A.), *Linguistique arabe et linguistique générale*, Thèse de Doctorat d'Etat, Paris IV, 1979.
- Pellat, Charles : *Le milieu basrien et la formation de Jâhiz*, Librairie d'Amérique et d'Orient, Adrien Maisonneuve, Paris, 1973.
- Talafheh Amjad, La *terminologie grammaticale complexe dans le Kitâb de Sîbawayhi*, thèse de doctorat de l'Université Lumière - Lyon 2 sous la direction de M. Hassan Hamzé, 2003.
- Troupeau, Gérard : *Lexique-index du Kitâb de Sîbawayhi*, Klincksieck, Paris, 1976.
- Kinberg Naphtali : *A lexicon of al-Farrâ's terminology in his Qur'ân commentary with full definitions English summaries*, éd. E. J. Brill, 1996.

Ibrahim BEN MRAD
Faculté des Lettres de Manouba - VALD, ALAT

Le rôle du calque sémantique dans la formation des nouveaux termes et concepts au III^e^/IX^e^ siècle

1- Introduction : traduction et emprunt

Le calque sémantique est un phénomène d'emprunt. Il se réalise dans la langue par la traduction d'une unité lexicale simple, composée, ou complexe d'une langue A –comme par exemple le grec ou le français par une unité lexicale d'une langue B, comme par exemple l'arabe. Il ne s'agit donc pas d'introduire dans la langue B –que l'on appelle, dans les écrits linguistiques modernes traitant de l'emprunt, « langue cible »– une unité lexicale toute entière de la langue A que l'on appelle « langue source », mais d'introduire un nouveau concept –ou une nouvelle notion– dans le lexique de la langue B. Le calque se distingue donc de l'emprunt lexical réel par la formation d'un nouveau signifié (ou d'un nouveau concept) dans la langue cible à partir de la langue source, au lieu d'introduire un signe linguistique étranger avec son signifiant et son signifié.

On relève donc la relation étroite entre le calque sémantique et la traduction[1]. Ainsi, ce phénomène, comme celui de l'emprunt du signe dans sa totalité signifiant-signifié, est très ancien dans les langues naturelles, parce qu'il accompagne, généralement, la transmission, d'une communauté linguistique à une autre, des idées, des concepts et des termes qui les véhiculent. Il est ainsi un aspect de contact linguistique très ancien en arabe, du fait que le mouvement scientifique arabe, aux VIII^e^ et IX^e^ s., était fondé sur une activité traductionnelle très intense de ce qu'on appelait « sciences étrangères » (*'ulûm al- 'ajam)* et « sciences anciennes » *('ulûm qadîmah)*, deux termes dont on se servait pour désigner les sciences grecques.

Les textes grecs sur lesquels travaillaient les traducteurs de l'époque – tels que Yûhannâ b.al-Bitrîq, Hunayn b.Ishâq et Ishâq b.Hunayn – transmettaient

un savoir grec déjà ancien, puisque les auteurs de ces textes ont tous vécu avant l'islam. Ils ont vécu, en effet, entre le IVe siècle av. J.C. et le IIe s. ap. J.C. Cependant, bien qu'il fût ancien et qu'il eût précédé l'islam de quatre siècles environ (IIIe–VIe s.), ce savoir était vraiment étranger, parce qu'il décrivait une vision du monde et un mode de pensée caractérisant un milieu littoral et une communauté urbaine et civilisée. Cette communauté et son milieu différaient largement de la communauté arabe bédouine et de son milieu désertique. Quant à la vision du monde et au mode de pensée, tellement influencées par le désert et par les valeurs bédouines, ils ne commençaient à changer positivement qu'à partir du VIIIe siècle, par l'effet des nouveaux éléments ethniques et culturels étrangers intégrés dans la société arabe.

Les traducteurs des VIIIe et IXe s., pour lesquels la langue arabe était une langue seconde, puisque la plupart d'entre eux étaient des syriaques, ne pouvaient rendre que difficilement les textes grecs en arabe. L'une des difficultés majeures qu'ils trouvaient était « les cases terminologiques vides ». Ces cases vides sont le résultat de deux facteurs. a) L'inexistence en arabe d'équivalents aux termes grecs ; b) L'ignorance de nos traducteurs des équivalents existants. Ces deux facteurs étaient les causes essentielles de l'emprunt lexical dans la traduction des textes grecs.

2- De la néologie par calque au IXe siècle:

Dans cette communication, nous n'aborderons de l'emprunt que son aspect sémantique, c'est –à–dire le calque. Toutefois, nous n'avons pas l'intention d'étudier la néologie par calque dans tous les ouvrages scientifiques grecs traduits au IXe siècle. Certes, ces textes constituent un corpus précieux pour l'étude des questions de la néologie lexicale en général et surtout de la néologie par emprunt. Mais une telle étude dépasse les limites de ce travail que nous voulons inscrire dans le cadre du corpus sur lequel travaillent les équipes de recherche. Nous voulons donc restreindre nos investigations à l'étude de l'un des ouvrages médicaux arabes composés au IXe s. fruits de l'activité traductionnelle. Il s'agit du *Kitâb al-'Ashr maqâlât fil- 'ayn* (*Les Dix traités sur l'œil*) de Hunayn b. Ishâq (m. 260/873).

L'auteur des *Dix traités sur l'œil* était, en traduction, le fondateur d'une école[2]. Mais, à la différence des autres traducteurs de l'époque, il s'était spécialisé en

une science – la médecine, hippocratique et galénique en particulier – à laquelle il a consacré ses meilleures traductions et ses meilleurs ouvrages. *Les Dix traités sur l'œil* est donc le fruit d'une connaissance profonde de l'héritage médical grec et d'une maîtrise de l'œuvre de ses deux grands maîtres : Hippocrate (m. vers 377 av. J.C.) et Galien (m. en 199). Cependant les objets que Hunayn devait décrire dans son livre et les idées qu'il devait émettre ne faisaient pas vraiment partie du savoir arabe de l'époque. Le lexique arabe offrait, certes, des équivalents aux noms d'objets déjà connus comme *basar* (*opsis* = vision), *hadaqah* (*korê* = pupille), *ramad* (*ophthalmia* = ophtalmie), *shatarah* (*ligophthalmos* = ectropion) et *zafarah* (*pterugion* = pterygium). Mais beaucoup d'autres objets, qui ne se manifestent pas à l'observation directe et que l'on peut considérer donc comme inconnus, n'avaient pas de noms en arabe et représentaient de ce fait des cases terminologiques vides. Ce sont les termes grecs désignant ce genre d'objets qui furent traduits en arabe par des calques sémantiques.

La formation de nouveaux termes par calque, dans *Les Dix traités sur l'œil*, engendrait trois genres de termes arabes :

(1) Des termes simples, c'est-à-dire ayant un seul élément lexical, pour calquer les significations littérales des termes grecs simples. Ainsi :

(a) le terme grec « hêlos » qui désigne une excroissance en forme de clou atteignant la cornée est rendu par *mismâr* [3];

(b) le terme « paralusis » qui désigne le relâchement de muscle est rendu par *istirkhâ'* [4];

(c) le terme « spasmos » qui désigne le spasme et la convulsion du muscle est rendu par *tashannuj* [5].

(2) Des termes composés, c'est-à-dire ayant deux éléments lexicaux, pour calquer les significations littérales des termes grecs composés. Ce genre de calque est le plus productif dans *Les Dix traités sur l'œil*. En voici quelques exemples :

(a) le terme « ôeides hugron » qui désigne l'humeur aqueuse est rendu par *rutûbah baydhiyyah* [6];

(b) le terme « hualoeides hugron » qui désigne le corps vitré est rendu par *rutûbah zujâjiyyah* [7];

(c) le terme « krustalloeides hugron » qui désigne le cristallin est rendu par *rutûbah jalîdiyyah* [8];

(d) le terme « arakhnoeides khitrôn » qui désigne l'arachnoïde est traduit par *tabaqah 'ankabûtiyyah* [9];

(e) le terme « rhagoeides khitrôn » qui désigne l'uvée est traduit par *tabaqah 'inabiyyah* [10];

(f) le terme « keratoeides khitrôn » qui désigne la cornée est traduit par *tabaqah qarniyyah* [11].

(3) Le troisième genre de termes est constitué d'expressions que l'on peut considérer comme des termes complexes. Ce genre de termes est très fréquent dans le livre, surtout dans les *maqâlât* (traités) I, V et VI, qui traitent de l'anatomie et des maladies de l'œil. Mais, il est souvent difficile de distinguer ces termes, surtout quand l'expression calque la signification d'un terme grec simple. Parmi les termes faciles à distinguer, on mentionne les trois suivants :

(a) le terme « *ar-ramadu as-sa'bu jiddan* » (الرمد الصعب جدّاً) est l'équivalent du terme grec « khêmôsis » [12] qui désigne une inflammation de la cornée, c'est-à-dire une ophtalmie sévère ;

(b) l'expression «يَرَى من قريب ولا يرى من بعيد» est l'équivalent du terme grec « muôps » [13] qui signifie « myope » et même « myopie » ;

(c) l'expression « يرى بالنهار ولا يَرَى بالليل » est l'équivalent de « nuktalôps » [14] qui signifie « nyctalope », c'est-à-dire celui qui ne voit pas –ou qui ne peut pas distinguer les choses– de nuit.

De telles expressions –qui sont d'ailleurs très fréquentes dans les traductions scientifiques de l'époque–[15] sont en vérité des périphrases que l'on peut appeler des « termes périphrastiques ». Le recours à ce genre de formation des termes facilite, certes, la compréhension des concepts que dénotent les termes grecs, mais rend imprécis et non spécifiques les équivalents arabes proposés. En vérité, il s'agit là d'une problématique réelle liée à une autre : celle de la formation des concepts.

3 – De la formation des concepts :

On constate aisément, dans *Les Dix traités sur l'œil*, comme d'ailleurs dans les autres livres de Hunayn, tels que *Kitâb al-Masâ'il fit-tibb* (*Livre des Questions médicales*)

et *Kitâb al-Masâ'il fil-'ayn* (*Livre des Questions sur l'œil*), que le grec est la langue de référence et que le terme arabe ne peut dénoter un concept ou se définir en dehors du cadre conceptuel du terme grec auquel il se réfère. Cet aspect pourrait expliquer l'existence des termes périphrastiques déjà signalés. Cependant, il est à remarquer que le terme, dans *Les Dix traités sur l'œil*, pouvait avoir trois statuts conceptuels :

(1) Le premier est celui du terme grec dénotant un concept explicable en arabe mais inexprimable en termes équivalents. C'est, par exemple, le cas des sept variétés d'ulcères qui atteignent l'œil. En fait, au lieu d'expliquer chaque variété et de la désigner par un terme arabe, Hunayn s'est contenté d'expliquer la nature de la maladie et de la dénommer en grec, considérant, certainement, le terme grec comme un signe puissant qui suffirait, à lui seul, à dénoter le concept. C'est donc sa puissance référentielle qui impose la dénotation des nouveaux concepts dans les textes arabes. Mais son introduction dans le texte arabe, sans aucun changement sémantique, signifie le recours à l'emprunt lexical pur et simple.

Ainsi donc, les sept variétés d'ulcères, subdivisées en deux espèces –les ulcères qui se forment à la surface de la cornée et ceux qui se forment dans sa profondeur– sont :

(a) أَخْلوس *(Akhlûs)* = Akhlus [16];
(b) نافاليون *(Nâfâlyûn)* = Nephelion [17];
(c) أرْغيمون *(Arghîmûn)* = Argemon [18];
(d) أبيقوما *('Abîqûmâ)* = Epikauma [19];
(e) بوثْريون *(Bûthriyûn)* = Bothrion [20];
(f) قولوما *(Qûlûmâ)* = Koilôma [21];
(g) أنْقوما *('Anqûmâ)* = Enkauma [22].

Il serait aussi utile de noter que ces termes ont gardé, dans *Les Questions sur l'œil*, pourtant composé après *Les Dix traités sur l'œil*, le même statut d'emprunts intégraux [23].

Ce n'est qu'après le X^e s. que quelques uns d'entre eux ont été traduits par des équivalents arabes. En effet, les termes désignant les quatre variétés de la première espèce sont bien rendus en arabe dans *Kitâb al-Qânûn* d'Ibn Sînâ (m. 428/1037). C'est ainsi que :

(a) *Akhlus* est rendu par « *khafiy* » (caché, invisible) et « *qatâm* » qui signifie « brouillard »[24]. Ce second équivalent est donc un pur calque du terme grec.

(b) *Nephelion* est rendu par « *sahâb* » (nuage » et « *qatâm* » aussi[25]. Le premier équivalent est un calque, puisque le terme grec signifie « nuage blanchâtre ». Quant au « *qatâm* », on peut le considérer comme une néologie par métaphore.

(c) *Argemon* est rendu par « *'iklîliy* » (coronaire, mais ici dans le sens de limbaire, du limbe cornéen). Le terme est ainsi traduit parce que l'ulcère qu'il désigne se situe dans le limbe *('iklîl)* du noir de l'œil[26].

(d) *Epikauma* est rendu par « *ihtirâqiy* » (combustible, ou relatif à la brûlure) et « *sûfiy* » (laineux)[27]. Le premier équivalent est un calque, puisque le terme grec signifie « brûlure superficielle » ; quant au second il est créé par métaphore, parce que la variété d'ulcère que le terme grec désigne se situe à la surface de la cornée ressemblant à un petit morceau de laine (صوفة صغيرة).

Les trois variétés de la deuxième espèce ont gardé leur dénomination grecque longtemps après Ibn Sînâ –qui les a étrangement défigurés–[28], puisqu'on les retrouve dans un traité d'ophtalmologie d'Ibn An-Nafîs (m. 687 / 1288), composé pendant la deuxième moitié du XIII[e] siècle.[29]

(2) Le deuxième statut conceptuel est celui du terme grec qui dénote un concept explicable en arabe mais exprimable en périphrase, c'est-à-dire en termes périphrastiques. Les meilleurs exemples qui illustrent ce cas dans *Les Dix traités sur l'œil* sont ceux que nous avons mentionnés ci – haut, c'est-à-dire les termes :

(a) الرمَد الصعْب جدّا qui traduit *khêmôsis* ;
(b) يَرَى من قريب ولا يرى من بعيد qui traduit *muôps* ;
(c) يرى بالنهار ولا يرى بالليل qui traduit *nuktalôps*.

On peut ajouter, à ces exemples, des dizaines d'autres que l'on trouve dans les traductions arabes des ouvrages scientifiques grecs. En voici six exemples extraits de deux célèbres traductions : *De Naturis Animalium* d'Aristote, traduit par Yûhanna b. al-Bitrîq et intitulé *Kitâb al-Hayawân*, et *La Materia medica* de Dioscorides (*Hayûlâ at-tibb* ou *al-Maqâlât al-khams)*, traduit par Istifan b. Basîl et corrigé par Hunayn b. Ishâq. Du premier, on extrait les trois périphrases suivantes :

(a)الطير الذي على رأسه قنْزعَة (l'oiseau ayant sur la tête une huppe) [30] pour traduire « korudos » qui signifie « alouette » et dont l'équivalent arabe « *qubburah* » était très connu.

(b) الداء الذي يَمْنَع من البصر في الليل (la maladie qui empêche de voir pendant la nuit) [31] pour traduire « nuktalôpia » qui signifie « nyctalopie »[32] et dont l'équivalent arabe « *al-'ashâ* » (العشى) était très connu aussi.

(c) الحيوان البحري الذي جلده في الجساوة شبيه بالخزف (l'animal aquatique dont la peau dure est semblable à une coquille) [33] pour traduire « ostrakoderma » qui désigne « les testacés ».

De *La Materia medica*, on a choisi les trois périphrases suivantes :

(a)هو من النبات المُسْتَأنَف كونه في كلّ سنة (une plante qui se renouvelle chaque année)[34].Cette périphrase est un adjectif qui se répète plusieurs fois pour traduire «poa esti» qui signifie «plante annuelle».

(b) ما يعرض تحت العين من كمودة لون الموضع (la noirceur de la couleur qui se manifeste sous l'œil)[35]. Cette périphrase traduit le terme grec « hupôpia » qui désigne une maladie de l'œil que les médecins appellent « hypopion » et « pyophtalmie ». Mais il est à noter que Hunayn lui-même a fini par trouver un équivalent arabe au terme grec : « *kumnat al-middah* ». [36]

(c)القرحة العارضة للعين التي يقال لها [باليونانية] أخلس (l'ulcère qui atteint l'œil et que l'on appelle en grec *'akhlus*).[37] Cette périphrase traduit, comme on le voit, le terme grec « akhlus » que nous avons vu parmi les noms désignant les variétés d'ulcères de l'œil.

Dans ce deuxième cas concernant le statut conceptuel du terme, on constate que l'objet désigné est conceptualisable et exprimable en arabe même par emprunt déguisé, mais la puissance référentielle du terme grec -que l'on doit ajouter parfois à l'incompétence terminologique du traducteur- oblige le terminologue, qu'il soit auteur ou traducteur, de recourir à l'emprunt, en conceptualisant et en dénommant les objets décrits dans les textes grecs.

(3) Le troisième statut conceptuel est celui du terme qui dénote un concept explicable et exprimable en arabe, mais en recourant au calque sémantique. Ce calque passe par trois étapes :

A- La première est la traduction littérale de la signification du terme

grec, surtout quand il est composé. La traduction est en quelque sorte un commentaire explicatif et définitoire qui permet de délimiter le cadre conceptuel du terme. Ainsi, par exemple, selon Hunayn b. Ishâq les humeurs de l'œil sont trois. Quand il les a mentionnées pour la première fois dans *Les Dix traités sur l'œil*, il a essayé de délimiter le concept général de chacune d'elles en le rattachant à sa dénomination grecque :

(a) Le terme « krustalloeides hugron » est traduit par الرطوبة الشبيهة بالجليد المسماة باليونانية قراسطالويذاس (l'humeur qui ressemble à un morceau de glace et que l'on appelle en grec *qrâstâlwidhâs*) [38]. Il s'agit du cristallin.

(b) Le terme « hualoeides hugron » (corps vitré) est traduit par الرطوبة الشبيهة بالزجاج الذائب المسماة باليونانية إيالويذاس (l'humeur qui ressemble au vitre fondu et que l'on appelle en grec *'iyâlwîdhâs*) [39].

(c) Le terme « ôeides hugron »(humeur aqueuse) est traduit par الرطوبة الشبيهة بياض البيض وتسمى باليونانية أوويذاس (l'humeur qui ressemble au blanc de l'œuf et qui s'appelle en grec *ûwîdhâs*) [40].

On remarque que les termes grecs sont affixés par le suffixe dérivationnel «oeidos» qui devient «oïde» en français et qui signifie « semblable à ». Ce suffixe est traduit dans les termes arabes par l'expression « *ash-shabîhu bi* » (semblable à).

B- La deuxième étape est la réduction du calque, qui traduit littéralement le terme grec composé, en un terme arabe composé, en supprimant l'expression « *ash-shabîhu bi* » qui traduit le suffixe grec « oeides » et le remplaçant par le suffixe de l'adjectif féminin de relation « *iyyah* ». Ainsi :

(a) الرطوبة الشبيهة بالجليد devient [14] الرطوبة الجليدية;
(b) الرطوبة الشبيهة بالزجاج devient [24] الرطوبة الزجاجيّة ;
(c) الرطوبة الشبيهة بياض البيض devient [34] الرطوبة البيضيّة.

On constate donc que l'affixation dérivationnelle a remplacé le commentaire explicatif et a orienté la conceptualisation d'un cadre conceptuel purement grec vers un cadre conceptuel gréco-arabe, puisque le calque sémantique dans les trois nouveaux termes composés est très apparent.

C- La troisième étape est la réduction du terme arabe composé à un seul élément lexical. Il devient, ainsi, un terme simple dénotant un concept qui n'a vraiment pas besoin de la référentialité grecque pour exister. Cette étape

est plus ou moins réalisée dans *Les Dix traités sur l'œil*, puisque Hunayn supprime parfois le premier élément du terme –qui est un nom générique– et garde l'adjectif de relation pour dénoter le concept que dénote le terme composé. C'est par exemple le cas du terme « *jalīdiyyah* » qu'il a utilisé maintes fois seul [44] pour désigner l'humeur glaciale ou le cristallin.

4 – Conclusion :

A travers notre exposé, nous avons essayé de démontrer que le calque sémantique –ou emprunt par traduction littérale– était une règle productive de formation de nouveaux termes et de nouveaux concepts en arabe. Les traducteurs et les auteurs du IX[e] siècle comme Yûhannâ b. al-Bitrîq et Hunayn b.Ishâq en ont eu recours, pour transmettre à l'arabe les concepts que dénotaient les termes grecs qui n'ont pas d'équivalents en arabe ou dont ils ignorent l'équivalent. C'est, certes, une règle qui repose sur l'emprunt qui introduit toujours dans la langue cible des éléments étrangers d'une langue source. Mais contrairement aux emprunts lexicaux qui impliquent les signifiants, les emprunts sémantiques sont facilement assimilables dans la langue source. Ce phénomène s'observe aisément dans les ouvrages scientifiques composés après la deuxième moitié du X[e] siècle . C'était l'époque des auteurs innovateurs qui créaient eux-mêmes aussi bien les concepts que la terminologie scientifique qui les véhicule.

Ibrahim BEN MRAD

NOTES :

(1) Ce phénomène est appelé en anglais « loan translation ». Cf. R. M. Baâlbakki : *Dictionary of linguistic terms*, Beyrouth, 1990, p.291 ; et « translation loan-words », Id., p. 510.

(2) La meilleure référence sur Hunayn b. Ishâq et son école reste *Hunain Ibn Ishâk und seine Schule* de G. Bergstrasser, Leyde, 1913.

(3) Hunayn b. Ishâq :*Al-'Ashr maqâlât fil-'ayn* (Les Dix traités sur l'oeil), édité et traduit en anglais (The Ten treatises on the eye) par Max Meyrhof. Le Caire, 1928, p.140.

(4) Ibid., p.143.

(5) Ibid., p. 143.

(6) Ibid., p. 74.

[7] Ibid., p. 74.

[8] Ibid., p. 73.

[9] Ibid., p. 80.

[10] Ibid., p. 80.

[11] Ibid., p. 80.

[12] Ibid., p. 125.

[13] Ibid., p. 144.

[14] Ibid., p. 144.

[15] Cf. Ibrahim Ben Mrad : «Le terme scientifique dans le patrimoine arabe manuscrit : Problématiques du passé et perspectives de l'avenir», in : Yusuf Ibish (ed.) : *Editing Islamic manuscripts on Science*. Al-Furqân Islamic Heritage Foundation, London, 1999 (pp.193-222), pp.205-207.

[16] Hunayn b. Ishâq: *Al-'Ashr maqâlât fil-'ayn*, p.135.

[17] Ibd., p.136.

[18] Ibid., p. 136.

[19] Ibid., p. 136.

[20] Ibid., p. 136.

[21] Ibid., p. 136.

[22] Ibid, p. 136.

[23] Cf. Hunayn b. Ishâq: *Kitâb al-Masâ'il fil-'ayn* (Le Livre des Questions sur l'œil), texte édité et traduit en français par P. Sbath et M. Meyrhof, Le Caire, 1928, p. 62.

[24] Cf. Abû Ali b. Sînâ : *Kitâb al-Qânûn fit-tibb*, éd.de Bûlâq, 1294/ 1877 (3 vols.), 2/120.

[25] Ibid., 2/120.

[26] Ibid, 2/120.

[27] Ibid., 2/120.

[28] Ibid., 2/120-121.

[29] Cf. Ibn an-Nafis: *Al-Muhadhdhab fil-kuhl al-mujarrab*,éd. par M. Z. Wafâ'i et M.R. Qal'ahji, Rabat,1988, p.374.

[30] Aristûtâlîs: *Tibâ' al-hayawân*, traduction de Yûhannâ b. al-Bitrîq, éd. par A. Badawi, Kuwait,1977, p.243 .

[31] Id. : *Fi- Kawn al-hayawân*, éd.par J. Brugman et H.J. Drossaart Lulofs, Leiden,1971, p.178.

[32] le terme est flottant sémantiquement puisqu'il signifie à la fois « qui ne voit pas bien la nuit » et « qui voit bien la nuit ».Mais le terme grec ne signifiait que le premier.

[33] Aristûtâlîs : *Tibâ' al-hayawân*, p.221.

[34] Diâsqûridûs: *Al-Maqâlât al-khams*, traduction de Istifan b. Basîl et correction de Hunayn b.Ishâq, éd. par C. Dubler et E. Teres, Tatouan-Barcelone, 1957, p. 310, 311, 314, 321, 329... etc.

[35] Ibid., p. 183.

[36] Cf. Hunayn b.Ishâq : *Al-'Ashr maqâlât fil-'ayn*, p. 137; Id. *K. al-Masâ'il fil-'ayn*, p. 52.
[37] Diâsqûrîdûs: *Al-Maqâlât al-khams*, p. 159.
[38] Hunayn b. Ishâq: *Al-'Ashr maqâlât fil-'ayn*, p. 73.
[39] Ibid., p. 74.
[40] Ibid., p. 74, 75, 79, 80.
[41] Ibid., p. 73, 76, 120, 121.
[42] Ibid., p. 76, 77.
[43] Ibid., p. 79, 120, 121, 125.
[44] Ibid., p. 77, 78, 79, 80, ...etc.

Xavier LELUBRE
Université Lyon 2
CRTT – ELISA

Catégories conceptuelles et modes de formation des termes scientifiques au IIIe siècle (domaine de l'optique)

0 - INTRODUCTION

Cette étude est un essai de mise en relation des modes de formation des termes arabes anciens, dans un domaine donné, ici le domaine relevant des sciences qu'est l'optique, tels que nous pouvons les connaître sinon lors de leur apparition mais en tout cas dans un état ancien, au IIIe siècle de l'Hégire (IXe siècle de l'ère chrétienne) avec le type des concepts – ou encore unités référentielles – qu'ils dénomment.

L'on sait que lorsqu'il s'agit de terminologie, au-delà de traits généraux communs – et communs aussi au lexique de la langue générale –, bien des questions se posent de manière différente d'un domaine de spécialité à un autre. Ne serait-ce qu'en raison du fait que la nature des concepts, les relations qu'ils entretiennent entre eux sont spécifiques à chaque discipline. Une autre raison en est le rythme de développement que peut connaître un domaine, son historique, la façon dont il s'inscrit dans ses relations avec d'autres domaines, le rôle joué par ce domaine dans la société, les types de connaissances et de pratiques qu'il implique : autant d'éléments qui ne peuvent pas être sans conséquence sur la formation et le développement du domaine concerné, comme c'est bien le cas pour l'optique.

L'objet du travail que nous présentons ici est de voir quels ont été les moyens linguistiques mis en œuvre à cette époque pour répondre aux besoins terminologiques concernant ce domaine de spécialité.

1-LES CONDITIONS DE L'ÉMERGENCE D'UNE TERMINOLOGIE ARABE DE L'OPTIQUE

1-1 Le mouvement de traduction des écrits grecs et la production en arabe

Ainsi pour ce qui nous concerne, les modalités du développement de l'optique dans le monde arabe sont bien différentes de celles, par exemple, de la grammaire – autre domaine dont la terminologie est largement abordée lors de ces Journées –. Rien d'étonnant : les conditions d'émergence et de développement de ces deux disciplines, leur ancrage au sein des besoins et des savoirs de la société de l'époque étaient fort éloignés. Si le développement des disciplines liées à la langue arabe était relié à celui du développement de domaines d'ordre religieux et juridique, il n'en était rien de même, semble-t-il pour l'optique.

Celle-ci, en effet, tout comme d'ailleurs l'ophtalmologie (*Kaĥâla*) (voir pa exemple Furât Fâ'iq KhiÔâb, *al-Kaĥâla 'inda l-'Arab*, 1975), s'est développée sous une influence extérieure, l'influence grecque, à la suite des traductions qui en ont été faites et qui semble avoir été déterminante :

> «L'optique arabe est héritière de l'optique hellénistique, et, pourrait-on même dire, d'elle seule [...] L'optique se distingue de ce fait d'autres secteurs des sciences mathématiques arabes, l'astronomie par exemple, en ce sens qu'elle n'a reçu aucun autre legs, non hellénistique, si infime fût-il, qui ait pesé de quelque poids sur son développement.»
> (Roshdi Rashed, «L'optique géométrique», in *Histoire des sciences arabes*, tome 2, 1997:293)

Les textes grecs importants dans ce domaine, tels ceux d'Euclide, Ptolémée, Anthémius de Tralles, Théon d'Alexandrie, d'Aristote ont été traduits, en totalité ou partiellement. De fait l'on ne connaît pas les premiers traducteurs des textes grecs, ni la date de ces traductions ; la plupart des traductions ont eu lieu «durant la première moitié du IXe siècle de l'ère chrétienne».

> « Les témoignages de traducteurs et savants, comme QusÔâ b. Lûqâ et Ĥunayn b. Isĥâq, de savants philosophes comme al-Kindi – tous du IX e siècle –, d'anciens bibliographes comme an-Nadim ne nous permettent pas de remonter sûrement

et efficacement au-delà de ce siècle pour l'ense nble des écrits en optique, à l'exception de quelques vestiges qui se rap >ortent à exclusivement à l'ophtalmologie» .

Ce qui semble marquer la littérature scientifiqu e de cette époque (le IIIè siècle) – concernant «l'ensemble des disciplines mathéı ıatiques» (Roshdi Rashed (1997) – est la concommitance d'une part de la poı ırsuite du mouvement de traduction – ainsi, pour les auteurs qui nous intéress ənt, Íunayn b. IsÎâq (m. 260/877) et QusÔâ b. Lûqâ (m. 300/912) étai ənt traducteurs – et de la production en arabe, reposant sur l'analyse critiq ıe de ces textes mis à la disposition des savants arabes (c'est le cas des mêmes unayn b. IsÎâq et QusÔâ b. Lûqâ, d'une part et d'autre part du philosophe al- Kindî (m. 252/866)) et le développement des concepts qu'ils contiennent.

Les causes de ce mouvement de traducti ɔn de textes d'optique semblent avoir été, entre autres, et au-delà de consi dérations scientifiques ou philosophiques, liées à de possibles applications techr iques, comme c'est le cas pour les miroirs ardents ou encore les recherches en :atoptrique «pour divertir et émerveiller les princes».

On trouvera dans Ahmed Djebbar (2001:268), Gül A. Russel (1997) et Roshdi Rashed (1997) une liste des savants ar ıbes ayant écrit dans ce domaine.

1-2 Les cadres conceptuels de l'optique à cette époque :

L'étude de la terminologie d'un domaine de spécialité – des relations entrepas être reprise ici, au prix de quelques modifica ions : par exemple, si un type comme [instrument de mesure] ne connaît pas de réalisation concernant l'optique à cette époque, par contre il convient de rajouter un type comme le type [élément psychique]. Nous présentons plus bas en 2.1 cette typologie.

1-3 Le corpus étudié :

Nous avons constitué un fichier de termes ar bes anciens de l'optique à partir des sources qui étaient à notre disposition, sur la base d'un corpus qui englobe et dépasse la période qui nous intéresse ici. Pour ce qui concerne les références de cette période, nous avons pu dispose de textes, qui ont tous

fait l'objet d'une édition savante, accompagnée d'une traduction, en français ou en anglais [1]. Ces références – il s'agit respectivement d'écrits de Íunayn b. IsÎâq (HUN), al-Kindî (K) et QusÔâ b. Lûqâ (QL) – sont les suivantes:

HUN1 : *Kitâb al-`ashr maqâlât fi l-`ayn*, éd. Max Meyerhof (1928) ;

K1 : *Kitâb 'Abî Yûsuf Ya`qûb b. 'IsÎâq al-Kindî 'ilâ ba`- 'ikhwati-hi fî taqwîm al-khaÔa' wa l-mushkilât allatî li-'Ûqlîdis fî kitâbi-hi l-mawsûm bi l-Manâ'ir*, in Roshdi Rashed (1997a) : 160-335.

K2 : *Kitâb Ya`qûb b. 'IsÎâq al-Kindî fî sh-shu`â`ât <ash-shamsiyya>*, in Roshdi Rashed (1997a) : 360 -419.

K3 : *<Faqra fî 'a`ğâm al-'ashkâl al-ghâ'iÓa fî l-mâ'>*, in Roshdi Rashed (1997a) : 424-427.

K4 : *<Faqra fî l-mir'ât al-muqa``ara allatî qawsu-hâ thulth dâ'irati-hâ>*, in Roshdi Rashed (1997a) : 430-435.

K5: *Risâlat Ya`qûb b. 'IsÎâq al-Kindî 'ilâ ba`- 'ikhwati-hi fî `illat al-lawn al-lâzawardî alladhî yurâ fî l-jaww fî jihat as-samâ' wa-yuÛannu 'anna-hu lawn as-samâ'*, in Otto Spies (1937) : 7-19.

QL1 : *Kitâb fî `ilal mâ ya`ri-u fî l-marâyâ min ikhtilâf al-manâğir, 'allafa-hu li-NâÒir ad-Dîn Allâh 'Abû 'AÎmad al-Muwaffiq bi Allâh, QusÔâ b. Lûqâ al-Yûnânî*, in Roshdi Rashed (1997a) : 572 - 645.

2- LE MARQUAGE DES DONNEES

Afin de pouvoir mettre en relation les faits d'ordre linguistique, de formation des termes, et les données d'ordre référentiel, nous avons associé à chaque terme un jeu de marqueurs, les uns d'ordre référentiel et les autres d'ordre linguistique.

2-1 Le repérage conceptuel des données

Nous associons à chaque terme deux indices d'ordre référentiel, qui se rattachent à l'unité référentielle qu'il dénomme.

Le premier indice, numérique, concerne la relation entre l'entité concernée et certains champs du domaine à laquelle elle se rapporte. Par exemple, la

transparence (CJ1) est relative au milieu où se propage l a lumière (5) ; la *face* d'un miroir (AB1) est reliée à un appareillage optique (7).

1	oeil	*Pupille*
2	Vision	*l ayon visuel*
3	Lumière	*Rayon lumi eux, obscurité, couleur*
4	Source	*Soleil*
5	Milieu	*Air*
6	Objet	*visage*
7	Appareillage optique	*Miroir*

Le deuxième indice, alphanumérique, est relatif à la catégorie conceptuelle ou encore type de l'unité référentielle. N ous avons ici regroupé les différents types d'unité référentielle que nous avc ns établis sous quatre grandes catégories : (A) les entités matérielles, les entit s abstraites comme les grandeurs ; (B) des entités correspondant à des process is et des phénomènes ; (C) des entités correspondant à des états, des propri tés ; et enfin (D) des entités de type relation. On remarquera que nombre de types indiqués ici sont relatifs à l'optique moderne et ne concernent pas l'état ancien de ce domaine qui nous occupe ici. Nous avons par contre ajouté les t pes [entité visuelle] et [élément psychique], qui relèvent de l'approche de 'époque.

entité , objet	, processus, action phénomène	état, qualité, proprié é	relation, représentation
A	B	C	D

2-2 Les traits morphologiques des termes

Nous avons pris en considération des unités substantivales (بَصَر) , adjectivales (بصير) et verbales (أبصر), qu'il s'agisse d' unités terminologiques simples (بَصَر) ou bien complexes (شعاع البَصَر).

Pour ces unités, qu'elles soient simples (formées d'un seul mot) ou complexes (formées de deux ou plusieurs mots) – les unités simples ne représentent de ce point de vue qu'un cas particulier d'unité complexe – nous avons indiqué deux éléments :

(1) la racine de chacun de ses éléments constituants, comme رءي + حرق dans المرآة المحرقة. Dans le cas des emprunts est donné le radical ; ainsi, pour أنبوبة est indiqué le radical أنبوب ;

(2) le schème du premier élément constituant – celui de la base de l'expansion, dans les cas des unités complexes –. Ainsi مفعلة + dans المرآة المُحرقة .

Il était intéressant en effet de regarder quelles racines et quels schèmes ont été mobilisés pour la formation de cette terminologie.

3- LE TRAVAIL EFFECTUÉ : LE CROISEMENT DES DONNÉES

Il était intéressant aussi d'étudier le recours à ces données lexicales et morphologiques en fonction de la nature des unités référentielles à dénommer.

C'est pourquoi nous avons mis en relation les traits d'ordre morphologiques (racine et schème) avec les traits d'ordre référentiel (branche du domaine et type des unités référentielles), sur la base du fichier des termes.

De notre fichier de termes anciens (plus de 400 termes) [2] , nous avons extrait les termes se trouvant dans le corpus de travail (environ 300).

3-1 Croisements à partir de la racine

Parmi ceux-ci, nous avons sélectionné les termes simples et les termes complexes dont la base a pour racine l'une des racines suivantes : , بصر , حدق , درك , رءي, شع , ضوء , عكس, نظر et نور.

– La racine (بصر) : cette racine est, avec trois des autres racines ici retenues (رءي) , (حدق) et (نظر), relative à la vision. La forme simple بَصَر a ici deux acceptions, l'une étant l'œil (sens attesté en langue commune – par exemple dans le *Kitâb al-'Ayn*, le dictionnaire d'al-Khalîl (m. 170/786) –), l'autre, la vue ou la vision.

2	BG	vue 'sight'	K5:10£4	إبصار	إفعال	بصر
2	BG	être vu <1:qc>		أُبْصِرَ	أفعل	بصر
2	BG	voir <0:pupille> qc	K1:229£8	أبصـ <.: ناظر>	أفعل	بصر
2	BG	voir <0:la vue; 1:qc>	K1:165£12	أَبْصَرَ < : البصر ؛ ١ : >	أفعل	بصر
2	BG	être vu <1:qc> selon,suivant <2: droite> avec un angle ...	QL1:585£1	أُبْصِرَ <١ مبصر> على <٢: خط> بزاوية ..	أفعل	بصر
2	BG	être vu sous des angles ...	K1:163£21	أُبْصِرَ بزوايا ..	أفعل	بصر
1		Oeil	IH:83 /RR	بَصَرٌ ج أبصار	فَعَلٌ	بصر
2	BG	vue ; vision 'vision', 'sight' Gr: opsis	HUN1:89-118,120,122	بصر	فَعَلٌ	بصر
2	BG	Vue	K1:165£2	البَصَر	فَعَلٌ	بصر
2	BG	vision	QL1:577£6, 581£17,583 £12,589£14 HUN1:73£8	البَصَر	فَعَلٌ	بصر
2	BG	voyant <homme>	QL1:581£28	بصير	فعيل	بصر
6	CF	visible <1:qc> [adj.]	K1:173£9	مُبْصَر		بصر
6	AG1	Chose vue, visible <subst..>	IH:83 /RR	مُبْصَر ج ات		بصر
2	BG	vision	QL1:577£6, 581£17,583 £12,589£14 HUN1:73£8	البَصَر	فَعَلٌ	بصر
2	BG	voyant <homme>	QL1:581£28	بصير	فعيل	بصر
6	CF	visible <1:qc> [adj.]	K1:173£9	مُبْصَر	مُفْعَل	بصر
6	AG1	Chose vue, visible <subst..>	IH:83 /RR	مُبْصَر ج ات	مُفْعَل	بصر

– La racine (حدق) : le substantif construit sur la forme simple dénomme un élément de l'œil. La forme augmentée est relative à la vision.

2	BG	le fait de fixer (du regard) <0:qqn> <1:qc>	QL1:587£15	تحديق إلى	تفعيل	حدق
2	BG	Fixer (du regard) <0:qqn> <1:qc>	QL1:587£12(£15: le *masdar* تحديق إليه)	حَدَّقَ <٠: فلان> إلى <١: شيء>	فَعَّلَ	حدق
2	BG	fixer <0:qn> par sa vue <1:corps>	QL1:589£6	حَدَّقَ <٠: فلان> إلى <١: شيء> ببصره (٠)	فَعَّلَ	حدق
1		pupille 'pupil' Gr: korē	HUN1:101,160	حَدَقَة	فَعَلَة	حَدَق

– La racine (درك) : n'est attestée ici que la forme augmentée.

2	BG	appréhension de la couleur	K5:10£2	إدراك <١:لون>	إفعال	درك
2	BG	percevoir <0:vue> qc	K1:165£6£17, 173£7,227£13 (l'oeil)	أَدْرَكَ <.: البصر>	أفعل	درك
2	BG	percevoir <l'oeil البصرُ هـ >	IH:96 /RR	أدرك <.: البصر> <١: ..>	أفعل	درك
2	BG	percevoir <0:oeil ;1:qc>	K1:163£17	أدرك <٠: العين ؛ ١: شيء>	أفعل	درك
2	BG	percevoir <0:rayon visuel> <1:visibles>		أدرك <٠: شعاع بصري> <١: مبصر>	أفعل	درك

– La racine (رءي) : la forme simple est attestée sous la forme verbale, le *maÒdar* et aussi le schème de nom d'intrument – c'est d'ailleurs le seul nom d'instrument concernant l'optique attesté dans les sources de cette époque ; on trouve aussi, sur le même schème, مسطرة *gabarit* (« règle ») K2:373, QL1:595, utilisé pour la fabrication de la face des miroirs –.

2	BH	faire voir <0 : miroir> <2 : forme>	QL1 :599£21,22	أرى ٠ ٠: مرآة> <٢ صورة>	أفعل	رءي
2	BG	voir	K1 :175£1	رأى	فَعَلَ	رءي
2	BG	voir <0 :qn> <1 :qc> dans <2 :qc>		رأى ٠ ٠:فلان> <١: شيء> في <٢: سطح فاصل>	فَعَلَ	رءي
2	BG	être vu	K1 :163£20 QL1 :601£3,4	رُئِيَ	فُعِلَ	رءي
2	BG	être vu sous un angle ...	K1 :293£1£12	رُئِيَ بزاوية ..	فُعِلَ	رءي
2	BG	être vu sous des angles ...	K1 :163£20	رُئِيَ بزوايا ..	فُعِلَ	رءي
2	BG	'seeing', 'act of sight' Gr:[horasis]	HUN1:92,107	رؤية	فُعْلة	رءي
7	AB1	miroir	K1:211£13	مرآة	مفعالة	رءي
7	AB1	miroir à surface plane	QL1 :577£26	مرآة مسطّحة تسطيحًا مستويًا	مفعالة +	رءي + سطح +سطح +سوي
7	AB1	miroir ardent	K2 : 361£11,373£5	المرآة المُحرِقة	مفعالة +	رءي +حرق
7	AB1	miroir à face plane	QL1 :579£1	مرآة مستوية الوجه	مفعالة +	رءي +سوي +وجه
7	AB1	miroir convexe à convexité sphérique	QL1 :577£25	مرآة مقبّبة تقبيبًا كريًا	مفعالة +	رءي +قبب +قبب +كرو
7	AB1	miroir concave sphérique		المرآة المقعّرة السطح تقعرًا كريًا	مفعالة +	رءي +قعر +سطح +قعر +كرو

7	AB1	miroir concave à concavité sphérique	QL1 :577£27	مِرْآة مقعَّرة تقعيرًا كريًا	+ مِفْعالة	رءي +قعر +قعر +كرو
7	AB1	miroir sphérique concave	K2 :379£6	المِرْآة الكريّة التقعير	+ مِفْعالة	رءي +كرو +قعر

– La racine (شع) : sur cette racine, n'est attesté que le substantif [3] شُعاع, comme unité simple ou comme base d'un terme complexe.

3	AL1	rayon	K1:163£15,187£14	شُعاع	فُعال	شع
3	AL1 / AM1	rayon	K1:173£11(خطوط الشعاعات), 199£12(id.) QL1:587£23(pl.)	شُعاع ج ات	فُعال	شع
2	AM1	rayon visuel	K1:213£13,215£8. 245£5,329£11 QL1:381£20	شُعاع البصر	فُعال +	شع + بصر
3	AL1	rayon dévié au point B	K2:387£7	الشعاع المنعرج عن علامة بَ	فُعال +	شع + عرج
2	AM1	rayon visuel	K1:243£20	شُعاع النَظَر	فُعال +	شع + نظر
2	AM1	rayon_s menés de la pupille à .. <ce n'est pas un terme !!!>	K1:286£10	شُعاعا الناظر الخارجان إلى / مث	فُعال +	شع + نظر
2	AM1	rayon émergeant de l'oeil	QL1:593£19	الشعاع المنبث من البصر	فُعال +	شع بث+ + بصر
2	AM1	rayon visuel		الشُعاع البَصَريّ	فُعال +	شع
3	AL1	rayon(s) du soleil	K2:363£2,17	شُعاع الشمس	فُعال +	شع

3	AL1	rayon solaire	QL1:583£2	شُعاع شمسيّ	فُعال +	شع
3	AL1	rayon_s solaires	K2:361£7	شعاعات شمسيّة / ج	فُعال +	شع
3	AL1	rayon réfléchi	QL1:589£17	الشُعاع المنعطف	فُعال +	شع
3	AL1	rayon réfléchi	QL1:591£2	الشُعاع المنعكس	فُعال +	شع
3	AL1	rayon du feu	QL1:583£2,4	شُعاع ناريّ	فُعال +	شع +نير

– La racine (ضوء) : ne sont attestés sur cette racine que le substantif ضِياء et le verbe augmenté أَضَاءَ . Le terme ضوء, qui sera utilisé ultérieurement à côté de نور , n'apparaît pas.

3	BH	illuminer	QL1:583£5	أَضَاءَ هـ	أفعلَ	ضوء
3	AL1	luminosité (une--)		ضِياء	فِعال +	ضوء
3	AL1	lumière		ضِياء	فِعال +	ضوء
3	AL1	lumière de la Terre	K5:14£3	الضِياء الأرضيّ	فِعال +	ضوء +ءرض
3	AL1	luminosité conique étendue (une --)	K1:163£12	ضِياء صنوبريّ رحب	فِعال (فعَل) +	ضوء +صنوبر +رحب
3	AL1	luminosité dense	K1:165£25	ضِياء كثيف	فِعال (فعَل) +	ضوء +كثف
3	AL1	lumière des étoiles	K5:14£4	الضِياء الكوكبيّ	فِعال (فعَل) +	ضوء +كوكب
3	AL1	luminosité du jour	QL1:583£4	الضِياء النهاريّ	فِعال (فعَل) +	ضوء نهر
3	AL1	luminosité radiante		ضِياء شعاعيّ	فِعال (فعَل) +	ضوء+شع

– La racine (عكس) : ne sont attestées que la forme simple (le verbe et le participe) et la forme augmentée.

3	BD	réflexion 'reflexion' (of light)		انعكاس	انفعال	عكس
3	BD1	réflexion du rayon selon <angle> ...		انعكاس الشعاع على <زوايا> ..	انفعال +	عكس + شع
3	BD1	réflexion des rayons de la terre		انعكاس الشعاع من الأرض	انفعال +	عكس + شع +ءرض
3	BD1	réflexion du rayon sur ...		انعكاس الشعاع عن ..	انفعال +	عكس +شع
3	BD1	réflexion de la lumière vers ...		انعكاس الضياء إلى	انفعال +	
3	BD1	réflexion_s des rayons solaires à partir de ...		انعكاسات الشعاعات الشمسية عن ... / ج	انفعال +	عكس +شع +شمس
3	BD1	se réfléchir <0:rayon> sur <1:surface> en <2: point>		انعكس <٠: شعاع> من <١: أجرام> إلى <٢: نقط>	انفعل ..	عكس
3	BD1	se réfléchir <0:rayon> sur <1:un corps> selon <2:angle>		انعكس <٠: شعاع> من <١: جرم> على <٢: زاوية>	انفعل ..	عكس
3	BD1	se réfléchir<0:rayon> suivant <2:droite, direction,angle>		انعكس <٠:شعاع> على <٢: خط ، زاوية>	انفعل ..	عكس
3	BD1	se réfléchir<0:rayon> suivant <2:droite, direction>		انعكس <٠:شعاع> على <٢: خط>	انفعل ..	عكس
3	BD1	se réfléchir <rayon> sur <surface>		انعكس <شعاع> عن <جسم>	انفعل ..	عكس
3	BD1	se réfléchir selon des angles égaux		انعكس على زوايا متساوية	انفعل ..	عكس +زوي +سوي
3	BH	réfléchissant <0:corps ; 1:rayons>		عاكس	فاعل	عكس
3	BD1	réfléchir <0:face, surface> <1:rayon>		عكس <٠: سطح> <١: شعاع>	فَعَلَ	عكس
3	BD1	réfléchi sur les miroirs		منعكس عن المرايا	مُنفَعِل	عكس +رءي
3	BD1	les réfléchis (=les réfléchis des rayons visuels [RR])		المنعكسات / ج	مُنفَعِل	عكس

– La racine (نظر) : le participe actif de cette autre racine relative à la vision, a deux emplois, dont l'un est la dénomination d'une partie de l'œil (la pupille). Quant au participe passif (المنظور إليه), il semble avoir le même emploi que(مُبْصَر).

1	ABA1	pupille <de l'oeil> 'pupil' Gr: korê	HUN1 :105 K1:163£12,211 £13,223£10,22 5£22	ناظِر (العين)	فاعِل	نظر
2	BG	celui qui voit …	K1:215£19	ناظِر	فاعِل	نظر
2	AM1	Rayons visuels 'look's, visual rays' Gr: opseis	HUN1:109	مناظِر/ج	مفعل	نظِر
2	AM1	rayons visuels	HUN: apud RR1997a:339	المَناظِر من العين ج	مفعل	نظِر
6	AG1	le visible	K1:167£9	المنظور إليه	مفعول	نظر
6	AG1	la chose qui est regardée		المنظور إليه	مفعول	نظر

Concernant المَناظِر , on notera chez Ibn Lûqâ (QL1:575) le terme علم اختلاف المناظر (science de la diversité des perspective) et chez al-Kindî (K1:263), dans le titre même de son épitre, المناظر, utilisé pour l'*optique* (sur ce terme, voir Roshdi Rashed 1997a :).

– La racine (نور) : c'est avec la racine (ضوء) l'autre racine relative à la lumière. Sont attestées ici la forme simple et deux formes dérivées, qui sont des *maÓdar.*

3	CJ1	luminosité <d'un rayon>	QL1:597£26, 27, 599£6	ستنارة <لشعاع >	استفعال	نور
3	AL1	faible lumière	K5:11£8	إنارة ضعيفة	إفعال +	نور + ضعف
3	AL1	lumière	K5:10£12	نور	فُعْل	نور
3	AL1	luminosité <d'un rayon>	QL1:599£26	نور <الشعاع>	فُعْل	نور
3	CF	'bright' <'bright and fully lighted' >	K5:10£12	نيّر	فعيل	نور

3-2 Croisements à partir du type de l'unité référentielle

Nous partons ici du type de l'unité référentielle. Nous examinons deux types, ABA1 et BD1.

– Le type ABA1 [pièce optique corporelle] – les éléments matériels de l'œil – [4] : nous retrouvons les termes حَدَقة , بَصَرٌ et ناظِر déjà vus. De nombreux termes sont des unités terminologiques complexes ; nous avons indiqué leur équivalent – ou plus exactement, leur modèle – grec (glossaire des termes présenté par Max Meyerhof, 1928 :172- 207, Glossary of Medical Terms occurring in the Text) et indiqué, pour un certain nombre d'entre eux, par Íunayn b. IsÎâq lui-même, en transcription arabe.

1	ABA1	Oeil	IH:83 / RR K1: 169£20£24£25, 171£15, 183£12, 187£10, 199£5 K5:13£2 QL1:577£10,11, 583£6(pl.) ,593£19(sg)	بَصَرٌ ج أبصار	فَعَلٌ	بصر
1	ABA1	Pupille 'pupil' Gr:korê	HUN1: 101£12, 160	حَدَقة	فَعَلة	حَدَق
1	ABA1	Humeur 'albuminoid (aqueous) humour' Gr:ôoeides hugron	IH:208 /MN	رُطوبة بَيْضيّة	فعولة +	رطب . بَيْض
1	ABA1	humeur cristalline ' ice-like humour' (crystalline lens) Gr: krustalloeides hugron	HBI:73 IH:207 /MN HUN1:74-80, 120,121,140,141	رُطوبة جَليديّة	فعولة +	رطب + جلد
1	ABA1	humeur vitreuse 'vitreous humour' (body) Gr:hualoeides hugron	IH:207 /MN HUN1:74-78	رُطوبة زُجاجيّة	فعولة +	رطب + زجج

1	ABA1	rétine 'net-like coat or tunic', 'retina' Gr:		الطا قة الشّ كيّة	فَعَلة +	طَبَق+ شَبَك
1	ABA1	sclérotique 'hard tunic', sclera', 'sclerotic' Gr:sklêros khiton	HUN1:75,80	الطَبَقة لصَلْبة	فَعَلة +	طَبَق
1	ABA1	Uvéa 'grape-like tunic', 'uvea' (iris and ciliary body) Gr: staphuloeidês, rhagseidês khiton		الطَبَقة العنَبيّة	فَعَلة +	طَبَق
1	ABA1	arachnoïde 'cob-web-like tunic', 'arachnoid' Gr: arakhnoeidês khiton	HUN1:80	الد بَقة العنّ بوتيّة	فَعَلة +	طَبَق
1	ABA1	Cornée 'horn-like tunic', 'cornea' Gr: keratoeidês khiton	HUN1:75,80,121	الطَبَقة القَرْنيّة	فَعَلة +	طَبَق
1	ABA1	Choroïde 'secondine-like tunic', 'choroid' Gr: khorioeidês khiton	HUN1:74,80	الد بَقة المشّ يمية	فَعَلة +	طَبَق
1	ABA1	Conjonctive 'conneting tunic', 'conjunctiva' Gr: epipephukôs khiton	HUN1:75,79-82	الد بَقة الملتّ حمة	فَعَلة +	طَبَق
1	ABA1	Nerf optique 'optic nerve' Gr: optikon neuron	HUN1:89,95,98	عَصَبة البَصَر	فَعَلة +	عَصَب بصر
1	ABA1	oeil	K1:163£12 HUN1:73£7,9,12	ءَ ين	فَعْل	عين

1	ABA1	Sclérotique 'hard tunic (if the eye)', 'sclerotic' Gr: sklêros khitôn	HUN1:75,78,79	الغشاء الصَلب	فعال +	غشو
1	ABA1	conjonctive 'connecting tunic', 'conjunctiva' Gr: epipephukôs khitôn	HUN1:75,82	الغشاء الملَتحِم	فعال +	غشو
1	ABA1	pupille <de l'oeil> 'pupil' Gr: korê	K1:163£12,211 £13,223£10,22 5£22	ناظِر (العين)	فاعِلٌ	نظر

Si le modèle de formation des termes grecs apparaît présent, il n'y a aucun emprunt fait au grec, contrairement à d'autres domaines, concernant des unités référentielles de type [matériau] ou [élément matériel].

– Le type BD1 [phénomène optique] : ici – nous ne donnons que des unités substantivales –, les termes sont formés à partir de *maÒdar*.

2	BD1	dispersion du rayon des deux yeux	QL1 :585£17	انبثاث الشعاع من العينين	انفعال +	بث +شع +عين
2	BD1	brisure du rayon visuel <par réflexion>	QL1 :589£16	انعطاف الشعاع البصريّ	انفعال +	عطف +شع +بصر
3		réflexion 'reflexion' (of light)	HUN1 :109	انعكاس	انفعال	عكس
3	BD1	réflexion du rayon selon <angle> ...	QL1 :577£22	انعكاس الشعاع على <زوايا> ..	انفعال +	عكس + شع
3	BD1	réflexion du rayon sur ...	QL1 :577£21	انعكاس الشعاع عن ..	انفعال +	عكس +شع
3	BD1	réflexion des rayons de la terre	K5 :14£2	انعكاس الشعاع من الأرض	انفعال +	عكس + شع +ءرض
3	BD1	réflexion de la lumière vers ...	K5 :11£6	انعكاس الضياء إلى	انفعال +	

4- CONCLUSION

a. Il apparaît à partir des résultats présentés ici – q ii ne représentent qu'une partie des données que nous avons traitées – que le: moyens morphologiques et syntaxiques mis en œuvre pour ce premier état d la terminologie arabe de l'optique ne diffèrent en rien de ceux de la langue cc mmune. Par exemple, on n'aura pas été étonné de retrouver des *maÒdar* pou dénommer des concepts correspondant à des phénomènes. L'emprunt ne jo ie aucun rôle (un adjectif formé à partir d'un emprunt d'origine persane c mme l'adjectif أسطوانيّ *cylindrique* dans تقبيب أسطوانيّ « convexité cylindriqu » (QL1 :595), concerne la géométrie, même s'il est utilisé en optique).

b. Une mise en perspective des données terminologiq ies que nous avons réunies (sur la base d'un dépouillement qui reste à compléter pourrait s'appuyer sur un double travail qui reste à mener, afin de pouvoir mi eux estimer les conditions de la formation de cette terminologie :

– d'une part, étant donné le rôle joué dans ce dom ine par les traductions du grec, il serait intéressant d'étudier la correspondanc entre les termes grecs et les équivalents arabes qui ont été alors établis ;

– d'autre part, on peut s'intéresser à la façon dor t s'est effectué le recours au lexique de la langue commune. Il semble que p ur les termes grecs eux-mêmes, ils aient été formés largement à partir de la langue commune, comme l'indique Charles Mugler dans son *Dictionnaire historiq ie de la terminologie optique des Grecs.- Douze siècles de dialogues avec la lumière* (1964 :10) :

> «Il apparaît [..] que toute la terminologie de la sc ence optique s'est constituée en partie par une sélection opérée par les thé riciens dans le vocabulaire général relatif à la lumière, aux couleurs, à la v sion, tel que les poètes l'on conservé. Ce qui a guidé ce choix, c'est la rec ierche de la brièveté, de la précision et de la simplicité»

Il convient ainsi d'étudier, par exemple dans l premier dictionnaire de la langue générale de l'arabe, le *Kitâb al-'Ayn*, le vc cabulaire arabe mobilisé par les premiers théoriciens arabes de l'optique qui, eux, il est vrai, étaient dans une position différente des théoriciens grecs, puis ju'ils étaient dans la position d'avoir à traduire les travaux grecs. En tout cas au début de cette aventure scientifique.

Xavier LELUBRE

NOTES :

[1] Pour l'équivalent français – ou anglais – du terme arabe, nous nous sommes appuyé sur celui donné par l'éditeur et traducteur du texte.

[2] Notre fichier – un fichier de recherche – comprend parfois pour le même terme différentes entrées, le cas échéant en fonction de différentes constructions, de même qu'il comprend des syntagmes non terminologisés. Nos chiffres sont de ce fait approximatifs.

[3] L'acception de ce terme est variable selon les contextes. Ainsi dans K1, «rayon» désigne tantôt un rayon lumineux, tantôt un faisceau (R. Rashed, 1997b :162).

[4] Nous ne donnons ici que quelques termes du fichier.

RÉFÉRENCES BIBLIOGRAPHIQUES ET CORPUS

- DJEBBAR Ahmed, *Une histoire de la science arabe.- Introduction à la connaissance du patrimoine scientifique des pays d'Islam.* Entretiens avec Jean Rosmorduc, Coll. Inédits Sciences, Points, N° S144, Seuil, 2001, 385 p.
- Furât Fâ'iq KhiÓâb, *al-KaÎâla 'inda l-'Arab*, Manshûrât Wizârat al-i'lâm, Bagdad, 1975, 102 p.
- *Histoire des sciences arabes. Tome 2: Mathématiques et physique*, sous la direction de Roshdi Rashed, en collaboration avec Régis Morélon, Seuil, Paris, 1997, 431 p.
- Íunayn b. IsÎâq, *Kitâb al-'ašr maqâlât fî l-'ayn*, The Book of The Ten Treatises on the Eye, ascribed to Hunain Ibn Is-hâq (809 – 877 A.D.), edited by Max Meyerhof, Government Press, Cairo, 1928, liii+227 p. + 222 p (Arabic).
- LELUBRE Xavier, "Unités terminologiques et typologie des unités référentielles (domaine de la physique)», in *Revue de la Lexicologie*, Actes du Ve Colloque International de la Lexicologie, organisé par l'Association de la Lexicologie Arabe en Tunisie (ALAT), Tunis, 2-5 mai 2002, N°18-19, 2003:109-123.
- MUGLER Charles., *Dictionnaire historique de la terminologie optique des Grecs.- Douze siècles de dialogues avec la lumière*, Klincsieck, Paris, 1964, 459 p.
- RASHED Roshdi, Oeuvres philosophiques et scientifiques d'Al-Kindi : Vol. I. *L'optique et la catoptrique*, Coll. Islamic Philosophy, Theology and Science, Texts and Studies, vol. XXIX, E. J. Brill, Leiden /New York / Köln, 1997a, 776p.
- RASHED Roshdi, «L'optique géométrique», in *Histoire des sciences arabes. Tome 2: Mathématiques et physique*, 1997b:293-318.
- RUSSEL Gül A., «La naissance de l'optique physiologique», in *Histoire des sciences arabes. Tome 2: Mathématiques et physique*, 1997:319-354.
- SPIES Otto, «Al-Kindî's Treatise on The cause of the Blue Colour of Sky", in JRAS (Journal Bombay Branch Royal Asiatic Society), 1937, 7-19.